تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان

حمدون بن محمد الشريف الطاهري الحسني الجوطي الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا و

مولانا محمد وعلى آله.

الحمد لله الذي جعل قلوب أوليائه محل معرفته، واختارهم

لحضرته الشريفة وخدمته، نحمده تعالى حمد معترف بنعمه ،

ونشكره شكرا مستزيدا لفضله وكرمه،وصلى الله وسلم على سيدنا

ونبينا ومولانا محمد المصطفى المختار، وعلى آله وأصحابه النجباء

البررة الأخيار ،صلاة وسلاما ننال ببركتهما في هذه الدار و في تلك الدار وبعد .

فيقول العبد الفقير لمولاه ، الراجي عفوه و مغفرته ورحمته ورضاه ، حمدون بن محمد الشريف الطاهري الحسني الجوطي الفاسي:

لما دعاني منادي السعادة ،بلسان حاله حي على الإفادة ، كثر قلقي لمعرفة شيخ ناصح، عارف بتربية الخلق برهانه واضح؛ فجعلت أتأمل في أولياء الوقت لأيهم أتبع ، وفي روض أحدهم أرتع ، فتوقفت وتحيرت وصرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، وأنظر من هو منهم بعلل نفسي أعرف و أدرى، فقصدت ساعتئذ بضعة المصطفى، ويتيمة عقد أهل الصفا و الوفا ،قطب الأقطاب وإمام العارفين ذوي الألباب

ذا القدر النفيس ، سيدنا ومولانا ادريس بن سيدنا ومولانا ادريس نفعنا الله ببركتهما ،وصحح انتسابي إليهما وحققني بحسبهما آمين يارب العالمين ، فالتزمت الوقوف ببابه ، والتوسل للرب الكريم بجاهه، أن يعرفني بشيخ ناصح له نسب شهير وسره فايح عطير، فتقبل الله ببركته دعائي،وأنالني بغيتي ومنائي،فيسر الله تعالى علي التحقيق وقادني التوفيق، إلى معرفة القطب الإمام، العارف بالله الهمام ،نخبة النخب وخلاصة المجد و الحسب،فريد العصر ووحيد الدهر ،الذي تقصر العبارة عن أوصافه الحسان، ويكل العقل عن إدراك فضائله ومعاني إشاراته بالشرح والبيان، سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا، مولانا الطيب بن القطب العارف بالله والدال على مولاه، سيدي محمد بن القطب الكامل العارف الواصل ،مولانا عبد الله الشريف العلمي اليملاحي.

فأخذت عنه بواسطة تلميذه الشريف الشيخ العارف بالله، المتوكل في أموره على مولاه، صاحب السر المصون سيدي ومولاي قاسم بن سيدي محمد ابن رحمون ، فلقنني ورد الشيخ المذكور ، وصار القلب بمحبتهما معمورا ومسرورا، ثم بعد ذلك لقيت مولاي الطيب فأخذت عنه مشافهة فقبلني، و بما هو معروف من الفضل و الإحسان عاملني،الحمد لله على بلوغ المراد ، بمعرفة هؤلاء السادات الأطواد .

وكنت ألازم الشيخ مولاي قاسم المذكور فأسمع من إشارات و حكايات ينقلهما عن ساداتنا المذكورين، كما سمعت أخبارا ووصايا من الشيخ مولاي الطيب المذكور، وسمعت كرامات له رضي الله عنه

ولسلفه من أصحابهم الموثوق بهم من أهل الدين، فأردت أن أثبت من ذلك، فأوعيت و حفظت في هذا التقييد خوف نسيانه؛ مقدما قبل المقصود ذكر نسب مولانا عبد الله الشريف المذكور الطيني ،و بعده ذكر أشياخه الذي هو نسبه الديني، وأفتتح هذا التقييد بذكر مقدمة أذكر فيها ما نص عليه الأئمة في معرفة الصوفي وحقيقته ونعته وطريقته ،وبعض ماورد في السماع ،مما هو مباح عند أهل الطريقة بلا نزاع.

وأنشدوا :

العلم صيد و الكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الموثقة

وأختمه إن شاء الله، بخاتمة أذكر فيها أصول طريقة مولانا عبد الله المذكور، ووِرده المشهور الذي كان يلقن للخاص و العام ، من

أصحابه العامة منهم و العلماء الأعلام، و الأحزاب التي كان يحض أولاده وخلفاءه على قراءتها، و التحفظ بها في الصباح و المساء ، ومن كانت له طاقة و قدرة فليزد من الأذكار الواردة باختياره ماشاء ، فالقناعة من الله حرمان؛ و التحفظ بالآيات القرآنية ،و الأذكار و الأدعية النبوية ،جنة من الآفات و من اللعين الشيطان ، كما ورد ذلك عن سيد ولد عدنان، سيدنا ونبينا و مولانا محمد صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه السادات الأعيان.

وسميته :" تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزا ن"

،ونسأله سبحانه أن يكمل مقصودنا، ويبلغ مرغوبنا ،بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ،صلى الله وسلم عليه وعلى آله

وأصحابه الطيبين الطاهرين ،صلاة و سلاما نكون بهما في الدارين

من الفائزين الآمنين، آمين يارب العالمين.

مقدمة في معرفة الصوفي

وحقيقته ونعته وطريقته

اعلم وفقني الله وإياك أن هذا اللفظ بظاهره أوقع كثيرا من عوام الناس في الإلتباس، معتقدا أن الصوفي من لبس ثياب الصوف المرقعات، وتعاطى و تكلف أنواع الطاعات؛ و ليس الأمر كذلك فقد روى أبو داود بسنده في كتاب الزهد له عن المقداد بن معدي،كرب ودخل المسجد ورأى الناس يصلون التطوع في المسجد فقال: صلاة كصلاة الملائكة، والله أنتم أكثر صلاة منا ولنحن كنا خيرا منكم.

وروى بسنده أيضا عن عمران بن حصين، صاحب النبي صلى الله عليه و سلم قال: ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا و الآخرة :الصبر عند البلاء، والرضى بالقضاء، والدعاء في الرخاء .انتهى نصه

وقال الإمام البلوي في رحلته مانصه :أما الصوفي فهو العالم بما لابد في أعمال الطاعات منه المقبل على الله بوجهه كله،المتجرد عن نفسه القائم في كل شئ بإرادة ربه.

سمعت شيخنا الإمام قطب الوقت، شهاب الدين أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد السهرودي يقول :من عمل ولم يعلم كان كمن يبذر في السباخ، و من علم ولم يعمل كان علمه ضائعا .وأما الفقير فهو المقبل على الله تعالى بوجهه كله، المتمكن من تربية ظاهره و باطنه، بصريح العلم الذي لاتفاوت في معاملته بين خلوته و جلوته، المتطلع في ترك المال و الجاه، إلى ما تحقق عند الله من العوض في المآل.

قال فارس رضي الله عنه :قلت لبعض الفقراء رضي الله عنهم، ورأيت عليه أثر الجوع: لم لاتسأل ؟ فقال :أخاف أن أرد فلا يفلح الراد .

وقال محمد بن ياسين: سألت ابن الجلاء رضي الله عنهما، عن الفقر فذهب ثم رجع فقال : كانت عندي أربعة دوانق، فاستحييت من الله أن أتكلم في الفقر و هي عندي، فذهبت حتى أخرجتها ثم تكلم ،وهذا يظهر الغنى في الفقر .

قال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه :إظهار الغنى في الفقر أحب إلينا من الفقر، وأن يكون العطاء أحب إلينا من الأخذ ،و الإرادة

هي القصد إلى طريق السالكين إلى الله تعالى وهي أول منازلهم ،و المريد هو القاصد إلى الله تعالى.

ثم قال بعد ذلك بيسير: وقال أبو أحمد بن القلانسي رضي الله عنه: دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرموني ،فقلت يوما لبعضهم: أين إزاري ؟ فسقطت من أعينهم .

ودخل الرودباري رضي الله عنه يوما، دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق، فكسره وأنفد جميع مافيه إلى السوق ،فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا، ودخلت امرأته البيت ورمت بكساء كان عليها و قالت : بيعوه فهو من بقية المتاع. وقالت لزوجها: مثل هذا الشيخ يباسطنا و يحكم علينا .

ثم قال بعد: ولأبي طاهر بن الحسن المخزومي:

ليس التصوف أن يلقاك وعليك من نسج المسوح

الفتـى بطرائـق سود مرقـع فكأنـه فيها غراب

وبيض لفـقـت إن أبقــع

التصوف ملبس متعــارف يخشى فيه الفتى الإله و

يخضـع

وأنشد أيضا لغيره :

ليس التصوف لبس ولا بكاؤك إن غنـى

الصوف ترقعه ولا صياح و المغنونا ولا تغاش كان

لا رقص و لا طرب بل قد صرت مجنونا

التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق و القرآن و

وإن ترى خاشعا لله الدينا على ذنوبك طول

مكتئبـا الدهر محزونا

وقال غيره :الصوفي من صفى الحق قلبه من جميع القبائح والأكدار، وملأه من المواهب والأسرار ،ورفع همته عن هذه الدار ،ولم يبق للآخرة في قلبه خطر واستغنى عن الكل بالله الواحد القهار ،وصار مشاهدا لله بلا جهة ولا مكان بعين البصيرة لا بعين الحدقة والأشفار . وقال رضي الله عنه :الصوفي من صفت سرائره، واستقامت على الكتاب و السنة ظواهره. وقال: الصوفي لا يفوق بغزارة الأقوال ،و إنما برفع الهمة و الحال، وتخليته عن رؤية الأعمال.

ومن كلام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه:التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية .

واعلم وفقني الله وإياك، أن أهل هذا الفن رضي الله عنهم، مستمدون من علم أصله قديم أزلي، أبرزه الله تعالى للوجود يوم خلق

الأرواح كالذر؛ قال تعالى :[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِكُمْ قَالُوا بَلَى] فحينئذ حصل لكل واحد منهم ماحصل من التلذذ بخطابه ، وما سبق له من الله تعالى من وصاله واقترابه، وما سبق له من التخصيص الإلهي القديم الذي لا يبدل و لا يحول، فوقع لهم حين سمعوا كلام الحق مواجهة من الوله و الطيش و الذهول و القلق ما وقع ،فمنهم من غاب عن وجوده، ومنهم من وله في شهوده ، ومنهم من غرق في التلذذ بكلام معبوده، فعبروا عنه بالشراب وهذا العلم مخزون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، يفرقه على أولياء الله تعالىكل واحد بما سبق له في الأزل، فتبين أن هذا الشراب الذي يعنون، هو علم من علم الله مخزون عند سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغترف كل واحد منهم على قدر مشربه من

رسول الله صلى الله عليه و سلم، ومحبته فيه وشوقه إليه. فياله من علم ،ما أشرفه ،ما أغزره ،ما أكرمه ،ما أعظمه ،ما أنفسه، [فَفِي ذَلِك فليتنافس المتنَافِسُون] فيا سعد من منَّ عليه مولاه ولو بقطرة من شرابه فتاه في جمال سيده وكماله.

وهذا الشراب على عكس شراب الدنيا كلما ازداد صاحبه شرابا ازداد صحوا ، وهو الذي يمدحونه أهل الغرام ،وينوهون بقدره في النظام. فانظر ما مدحه به سلطان العشاق ،صاحب المحبة والأشواق ،ابن الفارض رحمه الله حيث قال في قصيدة له :

شربنا على ذكر الحبيب سكرنا بها من قبل أن

مدامة لها البدر كأس يخلو الكرم هلال وكم

وهي شمس يديرها ولولا يبدوا إذا مزجت نجم

شذاها ما اهتدينا لحانها ولولا سناها ماتصورها

الوهم

إلى أن قال رحمه الله في آخرها :

فما سكنت والهم يوما كذلك لم يسكن مع النغم

بموضع وفي سكرة منها الغم ترى الدهر عبدا

ولو عمر ساعة فلا طائعاولك الحكم ومن لم

عيش في الدنيا لمن عاش يمت سكرا بها فاته

صاحيا على نفسه فليبك الحزم وليس له منها

من ضاع عمره نصيب ولا سهم

وكذلك مدح هذا الشراب سيدي علي بن وفا بقوله:

كرر حديث أحبتي يا إن الحديث عن الأحبة

مطرب أحييت أموات طيب فاعش وقل لي عاش

القلوب بذكرهم وإن من لا يطرب وبكى وباح

تهتك عاشق من عشقه بسره لا يعتب

من ذا يطيق الصبر عن أو صاف من لهم الملاحة

سماعه طاب السماع تتسب تذكارهم من كل

فكلما وافيته وعلى طيب أطيب يا أيها

الوجود أدير كأس هواهم الظمآن لم لا تشرب

هم جيرة الوادي الذين تحيل قلوب العاشقين

بقربهم وتسلب

وكذلك قطب الأقطاب سيدي أبو مدين الغوث نفعنا الله به مدحه بقوله :

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم وتذهب بالأشواق أرواحنا

عنا بعادكم موت وقربكم منا فإن غبتم عنا ولو

حيا نموت ببعدكم ونحيا نفسا متنا وإن جاءنا

بقربكم ونحيا بـذكركم عنكم بشـير اللقا عشنا ألا

إذا لم نركم فلولا إن تذكار الأحبة ينعشنـا

معانيـكم تراها قلوبنـا إذا نحـن أيقـاظ وفي النوم

لمتنـا اسـى من بعدكم و إن غبنا ولكن في المعنـى

صبابة يحركنا ذكر معانيكم معنا ولولا

الأحبة عنكم فقل هواكم في الحشا ما

للذي ينـهى عن الوجـد تحركنا اذا لم تذق معنا

أهله إذا اهتزت الأرواح شـراب الهوى دعنا نعم

شوا إلى اللقا ترقص الأشباح يا جـاهـل

المعنى

أما تنظـر الطـير المقـفص إذا ذكر الأوطـان حن إلى

يا فتى يفرج بالتغريد مـا المغنى فتضطرب الأعضاء

بفـؤاده ويرقص بالأقفاص في الحس والمعنى فتهتز

شـوقا إلى اللقا كذلك أرباب العقـول إذا غنـى

أرواح المحبين يـا فتـى تهززها الأشواق للعـالم

أنلزمها بالصبر وهي الأسنـا وهل يستطيع

مشـوقة إذا لم تذق الصبر من شاهد المعنى

ماذاقت الناس في الهوى فبالله ياخـالي الحشا لا تعنفنـا

وسلم لنا فيـما ادعينا إذا غلبت أشـواقنا ربما

لأننـا وتهتز عنـد الإستماع صحنـا إذا لم نجد كتم

قلوبنـا وفي السر أسـرار المواجد برحنـا تراق دمانـا

دقاق لطيفة رضى سرنا جهـرة لو بها بحنا وان

في سكرنا عن حسودنا فيا انكرت عيناك شيئا

حادي العشاق قم و احد فسامحنا وزمزم لنا باسم

قائما فإنا إذا طبنا الحبيب وروحنا وخامرنا

وطابت نفوسنا فلا تلم خمر الغرام تهتكنا

السكران في حال سكره فقد رفع التكليف في

سكرنا عنا

وكثير من أهل هذا الفن أبدعوا في نظمهم فيه بالمدح و

التشبيه و التتويه فمن أبدع التشبيه فيه قول بعضهم :

رق الزجاج ورقت فتشابه و تشاكل

الخمر فكأنما الأمر وكأنما

خمر و لافدح قدح و لا خمر

ومثله قول بعضهم :

صفـراء لولاحت لشمس الضـحى من قبل أن تطلـع لم تطلع

أحسن مـا في وصفهـا أنهـا لم تجتمـع و الهـم في موضـع

و قال غيره :

لاموا على حب الصبـا و الكأس لمـا بـدا زهـر المشيـب بـرأس

و الغصن أحـوج ما يكون لشربه أيـام يبـدوا بالأزاهـر كـأس

وقد بين ابن عطاء الله في لطائف المنن، معنى إشاراتهم بالشرب و الكأس، و الساقي والري و السكر و الصحو بأتم بيان، فمن أراد ذلك فليراجعه هنالك.

و منهم من صرح بالمعنى ورفع الإيهام عمن لا يفهم المعنى فقال :

إذا العشـرون من شعبان و لـت فواصل شرب ليلك بالنهـار

ولا تشـرب بأقــداح صغــار فقد ضاق الزمان على الصغـار

وقال غيره :

ليـالي الوصـل ياصــاح استقلت وأيـام العبادة قـد أظلت

فلا تشــرب بأقــداح صغـار فـإن النفس قد سئمت و ملت

ألم تسمــع بما قـد قيـل قدمـا إذا العشرون من شعبان ولت

ولصفي الدين الحلي رحمه الله :

وما كان ذا سكري من الراح وحدهـا ولكن لأسباب يقوم بهـا العـذر

جمعـت لنا روحا وراحا وراحـتي وكل له في العقل ما يفعل الخمر

وأبديت أخلاقا حكى الخمر فعلها فليس عجيبا أن يقعقعني الشكر

وقال رحمه الله ورضي عنه :

إن أكن قد جنيت في الشكر ذنبا فاعف عني يا راحة الأرواح

أي عقل يبقى هناك لمثلي بين سكر الهوى وسكر الراح

وقال غيره

أباحت دمي أذباح قلبي بحبها وحل لها في شرعها ما استحلت

وما كنت ممن يظهر السر إنما عروس هواها في فؤادي تجلت

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنت

ويكفي هذا القدر في هذا المقام، ولنرجع إلى ما سبق فيه الكلام، فإذا تأملت ما سبق فهمت معنى إشاراتهم، و المعني بمدحهم ، فسبحان المتفضل المنان الذي جعل الماء واحدا و الزهر ألوانا ،فقوم تجلى لهم الحق سبحانه بهيبة الجلال فغرقوا في بحر الخوف فأفنوا نفوسهم في تعاطي العبادات ،ومحقوا أنفسهم في ارتكاب المشقات ،فلا يألفون الناس و لا يحبون الإستئناس، وهؤلاء هم العباد ،الفارون بأنفسهم لشواهق الجبال والأوهاد .

وأنشدوا في المعنى :

أفردني عنهم هواه وليس لي مقصد

أهيم وحدي بصدق سواه وحسن قصدي

وجدي أنكر صحبي عسى أراه ومادروا

غرام قلبي بالذي دهـاه

أحببت مولى إذا اقتبس الحسن من

تجلـى تحيـر سنـاه وجملـة الخلق

النـاس فيـه طـرا ولا فيه تاهوا إن غلب

أسميه غـير أنـي الشوق قلت يا هو

وقوم تجلى عليهم بالجمال ،فتاهوا بسط الإفضال ،غابوا في حضرة سيدهم، وفقدوا غيره من قلوبهم، فلم يشاهدوا من خالقهم سوى الإنعام، وتقلبهم في الفضل والإكرام، فيرون النقمة نعمة و المصيبة رحمة، فهم في مقام الرضى كيفما حكم عليهم القضاء.

وأنشدوا:

لو قال تيها قف على جمر الغضا لو قفت

ممتثـلا ولم أتوقـف

وهؤلاء هم العارفون، و لذلك قال في الحكم: العارف إذا مدح انبسط، و العابد إذا مدح انقبض؛ لأن العارفين رضي الله عنهم، يرون الأشياء كلها من خالقها وموجدها، فهم غائبون عن الخلق ،فمدح الخلق يرونه مدحا من الله لهم، و العابدون رضي الله عنهم غلب عليهم الخوف، فيرون أنفسهم غير مستحقين لذلك، لما شاهدوا من أنفسهم من التقصير، وكلهم رضي الله عنهم على صواب.ثم اعلم أن أهل هذا الفن على قسمين :

قسم: ورثوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقواله وأفعاله وأحواله الباطنة فحصلت لهم الإراثة الكاملة، فمن حصل له ذلك

فهو الوارث حقا، واستحق أن يكون خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، ونائبا عنه في منزلته، وهو المسمى بالقطب والفرد و الجرس الذي لا يشارك في منزلته، طول حياته لأنه نائب في المقام عن خير الأنام ،وقلبه عن قلبه ،وهو محل نظر الله تعالى فلا يحمل تلك النظرة غير قلبه المؤيد المحفوظ، ومن تلك النظرة تفرق الإمدادات الإلهية و المواهب اللدنية على جميع أولياء الله تعالى، حتى الملائكة يمتدون منه وجميع خلق الله الوارثين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقسم يلونهم في المرتبة: وهم قوم أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفعاله الظاهرة وأحواله الباطنة ،كالزهد في الدنيا و العلم و الحلم و الحياء و الصبر والرضى والقناعة و التوكل و المحبة و التسليم، و تحمل الأذى و التواضع و الغنى بالله و الفقر مما سوى

الله، و المراقبة و تطهير الباطن من المحرمات القلبية ،كحب الدنيا و الحسد و البغض و الغش و الخيانة و الكبر و الرياء و غير ذلك من الخصال المذمومة، وهي ضد ما ذكرناه أولا ،ففاتهم العلم بأقواله صلى الله عليه و سلم، التي تمنع حاملها من الخروج عن الحد، وترده إلى السكينة و الهدنة و التؤدة، ولم يحصلوا من الأقوال إلا ما يحتاجون إليه في سلوكهم، فهؤلاء ربما تغلب على بعضهم الأحوال، فتصدر منهم أفعال وأقوال ،فربما صاحوا وربما رقصوا وشطحوا ، وتجد كثيرا منهم يميل إلى السماع، فإذا وجده ،سارع إليه غاية الإسراع، وهذا كله مما يدرك بالعيان، فلا يحتاج إلى إقامة برهان .

وقد اختلفت أقوال العلماء في السماع، فمنهم من حرمه ومنهم من استحبه، ومنهم من أباحه بأجوبة حسنة، على طريقة المحدثين من الكلام على الرواة و غير ذلك، وآخر ما أورد من ذلك الحديث

الذي أخرجه البخاري: وقال هشام بن عمار بن صدقه بن خالد، بن عبد الرحمان بن يزيد بن جابر، بن عطية بن قيس الكلائي بن عبد الكريم بن غنم الأشعري، أبو عامر وأبو مالك الأشعري :و الله ما كذبني إنه سمع رسول الله ρ يقول: ليكوذن من أمتي قوم يستحلون الخز و الخمر و المعازف .قال ابن حزم :وهذا منقطع لم يتصل ما بين البخاري وصدقة بن خالد قال:ولا يصح في هذا الباب شئ أبدا وكل مافيه فموضوع ،وقال:والله لو أسند واحد منهم فأكثر من طريق التقاة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، لما ترددنا في الأخذ.

ثم ذكر ماروى عمن دون النبي صلى الله عليه وسلم، كما روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما في قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث] إنه الغناء وشراء المغنية

،وأجاب عنه بوجوه منها، أنه لا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، و الثاني قد خالفهم غيرهم من الصحابة و التابعين، و الثالث إن نص الأمة يبطل احتجاجهم بها، لأن فيها [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُزُؤاً]، وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف، ولو أن امرءا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزؤا لكان كافرا ، فهذا هو الذي ذم الله تعالى، وما ذم قط من اشترى لهو الحديث ليتلهى به، ويروح نفسه لا ليضل عن سبيل الله ،وكذلك لو اشتغل عابد عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السنن فهو عاص لله تعالى فاسق ،ومن لم يضيع شيئا من الفرائض استغلالا بما ذكرنا فهو محسن.

قال ابن حزم: واحتجوا -يعني مخالفيه-فقالوا: أمن الحق الغناء أم من غير الحق؟ ولا سبيل إلى ثالث، وقد قال تعالى [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلاَل] قال:وجوابنا وبالله التوفيق: إن رسول الله ρ قال: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية فهو فاسق، وكذلك بكل شئ غير الغناء،ومن نوى به ترويح نفسه ليتقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ،و ينشط بذلك نفسه ليتقوى على البر فهو مطيع محسن وفعله هذا من الحق ،ومن لم ينوي طاعة ولا معصية فهو لغو، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها وقعوده على بابه، متفرجا ومد ساقه وقبضها وغير ذلك من سائر أفعاله.

وذكر بعد ذلك أحاديث تدل على حل السماع، بكل من الشبابة والدف والرقص في الجماعة، كحديث عائشة أن ابا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان تغنيان و تضربان بالدف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه ،فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله ρ وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع مزمارا فوضع اصبعيه في أذنيه ونئا عن الطريق وقال لنافع : مولاه، يانافع هل تسمع شيئا ؟ قال نافع قلت: لا . قال فرفع أصبعيه من أذنيه وقال:كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مثل هذا، فصنع مثل هذا .

قال ابن حزم: ولو كان المزمار حراما لما أباح عليه الصلاة و السلام لابن عمر سماعه ،ولو كان عند ابن عمر سماعه حراما لما أباح نافع سماعه، ولأمر عليه الصلاة والسلام بكسره وبالسكوت عنه وما فعل شيئا من ذلك، وإنما تجنب صلى الله عليه وسلم سماعه، كتجنبه المباح من أكبر أمور الدنيا، كتجنبه الأكل متكئا وان يبيت عنده دينار أو درهم، أن يعلق السترة على سهوة في البيت.على أن هذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه وأنكره.

ثم ذكر ابن حزم حديث الحبشة، الذين كانوا يزفنون أي يرقصون في المسجد في يوم عيد ،قالت عائشة رضي الله عنها :(فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وضعت رأسي على

منكبيه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت)وهو حديث حسن.

إلى غير ذلك من الأخبار والآثار التي يطول ذكرها ،والأصل في الأشياء الحل مالم يثبت دليل على التحريم ،غير أن الذي اختاره المتأخرون من فقهاء الشافعية، مثل الإمام الغزالي و الرافعي و النووي رحمهم الله: إن الغناء بما هو من شعار الخمر من الآلاة المطربة، كالعود و الجنك و الطنبور وسائر المعازف والأوتار، يحرم بتحريم الخمر استعماله والإستماع إليه، وما عدا ذلك ففيه الخلاف ،واختلفوا في التصفيق و الغناء بمجرد الصوت من غير آلة .

نقل الرافعي،أنه مكروه غير محرم وكذا سماعه ،وأفتى الشيخ تقي الدين بتحريم الهيئة الإجتماعية من الدف و الشبابة ،وربما ادعى الإجماع على ذلك ولم يوافق عليه ، واستفتي الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن السماع بالدف و الشبابة من أمد جميل فأجاب :بأن سماع ذلك إن كان ممن يأمن الإفتتان ففيه الخلاف، المعروف في الشبابة والدف وإن لم يأمن الإفتتان فهو حرام.

وقال في القواعد :ومن تحضره المعارف و الأحوال عند سماع المطربات المختلف في تحليلها، كسماع الدف و الشبابة فهو إن اعتقد التحريم، فهو بسماعه محسن بما حصل له من المعارف ،وإن اعتقد تحليلها تقليدا لمن قال به من العلماء، فهو تارك للورع باستماعه محسن بما حصل له.

فظاهر كلامه أن من العلماء من يرى تحليلهما مجتمعين ،على خلاف ما قاله ابن الصلاح: قال ابن طاهر المقدسي: وآخر من كان يبيح استعماله من الأئمة المقتدى بهم، أبو إسحاق ابراهيم الفيروزباذي المعروف بالشيرازي ببغداد، والسبب فيه أنه كان في مبدإ أمره على مذهب أهل الظاهر ،وإنما انتقل عنه إلى مذهب الشافعي، وكان في ورعه وزهده وتخشعه من المحل الذي لا يخفى إلا على جاهل لا يعتد به.وكان في عصره ببغداد وغيرها جماعة من الأئمة من سائر الفرق، يعرفون هذا من مذهبه وسيرته، ولم يظهر من واحد منهم نكيره لفعله ،وحضره من المتأخرين الشيخ عز الدين بن عبد العزيز، وشيخنا الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وغيرهما من العلماء الأعلام أئمة الإسلام. وأما شيخ شيوخنا صاحب العوارف، شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه ،فإنه بعد أن نقل

عن صاحب القوت، أبي طالب المكي أنه قال في السماع :حرام وحلال و شبهة، فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ،ومن سمعه بمعقوله عن صفة مباحة من جارية أو زوجة، كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلب مشاهد لمعان تدله على الدليل، وتشهده طرقات الجليل فهو مباح، فإذن لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والإنكار على من يسمعه، كفعل القراء المتزهدين المبالغين في الإنكار، ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المستهترين به المولعين به، المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الإصرار.

ثم قال:وأما الحركة في السماع فقد استأنسوا إليها، بما روي أن رسول الله ρ قال لعلي: أنت مني وأنا منك فحجل وقال ρ لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال ρ لزيد: أنت أخونا

ومولانا فحجل . يقال حجل الطائر يحجل ويحجل حجلا، إذا نزل في مشيته كما يحجل البعير العقير على ثلاث.

وحكى الماوردي في الحاوي، أن معاوية و عمرو بن العاص مضيا إلى عبد الله بن جعفر، لما استكثر من سماع الغناء وانقطع إليه واشتغل به، فمضيا إليه ليكلماه في ذلك ، فلما دخلا عليه سكتت الجواري فقال له معاوية: مرهن يرجعن إلى ماكن عليه ، فرجعهن فغنين، فطرب معاوية وحرك رجليه على السرير ، فقال له عمرو :أرى من جئت لتلجماه أحسن حالا منك ،فقال له معاوية :إليك عني يا عمرو إن الكريم طروب.

وروى الحافظ محمد بن طاهر، بإسناده إلى أبي العباس الفرغاني، عن صالح بن أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول:كنت أحب السماع وكان أبي يكره ذلك، فدعوت ليلة ابن الخبازة فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام، فأخذ يغني، فسمعت خشفة فوق السطح ،فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع مايغنى، وذيله تحت إبطيه وهو يتبختر فوق السطح كأنه يرقص.

وهذه نبذة ذكرناها في هذا الباب ردعا للمنكرين عن الإنكار، على ماقد يتفق في السماع من بعض الصالحين الصادقين الأخيار.

ثم قال :وقد كرهه المشايخ للمريدين في مبادئ إرادتهم، قبل أن تتمرن نفوسهم بصدق المجاهدات، حتى يحدث عندهم علم

بظهور صفات النفس، وأحوال القلب لتتضبط حركاتهم، وذلك بعد العلم بما لهم وعليهم .

حكي أن ذا النون لما دخل بغداد، دخل عليه جماعة ومعهم قوال، فاستأذنوه أن يقول شيئا، فأذن لهم فأنشد القوال:

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا

وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلق بكى

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على وجهه، والدم يقطر من جبهته ويقع على الأرض، ثم قام واحد منهم ،فنظر إليه ذو النون وقال :الذي يراك حين تقوم، فجلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه، بأنه غير كامل الحال الصالح للقيام، ثم قال: وقد رقص بعض

الصادقين بإيقاع وزن من غير إظهار وجد وحال، ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة، فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا، فجعل حركته في طرف الباطل، لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع، فهي غير مخلة بحكم الحال لما فيها من اللهو، فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التي تجري عليه، من الضحك و المذاعبة و ملاعبة الأهل والأولاد ،ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب، وربما صار عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس.

كما نقل عن أبي الذرداء أنه قال :إني لأستجم نفسي بشئ من الباطل، ليكون ذلك عونا لي على الحق.

قال صاحب العوارف :ولموضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات، ليستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض مآربها، من ترك العمل وتطييب أوقات المهل و المباح ،قد يعد باطلا بالنسبة إلى أرباب الأحوال .

وفي كلام سهل بن عبد الله: إن الصادق يكون جهله مزيدا لعلمه، وباطله مزيدا لحقه، ودنياه مزيدة لآخرته.

ثم قال السري رحمه الله شرط الواحد في زعقته أن يبلغ إلى حد، لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر فيه بوجع .

قال صاحب العوارف :وقد يقع هذا في حق بعض الواجدين نادرا، وقد لا يبلغ الوجد هذه المرتبة من الغيبة، ولكن زعقته كالنفس بنوع إرادة ممزوجة بالإضطرار ،وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات في تمزيق الثياب آكل،فإن ذلك يكون إتلافا للمال وإنفاقا للمحال.

روي أن موسى على نبينا وعليه الصلاة و السلام ،قص على بني إسرائيل ،فمزق واحد منهم قميصه ،فأوحى الله تعالى إليه قل له :مزق قلبك ولا تمزق ثيابك.

وهكذا رمي الخرقة إلى الحادي، لا ينبغي أن يفعله إلا إذا حضرته نية، يجتنبها التكليف والمراءاة قال:وإذا حسنت النية فلا بأس بإلقاء الخرقة للحادي، لما روي أن كعب بن زهير ،دخل على ρ ،

المسجد وأنشد قصيدته التي أولها : (بانت سعاد) حتى انتهى إلى قوله فيها :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فقال له رسول الله ρ :من أنت ؟

فقال:أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ،انا كعب بن زهير، فرمى إليه رسول الله ρ بردة كانت عليه . فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب: أن بعنا بردة رسول الله ρ بعشرة آلاف. فوجه إليه؛ ماكنت لأوثر بثوب رسول الله ρ أحدا ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده، عشرين ألفا وأخذ البردة، وكانت باقية عند الخلفاء إلى عهد الناصر لدين الله .

ثم قال: وكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع،كمتزهد لا ذوق عنده فينكر مالا ينكر، أو صاحب دنيا يحوج إلى المدارة و التكلف، أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده .

قال بعض : الناس في السماع أصناف فمنهم من يسمع بالطبع ويشترك فيه منه الخاص والعام ،فإن للجبلة البشرية استلذاذا للصوت الطيب، ومنهم من يسمع بالحال وهو الذي يتأمل، ما يرد عليه مما يناسب حاله من ذكر عتاب، أو خطاب أو وصل أو هجر أو تأسف أو تعطش، إلى ماهو آت أو نقض لعهد أو تصديق لوعد، أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف ألم فراق وما جرى مجراه. ومنهم من يسمع بالحق وهو الذي سماعه لله وبالله وإلى الله ، فيسمع من

صفاء التواجد بحق لا بحظ، و السماع بالحال فيه شي من الحظوظ البشرية .

قال أبو نصر السراج في كتابه المسمى باللمع في علم التصوف: سمعت أبا عمرو إسماعيل بن نجيد جد أحمد بن يوسف السلمي قال: سمعت أبا عثمان الرازي الواعظ يقول : السماع على ثلاثة أوجه ،فوجه منه للمريدين و المنشدين ،يستدعون بذلك الأحوال الشريفة، ويخشى عليهم في ذلك الفتنة و المراءاة ،و الوجه الثاني للصديقين يطلبون به زيادة في أحوالهم، ويسمعون بذلك ما يوافق أحوالهم وأقوالهم، و الوجه الثالث لأهل الإستقامة من العارفين، فهم لا يغفلون ولا يتآلون على الله، فيما يرد على قلوبهم في حال السماع من الحركة و السكون.

أو كما قال: ثم قال أبو محمد رؤيم بن محمد : إن القوم سمعوا الذكر الأول حين خاطبهم بقوله (ألست بربكم)،فكمن ذلك في أسرارهم كما كون ذلك في عقولهم، فلما سمعوا الذكر ظهرت كوامن أسرارهم فارتعجوا ، كما ظهرت كوامن عقولهم عند إخبار الحق لهم عن ذلك فصدقوا ، وهذا بيان ماذكره من كوامن الأسرار، وهو مما ذكر في سبب ما يجده السالك، عند السماع من الإهتزاز و الإنزعاج و الأذكار ، وسمى قوله (ألست بربكم) الذكرالأول، لأنه أول خطاب خاطب الله به ذرية آدم عليه السلام وقوله فكمن ذلك في أسرارهم، أي خفي ذوق ذلك الخطاب ولذته و حلاوته، في أسرار السعداء من المخاطبين به ،فإن ألذ الخطاب وأحلاه خطاب الحبيب لمن يحبه ويهواه ،وقوله كما كون ذلك في عقولهم أي أوجده وركزه

فيها وفطرها عليه ، فإن وجود الصانع وما يستحقه من صفات الكمال، مركوز في العقول إلا انها قد يعتريها الذهول. قال تعالى: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولن اَللَّه] ،وقال ρ : كل مولود يولد على الفطرة.. .الحديث .

ما قيد من خط العلامة، سيدي عبد القادر الفاسي المذكور في هذا المعنى، و قال الإمام البلوي رحمه الله في رحلته ما نصه :

قال شخص من الفقراء لإخوانه :أحب أن أجتمع وأغني لكم.

فاجتمعوا فغنى لهم:

سلي نجوم الدجا ياطلعة القمر عن مدمعي كيف يرمى فيك بالسهر

ايه بعيشك ماذا أنت صانعة من الجميل فهذا آخر العمر

ثم شهق ومات رحمه الله ،و ذكر أيضا ما هو منقول عن ابن دقيق العيد، انه حضر سماعا وكان هنالك فقير ،فغنى معن أبيات ابن الخياط :

خدوا من صبا نجد أمانا لقلبـه فقد كاد رياهـا يطير بقلبه

وإياكما ذاك النسيم فإنـه متى هب كان الموت أيسر خطبه

أغار إذا آنست في الحي إنـه حذارا و خوفا أن تكون لحبـه

وفي الركب مطوى الضلوع علىجوى متى يدعـه داعي الغرام يلبـه

قال : فقال الفقير: لبيك ورفع رأسه فإذا هو ميت رحمة الله عليه .ثم قال رحمه الله: حدثني ابو محمد النتوخي قال: حدثني جدي عن الشيخ المغربي الصوفي الواعظ، أبي عبد الله الجنان قال : كنت

مع جماعة من اهل التصوف باصبهان في رباط هنالك، واجتمع اصحابنا ليلة في سماع ،فلما كان في أثناء ذلك بعد مضي جزء من الليل والوقت قد طاب، إذ ضرب الباب ضارب فخرج إليه من سمع ذلك، فوجد شيخا طويل القامة عظيم الهامة، على رأسه كرزية و عليه فرجية، و بيده إبريق وعكازة فقال : ماهذا ؟ قلت :سماع اجتمع فيه الأصحاب . فقال : ندخل . فدخل فوجد القائل يقول :

خليلي لا والله ما القلب سالم وإن ظهرت مني شمائل صاح

وإلا فمالي ولم أشهد الوغا أبيت كأني مثخن بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ثم قال له : قل : فقال :

يابانة الوجد لولا رنة الحادي لما تنقلت من واد إلى واد

و لا سألت بنعمان الا راك ولا شربت ماء به يا مقلة الصاد

فقال :

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يطفي لهيب فؤادي

كرر علي حديثهم فلربا لان الحديد لضربة الحداد

فنزع فرجيته وبقي الشيخ عريانا وقال : قل ،فقال :

غرام ووجد و اشتياق ولوعة وما ذاق إنسان من الحب ما ذقت

نحلت فلو علقت في جفن ذرة لطارت ولم تشعر بأني تعلقت

ولو نمت في جفن الذباب معرضا من السقم لم تشعر بأني قد نمت

ولو وضعوني وسط حبة خردل لبانت جوانب الجميع وما بنت

ولو نفس من أنفها قد أصابني من الشوق أو من حر أنفاسها ذبت

قال الشيخ أبو عبد الله الجنان : فصاح الشيخ صيحة عظيمة، وشهق شهقة قوية وخرجت روحه رحمة الله عليه ،ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وجهزناه إلى حفرته، وتركناه في عظيم رتبته .

وقال الإمام المواق في كتابه "سنن المهتدين" مانصه :روى ابن وهب وابن القاسم عن بعض أصحاب سحنون قال: عرست ،فدعوت ليلة عرسي جماعة من أصحابنا، وفيهم رجل من أهل المشرق من أصحاب أحمد بن حنبل، قدم علينا وكنا نسمع منه ،فكان أصحابنا في أول الليل في تغيير وخشوع، ثم أخذوا بعد ذلك في مسائل العلم ،ثم ابتدروا بعد ذلك إلى زوايا الدار يصلون أحزابهم ،فقال الشيخ: أصحاب من هؤلاء ؟ ومن معلمهم ؟ فو الله مارأيت قط أنبل من هؤلاء، وما صحب هؤلاء رجل إلا نبلوه . فقالوا : أصحاب سحنون

.فقال :والله لقد رأيت أصحاب العلماء عندنا بالمشرق، فوالله مارأيت مثل هؤلاء . قال عياض: وكان حمديس ينكره على هؤلاء الذين يجتمعون للتغبير، ويدقون صدورهم. قال: وهو الذي صلى على ابن معتب. قال: وكان ابن معتب هذا ثقة عالما بالحديث، صحيح اليقين بالله، وكان فيه رقة مرّ في طريقه إلى المسجد السبت بدار، فسمع فيها غناء فقرع الباب، فخرج إليه صاحب الدار ،فاستأذنه للدخول فاستحيا صاحب الدار واعتذر،فقال: لابد .فدخل صاحب الدار قبله، وغيب ماكان بين أيديهم ثم أذن له ودخل فسلم وقال:من المتكلم ؟ فقالوا :هذا .فقال :سألتك بالله إلا ما أعدت ماسمعت منك .فقال مغنيهم :

العفو أولى لمن كانت له القدر لاسيما عن مقر ليس ينتصر

أقر بالذنب إجلالا لسيده وقام بين يديه وهو يعتذر

فبكى ابن معتب وخرّ وأنّ ،وردد مرارا وانتحب وقام فقال :تاب الله عليكم وخرج، فتاب صاحب الدار وسار أحمد إلى مسجد السبت .

قال ابن اللباد :فحضرت مجلس الذكر يوم السبت، وابن معتب حاضر وكان له بكاء ونوح ،وكان القراء إذا علموا به، تحركوا فقرأوا وغبروا وأخذوا في تغبير .

دع الدنيا لمن جهل الصوابا فقد خسر المحب لها وخابا

يظل نهاره يبكي ببث ويطوي الليل بالأحزاب دأبا

فتحرك وبكى ثم قرأ قارئ :[يَا عِبَادِي لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ وَلاأَنْتُمْ تَحْزَنون] الآيات الثلاث ،فصاح صيحة شديدة ثم سقط على وجهه، فأقام ساعة وأسنده إنسان إلى صدره وكلم، فلم يتكلم

وقد أغلق عينيه ،ثم قاء شيئا أخضر ،فلما انقضى المجلس وختم بالدعاء، أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذ لا يثبت، فجئنا بمحمل على جمل. فحمل وآخر بالمسجد يبكي كأنه مأثم، وحمل في شق المحمل ورآه ابن عم له ،ثم أتى به داره ،فقاء شيئا أخضر ولم يتكلم وتركناه لنسائه ،فلما كان بعد العشاء الأخيرة توفي رحمه الله، وغلقت الحوانيت كأنه يوم عيد . قال ابن اللباد : وحضرت غسله وقد كسي نورا وضياء بدن، وصلى عليه حمديس ونودي على جنازته : أيها الناس لا تفتكم جنازة ابن معتب شهيد القرآن .

ثم قال بعد بيسير: فالسماع يهيج الشوق إن كان ،ثم شوق حاصل وإن لم يكن، ثم شوق حاصل ،فالسماع يجتلبه فللكسب مدخل في جلب الأحوال ، ولذلك ورد الخبر بالأمر لمن لم يحضره البكاء أن يتباكى، فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها، وكما يجوز للواعظ أن

ينظم كلامه في الوعظ، ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج ، جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب ،وإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات طيبة موزونة زاد وقعه. هـ .من الإحياء

وقد رويته أيضا عن شيخي المنتوري من طريقين، وقد تقدمت حكاية ابن معتب حين سمع غناء بدار مغنيهم يقول :

(العفو أولى لمن كانت له القدر)

فقرع عليهم الباب واستأذن يدخل ،فاستحيا صاحب الدار فاعتذر، فقال له: لابد، فنزل ماسمع على نفسه وخرّ وأنّ وانتحب ،وكان سبب أن تاب صاجب الدار .

وانظر مثل هذا ماحكاه في الرسالة عن السراج أنه قال :كنت أنا وابن القوطي مارّين على الدجلة بين البصرة والأيلة، وإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه جارية تغني وتقول :

كـل يـوم تتلوّن غـير هـذا بك أجمـل

وإذا شاب تحت المنظر بين يديه ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال: ياجارية بحرمة مولاك أعيدي .فأعادت ما قالت، فقال الفقير :هذا والله بلواي مع الحق ،وشهق شهقة خرجت روحه.

فقال صاحب المنظر :أنت حرة لوجه الله ،وخرج أهل البصرة وفرغوا من دفنه والصلاة عليه، فقام صاحب القصر وقال :أليس تعرفوني؟أشهدكم أن كل شئ لي هو في سبيل الله.

فانظر توبة هذين الرجلين السامعين، بصدق سماعهما وكذا قالوا : الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح فيخرج منها كل مليح

،لا يردون على الناس أحجارهم ولكن يفيضون عليهم أنوارهم .قال في التحيير لا يكون بينه وبين احد شئ الا ويصير سبب نجاته حقا كان أو باطلا.

غريبة : قال في كتاب "حياة الحيوان" لما تكلم على العقرب:وعن معروف الكرخي قال: بلغنا أن ذا النون المصري خرج ذات يوم ليغسل ثيابه ،فإذا هو بعقرب قد أقبل عليه كأعظم ما يكون من الأشياء، ففزع فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكُفي شرها ،فأقبلت حتى ولجت النيل، فإذا بضفدع وقد خرج من الماء، فاحتملها على ظهره وعبر بها إلى الجانب الآخر ،فصعدت ثم سعت وأنا أتبعها إلى شجرة كثيرة الأغصان كثيرة الظل، وإذا غلام أمرد نائم تحتها وهو مخمور فقلت :لاقوة إلا بالله اتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى.فإذا تتين قد أقبل يريد قتل الغلام ، فظفرت به العقرب

ولدغت دماغه إلى أن مات ، ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر ، فأنشد ذو النون المصري يقول:

ياراقدا و الجليل يحفظـه من كل سوء يكون في الضلم

كيف تنام العون عن ملك تأتيك منه فوائد النعم

فانتبه الفتى على كلام ذي النون المصري فأخبره الخبر ،فتاب ونزع ثياب اللهو ولبس اثواب السياحة، وساح و مات على تلك الحالة رحمه الله. واسم ذي النون المصري ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض بن ابراهيم.

قال في سنن المهتدين ما نصه : وقد قال تاج الدين في حكمه: من اطلع على أسرار العباد فلم يتخلق بالرحمة الإلهية، كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال إليه.قال شارحها :إن لم يرحم صاحب

هذا المقام المذنبين، و يحلم على الظالمين، ويصفح عن الجاهلين، ويرأف بجميع المومنين، وإلا فيخاف عليه أن يبتلى و العياذ بالله، لأن ذلك يؤديه لرؤية نفسه و التكبر على غيره.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ρ قال: من قال هلك الناس فهو أهلكَهُم روي بالضم والفتح.

وفيه أن رسول الله ρ حدث : أن رجلا قال: والله لا يغفر لفلان، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان ،قد غفرت لفلان وأحبطت عملك.

قال ابن العربي : لكل مومن حجة ،و يقبل الله من خيره مثقال الذرة .وقال في سراجه: ولكل عالم هفوة ولكل عارف حجبة، ولكل خير حدة ولكل صارم نبوة، ولكل عابد شدة ولكل قاصد فترة ولكل سارق وقفة. قال هذا بعد أن قال: لابد من الغفلة من المتقين.

وفي مسند البزار و الطبراني وغيرهما أن رسول الله ρ قال: إن الخصلة الصالحة تكون من الرجل فيصلح الله بها عمله كله، وطهور الرجل لصلاته يكفر الله به ذنوبه وتبقى صلاته نافلة .

وانظر الأثر عن عيسى عليه السلام في جامع الموطأ (لا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبهم كأنكم عبيد ،إنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية).وانظر في الحقيقة هذا وصف الصحابة

الكرام رضي الله عنهم ،قال الله سبحانه [مُحَمَّدٌرَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم] فخص الشدة على الكفار خاصة ،و مـن عدا الكفار فما تم إلا رحمة .في التفسير يدعوا صالحهم لعاصيهم، اللهم بغض المعصية في عينه، اللهم أزل حبها من قلبه، ويدعوا عاصيهم لصالحهم، اللهم ثبته على ماهو عليه من الخير وانفعني به.

قال في "التنوير" :إن لم تنظر العصاة بعين الرحمة خيف عليك. قال:واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن :أكرم المومنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأمرهم بالمعروف وانههم عن المنكر رحمة لهم لا تعززا عليهم.

وقال تاج الدين: واجعل اعتقادك لهم رحمة لهم، وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم ، واقتد بما فعل العارف بالله معروف، فما فعله

هو عين المعروف، عبر هو وأصحابه على دجلة ،فرأى أصحابه سمارية فيها لهو وفسق فقالوا :ياأستاذ ادع الله عليهم، فرفع يده وقال :اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة .فقالوا :ياأستاذ إنما قلنا لك ادع عليهم .

قال:إذا فرحهم في الدنيا تاب الله عليهم،ولا يضركم من ذلك شئ.فالتصقت السمارية في الوقت إلى البر ،وخرجوا كلهم تائبين إلى الله .

وللمقرى مانصه : رقيقة حدثت ،أن بعض فقهاء المشرق اختلس متاعه فهتف بالسالب: قد وهبتكه فقل قبلت.تخلف هذا بالسماح والسماح رباح ورحم ذليل العصيان.

وفي الحديث: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء والراحمون يرحمهم الرحمان فنسأل الله أن يجعلنا رحماء بيننا وأن يشفع محسننا في مسيئنا .

ومن الحلية لأبي نعيم في ترجمة يحيى بن معاذ مانصه :سئل يحيى بن معاذ عن الرقص فأنشأ يقول:

دققنا الأرض على غيب معانيكا

بالرقص لعبد هائم فيكا

ولا عيب على الرقص إذا طفنا بواديكا

وهذا دقنا الأرض

وأنشد أيضا رضي الله عنه:

رضيت سيدي عوضا وأنسا من الأشياء لا أبغي سواه

فيا شوقا إلى ملك يراني على ماكنت فيه ولاأراه

خـلا يستمـطر الجم العطايـا فيعطي منـه أكثر ومـارجاه

وأنشد أيضا رضي الله عنه:

تبـارك ذو الجلال وذو الجمال عزيز الشـأن محمـود الفعـال

سـروري بالسـؤال كي أراه فكيـف أسـر منه بالـنوال

وياذا العـز ياذا الجـود جد لي وغير ماتـرى من سـوء حـالي

وأنشد أيضا نفعنا الله به:

أشكو أليك ذنوبا لست أنكرها وقد رجوتك ياذا المن تغفـرها

وما سؤالي لك في الحشر ياأملي يوم الجـزاء على الأهـوال

تذكرها

أرجوك تغفرها في الحشر ياأملي كنـت في الأرض يامولاي

تسترها

ومن إملاء شيخنا العالم العلامة البركة، سيدي أحمد بن المبارك الفلالي اللماطي نفعنا الله به، في حال قراءتنا التفسير عليه مانصه : لابن العربي في المعافري:

سددت بعصياني وجوه مطالبي فكيف احتيالي والزمان محاربي

أمديدي أم لا أمد ضراعة فقد حرت في أمري وضاقت مذاهبي

إذا قلت ادعو ردني الخوف والحيا وصاحت بي الزلات من كل جانب

فيارب عفوا إن فضلك واسع فلو ضاق عن عبد مسئ لضاق بي

ومما أنشدني العدل الأرضى الأديب، السيد الخياط السقاط لغيره، وأملاه علي في مجلس المذاكرة:

أسير الخطايا عند بابك على وجل مما به أنت

واقف يخاف ذنوبا لم يغب عارف ويرجوك فيها فهو

عنك غيبها ومن ذا الذي راج وخائف ومالك في

يرجى سواك ويتقى أيا فصل القضاء مخالف إذا

سيدي لا تخزني في نشرت يوم الحساب

صحيفتي وكن وليي في الصحائف يصد ذووا

ظلمة القبر عندما لئن القربى ويحفوا الموالف

ضاق عني عفوك الواسع أرجي لإسرافي فإني

الذي فكيف وكل الخلق لتالف فنزر ولو أن المنا

لو أعطي المنا يتضاعف

ومن إملائه علي أيضا :

إذا نظرت لما أسلفت من زلل يكاد يويسني من روحك القنط

وإن نظرت لرحماك التي وسعت كل الوجود تكاد النفس تتبسط

ومن إملائه علي أيضا ما نصه :

أيا رب إن كانت ذنوبي كثيرة وضاقت بأدناها الحواضر والبدو

فإنك ذو عفو وحلم ورحمة ولولا وجود الذنب ماعرف العفو

ومن إنشائه وإملائه علي وأجاد :

يقولون لي إن شئت تظفر بالغنى فشمر إلى أسبابه ذيل أثواب

ألم يكفني ياباسط الرزق أنني جعلت رجائي فيك غاية أسبابي

ومن إنشائه أيضا رحمه الله هذا البيت الأول، وضمه للبيت الثاني لكون الثاني يوجد مفردا:

لقد حق أن تبكي علي النوائح وأنشد طول الدهر و الدمع سائح

فوا أسفي أن لا حياة هنية ولا عمل يرضى به الله صالح

ومن إنشائه رحمه الله :

هفوت وذو السبعين مثلي فخيلت ماقد صيغ من حمإ

قد يهفوا فلا تأمنن قط ابن يصفوا ولو برزت منه

آدم واحترس نصحتك الصداقة و العطف كشفت

عن علم وتجربة وقد وكن لك التحقيق واتضح الكشف

واثقا بالله يكفك غيره ومن رام غير الله قد خانه الشوق

وهنا انتهى الكلام في المقدمة على الصوفي والسماع وغيره، مما ينشأ بسببه بحمد الله تعالى وحسن عونه ،وهذا أوان الشروع في المقصود بهذا التقييد، فنسأل الله سبحانه التوفيق على ذلك و التأييد بمنه وكرمه.

ذكر نسبة مولانا عبد الله الشريف نفعنا الله به

العلية وتوليته رضي الله عنه

لمقام القطبانية

اعلم وفقنا الله وإياك ان من الذين تفضل الله عليهم بالإراثة الكاملة، والدرجة العالية من الولاية الفاضلة و هي مقام القطبانية، وجمع الله له بين النسبتين، نسبة الطين ونسبة الدين بإراثته لهما من سيد الكونين والثقلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم ومجد وعظم .

هو الشيخ الإمام القطب الهمام، قبلة الصلاح ومعدن الفلاح، الذي يستمطر به الغمام، وقدوة الخلائق وواسطتهم بين سيد الأنام ، من أشرقت شموس معارفه على الآفاق، موصل العباد لحضرة الملك الخلاق ، أبو محمد مولانا عبد الله، بن مولانا ابراهيم ، بن مولانا موسى، بن مولانا الحسن، بن مولانا موسى، بن مولانا ابراهيم، ابن مولانا عمر، بن مولانا أحمد ، بن مولانا عبد الجبار ، بن سيدي محمد ، بن مولانا _يملح، بن مولانا مشيش، بن مولانا أبي بكر ، بن مولانا علي ، بن مولانا حرمة ، ابن مولانا عيسى، بن مولانا سلام ، بن مولانا مزوار ، بن مولانا حيدرة، بن مولانا محمد، ابن مولانا ادريس ، بن مولانا ادريس، بن مولانا عبد الله الملقب بالكامل ، بن مولانا الحسن المثنى، بن مولانا الحسن السبط ، بن مولانا علي بن أبي

طالب ، ومولاتنا _فاطمة رضي الله عنها، بنت سيدنا ومولانا محمد رسول الله ρ .

كان رضي الله عنه مجاب الدعاء حسن الأخلاق، يقصد للزيارة من البداوة والحضارة عارفا بالتربية نافعا للبرية رضي الله عنه وأرضاه، هذا هو نسبه الطيني .

وأما نسبه الديني : فورث رضي الله عنه مقام القطبانية، عن شيخه العارف الرباني القطب، أبي الحسن سيدي علي بن سيدي أحمد نزيل صرصر ،عن شيخه البركة أبي مهدي سيدي عيسى بن الحسن دفين الدعداعة المصباحي، عن شيخه القطب الجامع بين الشريعة و الحقيقة أبي عبد الله سيدي _محمد بن سيدي علي بن مهدي الهروي الزمراني المعروف بالطالب دفين باب الفتوح أحد أبواب فاس الأندلس قرب سيدي أبي غالب ، عن شيخه القطب

الرباني أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني دفين القصور بمدينة مراكش ،عن شيخه البحر الفياض أبي فارس سيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين مراكش أيضا ، عن القطب الأشهر والغوث الأكبر مولانا أبي عبد الله سيدي محمد _بن سليمان الشريف الجزولي الحسني صاحب دلائل الخيرات دفين مراكش أيضا ، عن شيخه أبي زيد عبد_الرحمان الشريف أمغار_ ،عن شيخه أبي زيد سيدي عبد الرحمان الهرتاني ، عن شيخه أبي زيد سيدي عبد الرحمان الرجراجي، عن شيخه أبي الفضل الهندي ، عن شيخه أبي العباس أحمد عنوس البدوي، عن سيدنا الإمام القرافي، عن أبي محمد سيدي عبد الله المغربي ،عن الإمام أبي الحسن سيدي علي الشاذلي الشريف الحسني ،عن شيخه القطب الجامع الأكبر ذي النور الأشهر أبي محمد مولانا عبد السلام ابن _مولانا

مشيش الشريف الحسني ،عن ابي زيد سيدي عبد الرحمان الشريف المديني ، عن أبي زيد سيدي عبد الرحمان التنابري _،عن سيدي ابي بكر الشبلي ،عن إمام الطريقة سيدي ابي القاسم الجنيد ، عن أبي البقاء سيدي خالد السري السقطي،عن سيدي أبي معروف الكرخي _ ، عن شيخه سيدي داوود الطائي، عن أبي المودة سيدي حبيب العجمي ، عن سيدي ابي الحسن البصري ،عن سيدنا ومولانا أبي علي سيدنا الحسن السبط، عن والده سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن سيدنا ونبينا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

نشأ هذا الشيخ رضي الله عنه بجبل العلم، من قبيلة بني عروس واستوطن بوزان من قبيلة مصمودة ،و كان في حال طفولته يكثر مواصلة خالة له ،كانت زوجة الولي الصالح العارف بالله، أبي

علي سيدي ومولاي الحسن بن ريسون، فكان الشيخ سيدي الحسن رضي الله عنه، ينوه بأمره ويخبر خالته بعلي قدره ومكانته ومنصبه ، ويقول لها يكون منه كذا وكذا ،إلى أن بلغ رضي الله عنه .فجعل يبحث عن صاحب حاجته ،ومهما ذكر له أحد من الأعيان قصده في أقطار البلدان، وكان من يلاقيه يدله على الشيخ الكامل العارف الواصل ،سيدي علي بن سيدي أحمد المذكور رضي الله عنه ،دلالة إشارة لا عبارة ،فلم يزل جادا في الطلب راجيا وصول الارب،إلى أن قاده التوفيق ،فاجتمع بالشيخ المذكور ،وبلغت النفس مناها وبلذيذ الوصال هناها . وانشدوا :

لقد جاد محبوبي علي بوصله على رغم واش والرقيب بمعزل

فأمسيت في عز الملوك وكيف لا أكون عزيـزا و الحبيب بمنـزلي

فلم يزل رضي الله عنه يتردد إليه ويترقب انعطافه عليه ،إلى أن دخلت شمسه برج شرفها وحان الأوان، وحصل الرضى من الرحيم الرحمان ،جاء رضي الله عنه لزيارة هذا الشيخ سيدي علي بن أحمد ،فقبضه عنه وجعله في بستان يخدم ينقي أشجاره ،ويجري سواقيه وأنهاره ،ويصلح جميع مايحتاج إليه.

سمعت من بعض أصحاب شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا مولاي الطيب ،أن الشيخ سيدي علي بن أحمد رضي الله عنه ،دخل يوما لذلك البستان مع بعض أصحابه فقال له : يا مولاي الشريف ائتنا بشئ من الرمان .فأتاه برمان حامض،فقال له الشيخ :إن هذا الرمان حامض .فأجابه بقوله : والله ماذقته قط ولاعرفت حامضه من حلوه

. فبقي على ذلك زمانا ،وبعد ذلك بعثه لتطوان بقصد قراءة العلم ، فلما كان سائرا بموضع من قبيلة بني يوسف ، سمع التراب والحجر والنبات والشجر يناديه بالنصر والتأييد ، ويقول بلسان فصيح: (الله ينصر مولانا عبد الله الشريف) ، فظن أن ذلك هاتف شيطاني لا رباني، فرجع مسرعا إلى شيخه فزعا ، فلما وقف بين يدي الشيخ ، كاشفه بذلك وقال له : لا تخش مما سمعت هنالك والخير إن شاء الله أمام، ومر عليها ثم رده على طريقه.

وسمعت أيضا من بعض أصحاب شيخنا مولاي الطيب نفعنا الله به، أنه لما وصل لتطوان واستوطن بها ،كان كثير الخلوة ومجانبة الناس، فرأى بعض الناس النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له :(اعط لولدي عبد الله دينارا من الذهب) فاستيقظ و جعل يتفكر

،أين هو هذا الولد ؟ لكونه لا يعرفه ، ثم أخذه النوم ثانيا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، وأمره بما قال له أولا ، فقال: يارسول الله لا أعرفه . فأوقفه بين يديه حتى عرف صفته ونعته، فلما استيقظ جعل يبحث عنه في البلد ،و لم يجد من يعرفه به، حتى وجد جماعة قاعدين بموضع فسألهم، فقالوا : لا نعرفه، إلا أننا نرى رجلا يخرج من تلك الدار عند طلوع الفجر ، فلا يعود إلا بعد صلاة العشاء. فرصده في ذلك الوقت، فلما رآه عرفه فسلم عليه وناوله الدينار ،فامتنع من قبضه ، فقال له الرجل :لابد لك من أخذه وأنا مأمور به وأخبره الخبر ، فقبضه ودعا له بخير،ورجع الرجل فرحا مسرورا بمعرفته، عازما على الرجوع إليه لزيارته، فلما أصبح الصباح وانتشر الضوء ولاح، رحل رضي الله عنه من تلك الدار فارا

بنفسه ، فرجع الرجل من الغد فلم يجد له خبرا ولاأثرا . ثم بعد ذلك رحل إلى مدينة فاس ،فقرأ العلم بها ولازم مجالسه ،وحصل نفائسه .

سمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول : إن الشيخ مولانا عبد الله لقي الشيخ سيدي محمد بن عطية، دفين الرميلة من فاس الأندلس ،وبات عنده بداره مع بعض الإخوان ،وكان في صحن الدار شجرة مغروسة ،فلما أخذ الفقراء في الذكر، فاض في مولانا عبد الله رضي الله عنه حال ، فجاء إلى الشجرة فقلعها بيده ،وجعلها من وراء باب الدار وقال لها : (خلي هذه الليلة لغيرك) ، لما حصل للفقراء من الضيق في صحن الدار بسببها .

ولما توفي الشيخ سيدي علي بن أحمد رضي الله عنه، وذلك عام سبعة وعشرون وألف(1027هـ) ، نزل مولانا عبد الله مدشر (شكرة) من قبيلة مصمودة، و انعزل عن الناس ودخل الخلوة ،فجلس فيها يتعبد نحو أربعة عشر شهرا ،لا يخرج ولا يلقاه أحد إلا رجل من أصحابه، يقال له سيدي عبد الكبير اعلوات الشريف ، فإنه يناوله ما يحتاج إليه ويوصل إليه، ما يتوقف عليه.

سمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول: سمعت شيخنا سيدي الحاج الخياط الرقعي يقول : قال لي سيدي عبد الكبير: ما دخلت على سيدي ومولاي عبد الله في أيام خلوته في وقت من الأوقات ليلا أو نهارا ، إلا وجدته قائما على قدميه يقول:(اللهم صل على سيدنا

محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) ،ولا يفتر عن ذلك إلا إذا كان متلبسا بالصلاة.

قال رحمه الله : كان اليوم الذي فتح الله عليه فيه ، دخلت عليه فوجدته مستلقيا وكان ذلك بغلس فقلت له : ياسيدي أمثلك يتكئ في هذا الوقت ، فهذا وقت استقبال القبلة والإكثار من ذكر الله .

فقال له رضي الله عنه :يا عبد الكبير لا علي الان ،قمت أو اتكأت الآن فتح علي، دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا عبد الله امدد يدك ورجلك،و اقبل من جاءك ،فمن قبلهما فهو آمن من النار.

قال رضي الله عنه : فاعتذرت له بأني ضعيف لا أقدر على ملاقاة الناس، فأعاد علي :يا عبد الله امدد يدك ورجلك و اقبل من جاءك،ف من قبلهما فهو آمن من النار.

قال رضي الله عنه : فاشتكيت له مسألة أخرى من أمر الناس، فأعاد علي: امدد يدك ورجلك واقبل من جاءك ،فمن قبلهما فهو آمن من النار .

وسمعت غير الشيخ يقول :لم يتصدر للخلق حتى أذن له رسول الله ρ خمسا وثلاثين مرة ، فخرج رضي الله عنه وانتصب للناس ،فورد عليه الركبان من كل النواحي و البلدان ، وجعل يعطي الأوراد ويطعم الطعام للوراد .

سمعت مولاي قاسما يقول: قال لي سيدي الحاج الخياط: اطعم هذا الشيخ رضي الله عنه في ليلة واحدة ،أربعة عشر ألفا من الزائرين ،ولم يمت رضي الله عنه حتى ترك من الرجال العارفين

،خمسمائة كلهم يدلون على الله ويوصّلون إليه،وكان ورده كل يوم وليلة من الصلاة المتقدمة ،أربعة وعشرين ومائة ألف .

قلت وهذا من خرق العادة التي ليس للعقل فيها مجال ، وقال مولاي قاسما أيضا: ذكروا عن سيدنا ومولانا عبد الله ،أن رجلا يقرأ القرآن كله في نصف ساعة أو ربع ساعة زمانية ، فقال: الرجال عندهم هكذا بسلكة وهكذا بسلكة ،وأشار برأسه يمينا وشمالا .

وكان رضي الله عنه على قدم شيخه، سيدي علي بن سيدي احمد المذكور في الزهد في الدنيا والعبادة.

سمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول: لما تزوج شيخنا مولاي عبد الله رضي الله عنه، وأراد أن يدفع المهر لم يجد في يده شيئا ،فمر إلى بعض الإخوان ليتسلف منه المهر وكان قدره ستين أوقية ، فبينما هو ماش في الطريق عثر ،فسال الدم من بعض أصابع قدمه،

فأهوى برأسه ليمسحه فرأى صرة في الأرض ،فرفعها وفتحها فوجد فيها ذلك العدد فولى راجعا ؛ ولما كانت ليلة الزفاف ،غسل ثيابه (بتادقة) وراح إلى أهله زهدا منه رضي الله عنه في الدنيا ورفعا لهمته عن الخلق.

ومن الرصاع قال بعض العارفين: رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء، وقبيح بالفقراء أن ينزلوا حاجتهم بغير مولاهم، ويذلوا أنفسهم لأرباب الدنيا بالسعي إليهم،وكثرة الوقوف بأبوابهم موافقين لهم على مآربهم ،تراهم يتزينون كما تتزين العروس ،معتنين بإصلاح ظواهرهم غافلين عن إصلاح سرائرهم ، لقد كانت تسمية أحدهم لو صدق في فقره أن يسمى عبد الكبير، فخرج من هذه التسمية ،فصار يضاف لعدم صدقه إلى عبد الذليل الحقير ،أولئك هم الكاذبون على الله، الصادون العباد عن محبة أولياء الله .

قال ابن عطاء الله رحمه الله : رفع الهمة عن الخلق هي زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق.

قال ولي من الأولياء في هذا المعنى ،وذكر قصيدة يقول فيها :

الله يعلم أنني ذو همة تابى الدنايا عفة

لم لا أصون عن الورى وتطرفا وأريهم عز

ديباجتي أريهم أني الملوك وأشرفا

الفقير إليهم ام كيف وجميعهم لا يستطيع

أسأل رزقه من غيره تصرفا هذا لعمري إن

شكوى الضعيف إلى فعلت هو الجفا عجز

ضعيف مثله فاسترزق اقام بحامليه على شفا

الله الذي إحسانه عم البرية منة وتعطفا

هذه طريقهم رضي الله عنهم وألحقنا بهم ،وجعلنا ممن أحبهم واتبعهم وصلى الله على سيدنا محمد، خليل الله ونيبه ورسوله الكريم وصفيه ، وعلى آله وصحبه وسلم أفضل التسليم (من تذكرة المحبين للرصاع بنصه).

وسمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول: جاء بعض إخوان مولاي عبد الله المجذوبين ليلا، لمصلى الشيخ مولانا عبد الله وقضى حاجته فيه ،فلما جاء رضي الله عنه يصلي صلاة الفجر ،وقعت أصابعه على فعل ذلك المجذوب فقال : من دخل هنا ؟فقالوا : لم نرى أحدا إلا سيدي فلان .فقال : الحمد لله الذي جعل هذا في الأطراف .

يشير بقوله وفعل ذلك المجذوب إلى الدنيا، لأنه رضي الله عنه فهم أن ذلك المجذوب كنّى بفعله عن الدنيا، وأراد الشيخ بقوله في الأطراف الإشارة إلى أحفاده، رضي الله عنه .

فانظر فهم الشيخ رضي الله عنه، أن فعل ذلك المجذوب إشارة إلى الدنيا، لكونها نجسة خبيثة الرائحة، وإنها خسيسة حقيرة عند الله تعالى، لا تساوي عند الله تعالى ،جناح بعوضة كما ورد في الحديث ،وحبها رأس كل خطيئة ،لكونه يوجب الحرص على الجمع والطمع، وقلة القناعة وطول الأمل وتعطيل الفرائض، والغفلة عن ذكر الله والأمن من الحوادث وتسويق التوبة، وبغض الآخرة وكراهية الموت وكراهية لقاء الله تعالى ،فمن حبها تتشعب جميع المهلكات، وقد حذرنا الله تعالى منها ومن الشيطان بقوله:[يَا أَيُهَا النَّاس إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَنَّكُم ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ

اَلْغَرُورِ، َإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ] وقال عز وجل: [اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ، فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا، وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرِضْوَانٌ، وَمَا الحيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُور] وقال تعالى: [فَأَمَّا مَنْ طغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المأْوَى] والآي في هذا المعنى كثيرة وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصى ،فمنها قول رسول الله ρ :حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال ρ :ما من شئ أبغض إلى الله بعد الشرك من حب الدنيا وقال ρ : إن الله لم يخلق خلقا أبغض إليه من

الدنيا، وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها، ولا ينظر إليها إلى يوم القيامة .

وقال أبو سليمان رحمه الله :احذروا الدنيا فإن أولها حلاوة وآخرها سم، واحذروا المعاصي فإن أولها سرور وآخرها ويل وثبور.

وأنشدوا :

شغلت نفسك بالدنيا ولذتها كل سيفنى ويبقى بعده الله

هي الغرور فلا تحمد لذاذتها وكيف يحمد شئ دمه الله

وقال لقمان رحمه الله تعالى لإبنه : يابني إن دارا لا ياتي عليك يوم من الدهر ولا ليلة، إلا ظننت أنك مفارقها لا منفعة بها، فانظر لنفسك ما تتزود منها . وانشدوا :

أرى الدنيا تهدد بانطلاق مشمرة على قدم وساق

فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباق

فأيام تقضى بالأماني وأيام تقضى بالفراق

فوا أسفى على عمر تقضى وياحزني على يوم التلاق

ولأجل ما ذكر زهد فيها العارفون ،وأعرض عن سرورها ولذتها المتقون، قال رسول الله ρ :إذا زهد العبد في الدنيا ورثه الله ثلاث خصال: عزا من غير عشيرة ،وغنى من غير مال ،وعلما من غير تعلم .

وقال الإمام الرصاع في كتابه " تذكرة المحبين " ما نصه : يروى عن بعض أهل الصّفة أنه قال :أتينا جماعة قلنا :يارسول الله أحرق

التمر بطوننا. فصعد ρ المنبر ثم قال: مابال أقوام يقولون أحرق التمر بطوننا ، أما علمتم أن هذا هو طعام أهل المدينة ،وقد واسونا وواسيناكم بما واسونا به ،والذي نفس محمد بيده منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز، وليس إلا الأسودان التمر والماء . فأرشدهم ρ إلى الإقتداء به ولزوم طريقته ،والصبر على مرارة هذه الدار فإنها دار أغيار وأكدار ، ولذلك قيل في صفتها وبيان حال نعتها :

والمرء في سفر وأي مسافر لا يعتريه من الطريق غباره

وعلى قدر أتعاب النفوس في ذات الله تعالى قدر علو المناصب، وورود الفتوحات على القلوب وحلول المواهب .

كان سيدي ابراهيم الخواص كثيرا ما ينشد ويقول :

صبرت على بعض الأذى ودافعت عن نفسي

خوف كله وجرعتها المكروه لنفسي فعزت ولو لم

حتى تدربت ألا رب ذل ساق أجرعها إذا لاشمأزت

للنفس عـزة إذا مددت ويارب نفس بالتعـزز ذلت

الكف ألتمس الغنـى إلى غير من قال

سأصبر جهدي إن في اسألوني فشلت وأرضى

الصبر عزة بدنيائي وإن هي قلت

هذا حال من عرف حقيقة الدنيا وإنها فانية ، وإن الجنة هي

دار البقاء نعيمها دائم وقطوفها دانية ، فقد علم صلى الله عليه

وسلم قدرها ،وبين أمرها للخلائق وحذر وزهد فيها مع تمكنه من زهرتها، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم كثيرا .

ولهذا كان هذا الشيخ سيدنا ومولانا عبد الله رضي الله عنه ونفعنا به، إذا ذكرت الدنيا في مجلسه قام منه، وتركه وانصرف وهو يقول : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله.

فـــوائد

- *الأولـــــى :*

ذكر القاضي فخر الدين في كتاب " الصلاة والبشرى " حديثا مسندا إلى الخضر وإلياس عليهما السلام قالا: سمعنا النبي ρ يقول: إذا جلستم مجلسا فقولوا بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ،يوكل الله بكم ملكا يمنعكم

حتى لا تغتابوا أحدا ، فإذا قمتم فقولوا بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، فإن الناس لا يغتابنكم وبمنعهم الملك من ذلك.

- *الثانيـــة :*

ذكر ابن سبع من طريق محمد بن عمر قال : كنت عند ابي بكر بن محمد بن موسى بن مجاهد فجاء الشبلي رحمه الله، فقام إليه أبو بكر المذكور فعانقه وقبله بين عينيه فقيل له :تفعل هذا بالشبلي ،وأهل بغداد يقولون إنه مجنون ؟

فقال : فعلت كما رأيت رسول الله ρ فعل في المنام ،وقد أقبل الشبلي فقام إليه وقبله بين عينيه

فقلت :يارسول الله تفعل هذا بالشبلي ؟

فقال : نعم ،هذا يقرأ بعد صلاته:[لَقَدۡ جَاءَكُمۡ رَسُولٞ مِنۡ أَنفُسِكُم] الآية ويتبعها بالصلاة علي.

ـ *الثالثـــــة :*

قال سيدي ابراهيم بن هلال :وجدت مقيدا بخط بعض السادات نفعنا الله به ،من المجربات لدفع كل إذاية وقمع كل عدو، وكفاية كل هول وشر. وحلف بالله العظيم أنه ينفع من لازمه مطيعا كان أو عاصيا ،تقول صبيحة كل يوم ومساءه: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم(سبع مرات)، [لَقَدۡ جَاءَكُمۡ رَسُولٞ مِنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُومِنِينَ رَؤُوفٞ رَحِيمٞ] إلى آخر السورة وتكرر [فَإِنۡ تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ الله لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ] (سبع مرات)، وتكرر أيضا [حَسۡبِيَ الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَهُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (سبع مرات).فهذا من الذخائر النفيسة عن سيدي ابراهيم بن هلال رحمه الله ونفعنا به.

ولما توفي سيدي علي بن أحمد في التاريخ المتقدم، ورث سره شيخنا سيدنا ومولانا عبد الله، وحاز بعده أسرارا ومعارف لا يسع في قرطاس كتبها، ولا يستطيع أحد حملها، يغترفها من جده رسول الله ρ بلا واسطة ،ويفرقها على يديه لمن كانت له سعادة سابقة،كل واحد على ما سبق له في الأزل ، قسمة سابقة من الحكم العدل، سبحانه لا إله إلا هو الرحمان الرحيم ، الذي هو بكل شئ عليم .

ثم انتقل رضي الله عنه من مدشر (شكرة) المذكور ونزل (المِقَالَ) ، ثم كثر عليه الوراد ،وضاقت عليهم تلك البلاد ،فارتحل ونزل

وزان بدار سيدي أبي سلهام في القديم نفعنا الله به ،فكان مسكنه بها والمقام إلى ارتحاله لدار السلام ، فانتشر ذكره رضي الله عنه في أقطار الأرض ،حتى ملأ طولها والعرض ،أفاض الله علينا من بركاته، ورزقنا رضاه في حياته وبعد مماته .

فمن عنايته رضي الله عنه :

أنه كان يقول: " دارنا هذه كسفينة نوح من ركبها نجا " .

وكان يقول :" حبوني وحببوني للناس فإن الله تبارك وتعالى، وقفني على باب من الفضل كبير ويمر على كبير" .

سمعت ذلك من شيخنا مولاي الطيب رضي الله عنه، ونحن جلوس بين يديه بدار السقف بداره المباركة ،وذلك أن بعض الإخوان قال له :

ياسيدي سمعنا جدك مولانا عبد الله قال"حبوني وحببوا الناس في .."

فقال مولاي الطيب : كمل كلام الشيخ

فقال : هذا ما كنا نسمع من ساداتنا

فقال رضي الله عنه : قال مولاي عبد الله "حبوني وحببوا الناس في فإن الله وقفني في باب من الفضل كثير" .

قلت وكلام الشيخ مولانا عبد الله هذا ،فيه غاية النصح لعباد الله، لأن النبي ρ قال: المرء مع من أحب. فكان رضي الله عنه

يأمر بمحبته، ليكون من أحبه واقفا معه في هذا الباب وهو باب الفضل، لا أنه قال ذلك فخرا .

ومن عنايته أيضا أنه قال : " من رآنا أو رأى من رآنا إلى أحد عشر لا تمسه النار "، سمعت ذلك ايضا من شيخنا مولاي الطيب نفعنا الله به، وسبب ذلك أننا زرنا بعض الزيارات بقرب وفاة مولاي الطيب بأعوام يسيرة، فلما جلسنا بين يديه بالدار المذكورة، بقصد أن يودعنا ونرجع إلى أوطاننا ، قال له رجل من أهل القيروان كان معنا : ياسيدي مولاي الطيب إذا رجعت إلى بلدي، ويقول لي إخواني هنالك، زرت مولاي الطيب فما قلت له وما قال لك ؟

فقال له رضي الله عنه : إن كان عندك ما تقوله فقله

فقال له : ياسيدي سمعنا من الإخوان إن جدك مولاي عبد الله قال :"من رآنا أورأى من رآنا إلى عشرة لايدخل النار "

فأجابه رضي الله عنه بقوله : ساداتنا إنما يقولون هذا في حالة السكر، وأما في حالة الصحو فإنهم لايقولون، إلا ما قال الله تعالى فمن يعمل ومن يعمل،يشير إلى قوله تعالى: [فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه] . والتفت إلي رضي الله عنه وكنت جالسا إلى جنبه وقال : مولانا عبد الله قال: من رآنا أو رأى من رآنا إلى أحد عشر فلم يقف على عشرة.

وهذا من حسن تربيته رضي الله عنه، إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء، وما أجابه به رضي الله عنه هو الحق، وذلك أن ساداتنا رضي الله عنهم ونفعنا بهم، لا يتكلمون في

حالة الصحو بما يحمل السامع على عدم الخوف، تأدبا مع الحق سبحانه ،ورحمة بالعباد وخوفا عليهم، إذا سمعوا ذلك منهم في حالة صحوهم ، فتروا عن الطاعة لأجل عدالة القائل، فإذا فتروا عن الطاعة انقطع عنهم الثواب، فإذا كانوا رضي الله عنهم غائبين في حضرة الحق، وغلب عليهم الفناء عن أنفسهم وعن الخلق ، خرج ذلك منهم غلبة بشارة للخلق، كما سبق في كلام سيدي أبي مدين من قوله: (فلا تلم السكران في حال سكره..) ؛ ودليل هذا من السنة هو مارواه البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت ردف النبي ρ على حمار فقال:يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله تعالى؟

قلت : الله ورسوله أعلم

قال ρ :فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا

فقلت :يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟

قال: لا تبشرهم فيتكلوا .

فبين الشيخ رضي الله عنه أن هذه البشارة، التي تقع من ساداتنا رضي الله عنهم في حال السكر، لا يتكل العاقل عليها ولينظر إلى الخاتمة فإن الأعمال بخواتمها، فهم وإن كانوا صادقين فيما قالوه ، فلا يدري السامع ما عاقبته، فلا يفتر عن العمل، وليتضرع إلى المولى جل جلاله في الموت على حسن الخاتمة، فقولهم معلق بشرط الموت على الإسلام .

قال الإمام القشيري في "التحبير"في باب معنى قوله تعالى:

[رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ]

،قال بعض المشايخ: لا يغرنك صفاء الأوقات ،فإن تحتها عوارض الآفات.

وفي معناها أنشدوا :

حسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ماياتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فكم من شجرة أورقت وأزهرت فما أدركت ولا أثمرت ،وكم من مطيع أخلص في طاعته وما تخلص في عاقبته ،وكم من مسرور بعبادته ، مغرور بصفاء حالته، تبدوا له خفايا سابقته بما لم يكن في حسبانه وأمنيته .

ومن كلام مولانا عبد الله :

- " *المحقق يقبضه الله والمعاند يفضحه الله ولا تبقى إلا دار عبد الله* "

ومن كلامه أيضا رضي الله عنه

- " *تشف جميع المعاطن ولا يبقى إلا عنصر بوزان يسقى منه أهل المشرق والمغرب*" .

ولما توجهت للزيارة مع مولاي قاسم رحمه الله، أواخر الحجة متم ستة وأربعين ومائة وألف (1146هـ) لوزان، وتلاقينا مع شيخنا مولاي الطيب نفعنا الله به ودخلنا لضريح هذا الشيخ رضي الله عنه،

وجلسنا عند مواجهة قبره، أنشدت بيتين أستمطر بهما معروفه وهما :

قصدت حماك الرحب

يامعدن الفضل عسى يرتوي

اللهفان من غيثك الهطل

فعجل قـراك الرغد للضيف

إنه أتى يرتجي الإحسـان

للصحب والأهل

ويرحم الله الفقيه النبيه الأديب النزيه ، السيد عبد الله بن العالم الأجل المرحوم بكرم الله عز وجل، سيدي عبد السلام جسوس حيث يقول في هذا المعنى:

فيا راكبا بالله وإن جزت

بالحما حما السادة

الأشراف قف متأدبا وأبلغ

عبيد الحي منهم تحيتي

وأنشده في معناه بيتا

مهذبا أفادتكم النعماء مني

ثلاثة يدي ولساني

وكان هذا الشيخ رضي الله تعالى عنه عالما بطريقة الصوفية ،عارفا وماهرا بأحكام التربية، فمن حسن تربيته ما سمعت مولاي قاسما وغيره يقول:

كتب بعض الإخوان إلى الشيخ مولانا عبد الله، يخبره أن امرأة من الجن تراوده أن يتزوجها ، وكتب له يشاوره في ذلك فأجابه رضي الله عنه على ظهر كتابه بقوله:

وعليكم السلام ورحمة الله وبعد .

فاقرأ قوله تعالى: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا] والســـــلام.

ومن كراماته رضي الله عنه

ما أخبرني به سيدي ومولاي قاسم، في هذا المعنى قال لي رحمه الله : كنت أعرف رجلا من أصحاب سيدي محمد بن ناصر رحمه الله، وكان أخذ عنه ولازمه إلى أن مات ،فلم يستخلف من بعده أحدا لاولده سيدي محمدا ولا غيره، وظهر له أنه حصل على شئ وأنه استغنى عن معرفة الأشياخ، فتولته الشياطين وصحبه الجان،وجعلوا ينصحونه في زعمه ويطلعونه على العجائب، مما هو

مخصوص بجنسهم ويطوفونه على قبائلهم، حتى كان يعرف جما غفيرا منهم، فركن لذلك وفتن به،وشغله عن ورده وعبادته ،وجعل يكثر من لغو الكلام والفضول، ويهرتل ولا يعلم ما يقول .

قال مولاي قاسم رحمه الله :فكان ذلك الرجل يحدثني بما وقع له، لما تحقق ذلك من نفسه،ولما سبق له من السعادة ببركة شيخه ، قال لي لما اشتد علي الحال ، جعلت أرقي على الآكام والجبال ،و أنادي بأعلى صوتي :(الغياث الغياث يا أولياء الله الغياث الغياث، تشفعت لكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر ويعين كل من يعرف من الأولياء باسمه، ويكثر من النداء على شيخه .قال : فبينما أنا أنادي في بعض الأيام، إذ أقبلت علي كتيبة من الخيل، فلما دنت مني جاءني عدو من الجن، كان يعرفني وخطفني ووضعني على عنقه وفر بي أمامهم، فجعلت الكتيبة من الخيل تتبعنا، وهو يسبق أمامهم

وهم في طلبه يسمع جريهم وصياحهم، وجعلوا يتأخرون عنا زمرا زمرا، حتى لم يبق في طلبنا إلا أربعة رجال ،اثنان منهم على فرسين أحدهما أدهم، والآخر أشهب واثنان طائران .

قال : فخاض بي في البحر فخاضوا في طلبه، فخرج إلى البر فتبعونا، فلما تحقق الهلاك وتعذر له منهم الفكاك، رماني وفر أمامهم فلحقوه وقتلوه وجاؤوا بي،فقلت لهم : نشدتكم الله أخبروني من أنتم، الذي تفضل الله علي بكم ؟ قال:فقال له صاحب الفرس الأشهب : أنا عبد السلام بن مشيش .وقال صاحب الأدهم :أنا أبو يعزى.

وقال أحد الطيور :أنا محمد بن سليمان الجزولي (أو قال أبو سلهام ، الشك من مولاي قاسم رحمه الله، قال والغالب على ظني أنه قال أبو سلهام). وقال الرابع : أنا عبد الله بن إبراهيم (يعني شيخنا

مولانا عبد الله الشريف نفعنا الله به وحشرنا في زمرته). قال الرجل المذكور ،وقال لي مولاي عبد السلام :عليك بشيخ تجلس أمامه صباحا ومساءا .

قال مولاي قاسم رحمه الله: وكنت أمر مع هذا الرجل لسوق الخميس هنا بفاس، فيلقى به طوائف من الجن، الذين كان يعرفهم حين كان عندهم، يكلمونه ويقضون من عنده حوائج، ويسلفهم ما يحتاجون إليه من الدراهم، فيقول لي: هل تعرف هذا ؟

فأقول: ومن أين أعرفه ؟

فيقول لي: ليس هو من الإنس، هذا فلان من القبيلة الفلانية من الجن، فأتعجب من ذلك رضي الله عنه. ثم إن ذلك الرجل فر بنفسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم،فذكر لنا أنه مات بالحجاز وهو ذاهب رحمه الله.

قلت انظر ما حل بهذا الرجل لما استقل بنفسه وأعجب برأيه، وكان يقال من استبد برأيه زلّ ،ومن اقتدى بعقله ذلّ ،وأحرى في هذا الطريق التي كثرت على الإنسان طرائقها، وتعددت شعبها ومضايقها، وتعدد قطاعها وحسادها، وقلّ أتباعها وقصادها، فيجب إذن على المريد الصادق الذي نور الله بصيرته أن يعرف شيخا يأخذ بيده، ويقوده في ظلام ليل الغفلة حتى يكشف الله حجاب الرين الذي على قلبه، ويصحبه حتى ترسخ في حالته، وتكمل فيه مروءته ويرحم الله القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام رباح

وأحرى في هذا الطريق، الذي لابد لكل مريد فيها من خير، فيجب على المريد الصادق أن يصحب شيخا، يأخذ بيده حتى يكشف الله سبحانه حجاب الغفلة عن قلبه.

قال الشيخ سيدي أبو مدين الغوث نفعنا الله به، ناصحا لأمثالنا ودالا لنا على طريق رشدنا مانصه :

مالذة العيش إلا صحبة

الفقرا هم السلاطين

والساداة والأمرا فاصحبهم

وتأدب في مجالسهم وخل

حظك مهما خلفوك ورا

ولازم الصمت إلا أن سئلت

وقل

لاعلم عندي وكن بالصمت

مستترا وراقب الشيخ في

أحواله فعسى

يرى عليك من استحسانه

أثرا واعلم بأن طريق

القوم دراسة وحال من

يدعيها اليوم كيف ترى

فاستغنم الوقت واحضر

دائما معهم واعلم بأن

الرضى يخص من حضرا

وإن بدا منك عيب فاعترف

وأقم وجه اعتذارك عما

فيك منك جرى وقل عبيدكم

أولى بصفحكم فسامحوا

وخذوا بالعفو يافقرا هم

بالتفضل أولى وهو شأنهم

فلا تخف منهم دركا ولا

ضررا

وبالتفتي على الإخوان جد

أبدا

حسا ومعنى وغض الطرف

إن عثرا يبقى المكان على

أثرهم عطرا يهدي

التصوف من أخلاقهم طرفا

حسن التصوف منهم راقني

نظرا كم تشقت من

أنفسهم نفسا أذكى من

المسك تنفيسا إذا انتشرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهم

بمهجتي وخصوصا منهم

نفرا هم أهل ودي وأحبابي

الذين علوا عمن يجر ذيول

الفخر مفتخرا لازال

شملي بهم في الله مجتمعا

وحبنا فيه موفورا ومفتقرا

بجاه سيدنا المختار صلى

علـيه الله من صادق أوفـى

بما نــذرا

وأنشدوا :

ولله قوم كلمـا كان مشهد رأيت وجوها كلها ملئت حلمـا

إذا اجتمعوا جاؤوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم عن بعضهم

علما

أولئك مثل الطيب كل له شذى ومجموعـه أذكـاه ريحـا إذا

شـما

ففي صحبة هؤلاء فليتنافس المتنافسون ويرغب الراغبون، قال العارف بالله سيدي أحمد بن علي السوسي نفعنا الله به : المطلوب من معرفة الأشياخ، هو الإنطباع بالسر المصون بين يدي العارف المأذون ،من غير ان يكون خالقا للإهتداء، إنما يقسم الله فضله لمن يشاء بيد من يشاء.

وكان هذا الشيخ أعني مولاي عبد الله الشريف كثير الإعتناء بمن انتسب إليه في حياته وبعد مماته ، أخبرني مولاي قاسم رحمه الله قال :

كنت ساكنا بحومة فندق اليهودي من فاس القرويين، وكنت إذا لم يكن علي عذر توضأت، وقمت أصلي ماشاء الله في آخر الليل إلى أن تفتح الأدرب ، وإذا كان علي عذر نمت إلى أن يقوم الناس ،ويمكن

الوصول إلى الديماس ،فقمت في بعض الليالي وماكان عندي حمَام بالدار، فإذا بحمَام دخل علي من الطاقة التي على باب البيت، ونزل على الوسادة التي عند رأسي، فإذا هو رجل وهو مولاي عبد الله الشريف نفعنا الله به، عرفته بالوصف الذي يصفه لنا سيدي الحاج الخياط ،وبما ألقى الله في روعي أنه هو. قال لي:يا ولدي إن كان عليك عذر ،قم ولاتتم به في هذا الوقت واقبض سبحتك، واذكر الله تعالى وصل على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يمكنك الخروج؛ وطار ورجع من حيث دخل نفعنا الله به.

وكراماته رضي الله عنه وفضائله، لاتحصى نسأل الله تعالى أن يتوفانا على محبته، ويحشرنا في زمرته آمين ،ولم يزل رضي الله عنه ساكنا بوزان إلى أن أتته منيته، وكان لقاؤه للحبيب في دار

الحسنى أمنيته ورغبته، وكانت وفاته رضي الله عنه عام تسعة وثمانين وألف (1089هـ) رحمه الله تعالى ونفعنا به.

وأنشدوا :

راحوا وراحت راحتي من راحتي وغدوا فأضحى حبهم لي راحا

فتحوا على قلبي الهموم وأغلقوا باب السرور وضيعوا المفتاحا

وقال الإمام الرصاع في كتابه " تذكرة المحبين " مانصه : كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

لاشئ مما ترى تبقى

بشاشته يبقى الإله

ويفنى المال والولد لم تغن

عن هرمز يوما خزائنه

والخلد قد حاولت عاد فما

خلدوا ولاسليمان إذ

تجري الرياح له والجن

والإنس فيما بينها يردوا

أين الملوك التي كانت

لعزتها من كل أوب إليها

وافد يفد حوض هنالك

مورود بلا كذب لابد من

ورده يوما كما وردوا

ذكر وراثة ولده سيدي محمد

لسره وقيامه في زاويته من بعده

ولما توفي الشيخ مولانا عبد الله رضي الله عنه ،ورث سره القطب الجامع النور اللامع، ولده الرفيع القدر العلم الصدر ،سيدي محمد رضي الله عنه، لكونه أخذ عن والده المذكور في قائم حياته ،وكان والده يشير إليه ويدل أصحابه عليه .

كان رضي الله عنه عارفا عالما زاهدا، ورعا سخيا حافظا للسنة وآدابها، من أعظم فحول هذه الطريقة الصوفية ورجالها، على حالة والده مولانا عبد الله في بغضه للدنيا وأهلها.

سمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول: كان الشيخ سيدي محمد رحمه الله، كبير الزهد وافيا بالعهد، يفني في ذات الله تعالى جميع مايملك من ماله ، ويبغض الدنيا ويبغضها لأهله وأولاده بقوله وفعله وسيرته ووصفه ،لايستطيع أحد وصف محاسنه، وماوقعت عيني على مثل جماله وشكله، فمن معرفته وعلو قدره وكثرة عفوه، وحلمه ما أخبرني به أخونا الشريف النزيه الحسيب النبيه، مولاي الخياط بن الشريف الأرضى، النزيه المرتضى البركة سيدي محمد الشريف القادري ،أنه سمع مولاي قاسما ووالده يقولان:

جاء رجل من أصحاب سيدي محمد بن عيسى نفعنا الله به لزيارة هذا الشيخ المبارك ، فلما رآه سلب عقله فلم يشعر حتى قال :ياسيدي القبول لله .فقبله ودعا له، فلما افترقا أفاق هذا الرجل من غشيته، وخاف على نفسه من أجل شيخه، فرجع مسرعا إلى الشيخ

وقال له : يا سيدي أقلني .فقال رضي الله عنه : لا أقيلك .قال له : ولم يا سيدي ؟ قال له رضي الله عنه : ما قبلتك حتى شاورت النبي صلى الله عليه وسلم في قبولك ثلاث مرات .فقال له : ياسيدي نوما أو يقظة ؟قال له : يقظة .فقال الرجل : أعلي شاورت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .فقال الرجل : علي الإيمان اللازمة لا أقلتُك لا في الدنيا و لا في الآخرة.

ومن حلمه ، ما سمعت أنه كان على قدم جده ، رسول الله صلى الله عليه وسلم، يطارح الغريب وينزل البعيد منزلة القريب ،وكان يجلس إليه العلماء الأئمة فيأخذون عنه الأحاديث النبوية ،ويقتسمون ما ينالون من بركته على السوية،حسبما يأتي في آخر هذه الترجمة مبينا إن شاء الله .

ومن سخائه رضي الله عنه وزهده، وإيثاره غيره من الفقراء على نفسه وأهله ،ما سمعت مولاي قاسما يقول : توجهت لزيارة هذا الشيخ سيدي محمد نفعنا الله به ،في حياة الشيخ سيدي الحاج الخياط ،في سنة قليلة الزرع، خفيفة المطر والضرع ،فوافيت (أربعاء سطة) وقد طلع من الشمس قرصها ،فاشتريت منه خبزة بموزونة ،والناس إذ ذاك يعالجون من الجوع مؤونة، فسرت حتى وصلت إلى وزان، فإذا أنا بمولاي التهامي ولده نفعنا الله به، قدم بقافلة من الإبل تحمل الزرع لكون والده سيدي محمد جمع متاعه وبعثه ليكيله، لقوت عياله وقوت الأضياف الواردين عليه ،فحط أحمال القافلة بباب حرم جده مولانا عبد الله الشريف لكونه راح بها ليلا ، فلما أصبح الصباح وظهر الضوء ولاح، خرج والده سيدي محمد رضي الله عنه، وجلس على غرارة بأعلى الرحل ،وجاء أهل البلد يتلقونه، فجعل يعطيهم المد

والمدين إلى عشرة أمداد كل واحد على قدر عياله إلى أن نفذ الزرع كله، عدا غرارتين أو ثلاث أخذها مولاي التهامي من ورائه وهو يفرقه وأدخلها للدار، فلما فرغ من تفريقه وقام ليدخل داره ،قال له بعض أصحابه الحاضرين: يا سيدي استسلفت جميع حلي العيال واشتريت به هذا الزرع لقوتهم ، ثم إنك فرقت جميعه .

فقال له : ياولدي كفانا الله أمر تعبه وخدمته .

وسمعت مولاي قاسما رحمه الله أيضا يقول :كان هذا الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، يبعث لسيدي الحاج الخياط ألف أوقية أو ما يزيد عليها ،ينفق له ذلك حياكا جدادا وقشاشيب وجلاليب ،ويحمل ذلك إليه في وقت الزيارة، فإذا جاء فصل الشتاء فرقه رضي الله عنه ،في أبناء السبيل وضعفاء ذلك البلد والأراميل نفعنا الله به .

وأنشدوا :

لولا المشقة ساد الناس كلهم فالجود يعدم والإقلال قتال

وقيل حد السخاء أن تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا .

وروى سيدنا جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه سيدي محمد الباقر، عن جده مولانا علي رضي الله عنهم قال: سمعنا جابر بن عبد الله يقول : عهدت أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : (ياجابر قوام الدنيا بأربع، باق مابقيت الأربع ، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ،وغني جواد بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا منع العالم علمه استنكف الجاهل

أن يتعلم منه، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه، فإذا فعلوا ذلك تعسوا ثم انتكسوا فهنالك الويل ثم الويل.

ثم قال : ما من عبد أنعم الله تعالى عليه نعمة، إلا كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يجب لله عليه فيما خوله من النعم عرضها للبقاء، ومن لم يقم في نعمه بما يحب لله عليه عرضها للزوال .

وأنشد علي رضي الله تعالى عنه :

ما أحسن الدنيا إذا أطاع الله من نالها

وإقبالها من لم يواس عرض للإدبار إقبالها

الناس من فضله تاهوا وقيدوا بالغى أقفالها

على الدنيا بأموالهم لو مقالة تالله التي قالها

شكروا النعمة زادتهم والشكر للنعمة أبقى

لئن شكرتم لأزيدنكم لها وواس من دنياك

فاحذر زوال الفضل من سألها يجزي

ياجابر فإن مولاك بالحبة أمثالها

جزيل العطا

ذكر أن رجلا من بني إسرائيل فقد الطعام أياما وليالي، فقالت له زوجته: معي درهم حلال وقد غلبنا الجوع ،فعسى أن تشتري لنا خبزا أو دقيقا ،فأخذه وخرج من منزله، فلقيه رجلان يختصمان ويتشاتمان فقال لهما: ما هذا الشتم والقذف؟فقال أحدهما : هذا ظلمني .قال له: كيف ظلمك ؟ قال : أسلفته منذ أيام درهما فجحده لي، وقال مالك عندي شئ وحلف عليه وهو كاذب . فقال له الرجل : خل عنه وخذ درهمك .

فأعطاه الدرهم ورجع إلى بيته، فقالت له الزوجة : ما فعلت بالدرهم ؟قال : أخرجته لله .قالت : نعم ما صنعت .ثم قالت له : هذا غزل حلال امض به، فبعه واشتر لنا بثمنه طعاما .

فمضى في طريقه فإذا بصياد معه سمكة قد مضى لها يوم، فقال له الرجل:هل لك في كاسد بكاسد ؟قال له الصياد : و ماهو ؟قال له : تأخذ هذا الغزل في هذه السمكة

قال له : رضيت .

فدفع إليه الغزل وأعطاه السمكة ،فأتى إلى منزله وغلب عليه النوم ؛ فصنعتها امرأته وأيقظته للأكل، فلما فرغ أتت بحجر أبيض وقالت له: أتعرف هذا ؟قال لها : لا أعرفه .قالت له : وجدته في بطن السمكة .

والرجل جاهل بالجوهر (فرحم الله أبا عبد الله الجوهري كان يقول : الجوهر لا يعرفه إلا جوهري كذلك الولي لا يعرفه إلا الولي) قال فحمل الرجل الجوهرة إلى رب الصنعة فقال له: هذه يتيمة لا أخت لها تساوي عشرة آلاف دينار ،وإذا حملتها إلى فلان أعطاك عشرين ألفا ،وإن حملتها إلى فلان أعطاك فيها ثلاثين ألفا . فلم يزالوا يتزايدون فيها حتى بلغت الجوهرة مائة ألف ، فقال له الجوهري :ائت بمن يحمل لك المال . فأتى بحمال فحمل له المال ،فلما جاء إلى منزله بعث الله تعالى إليه ملكا في صورة بعض من البشر فقال: أيها الإنسان اعطني من فضل الله تعالى عليك.فقال الرجل: كنت فقيرا فاستغنيت في ساعة واحدة بعد حاجة ،وما جزاء من طلب لله سبحانه ما أعطيه قليلا لعلي أعطيه نصف مالي .

فأعطاه نصف ماله ، فلما حازه المَلَك قال له : هنيئا لك أيها العبد لا

حاجة لي بمالك أنا من بعض الملائكة،ربي أرسلني إليك لنختبرك، فإن وجدتك أعلمتك بمالك عنده وقد وجدتك شاكرا، يقول لك ربك أعطيتك بدرهمك مائة قيراط أجرا، عجلت لك في الدنيا قيراطا واحدا، وبقي لك تسعة وتسعون قيراطا إلى يوم القيامة .فهنيئا له فيما قدمه لنفسه، فلا تبخل بعرض الدنيا واشتر الكثير باليسير، ولا تستعظم متاع الدنيا فهو قليل من قليل . (من كتاب الوعظ لابن فرحون)

ومن زهد هذا الشيخ ، أعني سيدي محمدا رضي الله عنه وورعه ، ما سمعت مولاي قاسما أيضا قال : طلع شيخنا سيدي محمد رضي الله عنه لمكناسة ، بقصد ملاقاة مولانا إسماعيل قدس الله روحه ، فلما بلغنا خبره وأنه بمكناسة خرجنا من فاس لملاقاته

هناك، فلقيناه وزرناه ودعا لنا بخير ، فبينما نحن جالسون بين يديه في الدار التي كان نازلا بها ، إذ جاء بعض الرؤساء من قواد السلطان بقصعة من الطعام ، يحملها أربعة من العبيد ووضعوها بين يدي السيد رضي الله عنه ، وأراد بعض العبيد أن يقف على رؤوسنا بآنية الشراب، فقال له السيد : ضعها، وقف بصحن الدار حتى نفرغ من الأكل. فخرج وقال لنا : دوروا . فدرنا فجعل السيد ينحي الطعام يمينا وشمالا ، ويوهم أنه يأكل فلا يوصل حبة إلى فمه ، فلما رأينا صنعه جعلنا نفعل مثله ، فبقينا هنيئة ثم قال : هات الطاس . فمسح يده وغسلها وقال للعبيد :ارفعوها لصحن الدار وافتحوا باب الدار للمساكين والزائرين . فجعل الناس يدخلون للأكل زمرا زمرا ، حتى لم يبق من ذلك الطعام شئ ورب الدار قائم ينظر فرحا مسرورا .

ومن محافظته رضي الله عنه على السنة وآدابها، ما سمعت مولاي قاسما أيضا يقول: صحبت هذا الشيخ رضي الله عنه حضرا وسفرا ، فكان يبادر إلى الصلاة في أول أوقاتها ، لا يشغله عنها شئ من زينة الدنيا وزهرتها ، وإذا كان في سفر أذن للصلاة بنفسه وأمَّ الناس له صوت حنين ، يؤنس الحزين ويوقظ أهل النجدة و الدين ، وقد توجهت معه لثغر سبتة بقصد الجهاد ، فحططنا الذنوب بفضل الله تعالى في تلك البلاد ، وطفنا على تلك الأماكن، وزرنا من كان بها من المومنين ساكن ، فلله الحمد من قبل ومن بعد .

وسمعت مولاي قاسما رحمه الله أيضا يقول : مات رجل من أصحاب هذا الشيخ رضي الله عنه ، فلما واروه بالتراب وانصرف عنه الناس ، ركز عكازه على قبره وحنا بجبهته على رأس العكازة ،

وبقي ساعة لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد ثم رفع رأسه وانصرف ،

فقال له بعض الأصحاب : يا سيدي رأيناك فعلت ما فعلت ولم نعلم سر ذلك؟

فقال رضي الله عنه : وقفنا مع أخينا حتى أجاب ملائكة السؤال خشية أن يفزع.

قلت ، وهذا الأمر الذي صدر من هذا الشيخ رضي الله عنه ،يدل على رسوخ علمه ومعرفته بسنة السلف رضي الله عنهم ،ويؤيده ما نقله المواق في سنن المهتدين ونصه، انظر أيضا ما جرى به العمل ويرجحه الفضلاء دون من شد عن جماعتهم تلقين الميت عند دفنه .

قال القاضي أبو بكر بن العربي:هو فعل أهل المدينة و الصالحين من الأخيار،وكذلك قراءة يس ،أخرجه أبو داوود ورجحه الأئمة وتأولوا ماورد عن الإمام ، ثم قال بعد هذا بيسير ، وكذلك الخبر الصحيح أيضا عن عمرو بن العاص قال : إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها ،حتى أستأنس بكم وأنظر بماذا أراجع به رسل ربي.

قال ابن العربي وعبد الحق على جلالة قدرهما ،والمفضلان عندي على من يعارضهما ، و النص لابن العربي يستحب حينئذ إذا أدخل الميت قبره أن يلقن ، قال ابن العربي وهذا التلقين مستحب ، قال وهو فعل أهل المدينة والصالحين من الأخيار.

وأخبرني أخونا المسن المرابط السيد الحاج علي المغرق قال ،

زرت مع إخواننا هذا الشيخ المبارك بوزان، فلما كنا جلوسا بين يديه

قلت له : يا سيدي قطع قلبي هم الرزق وخوف الخلق وحب الدنيا .

فقال لي : ياولدي هؤلاء كلاب الله يسلطهم على من يشاء من عباده

،وإن أدخلك مولى الدار فما عليك في الكلاب إذا نبحوا .

فإذا تأملت هذا الجواب وجدته مشتملا على فوائد :

الأولـــى

في قوله كلاب الله ، رده بذلك إلى الله تعالى الذي بيده

الأشياء كلها والمخلوقات بأسرها، تحت قهره وفي حكمه لا يملكون

لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فضلا عن أن يصل منهم شئ لغيرهم، فالهم

بالرزق وما عطف عليه في المشتكى ،من قلة اليقين وعدم التوكل على الله تعالى و الجهل .

وأنشدوا :

توارى بالجدار عن المعاصي وعين الله خالقه تراه

فكر في العباد وخاف منهم ولم يخش الإله ولا أتقاه

أنشدنا شيخنا العالم العلامة ، الهمام الحافظ الأستاذ البركة، سيدي أحمد بن مبارك عند قراءتنا عليه، التفسير عند قوله تعالى:[نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُم فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا] الآيات

وذكر أن ابن عتاب نقل في فهرسته هذه الأبيات :

لما رأيتك جالسا أيقنت أنك للهموم

مستقبلي مالا يكون فلا قرين أبدا وما هو كائن

يكون بحيلة سيكون ما سيكون وأخو الجهالة

هو كائن في وقته يسعى متعب محزون حظا

الحريص في يزاد ويحظى عاجز ومهين

بحرصه

فارفض بها وتعر من إن كان عندك بالقضاء

أثوابها فالهم سيماه يقين ويكون مثوى

مشيب عاجل هون عليك الضرحيث يكون فاخوا

وكن بربك واثقا طرح التوكل شأنه التهوين

الأذى عن نفسه في لما تيقن أنه مضمون

رزقه

وقال ابن فرحون في كتاب الوعظ له ما نصه وأنشدوا :

للناس حرص على الدنيا ولذتها وصفو ذلك ممزوج بتكدير

لم يدركوها بعقل عندما قسمت وأنما أدركوها بالمقادير

لوكان عن قوة أو عن مغالبــة طار البزاة بأرزاق العصافير

الله يرزق قومـا لا خـلاق لهم مثل البهائم في خلق التصاوير

وذكر أنه وجدت صخرة ببيت المقدس مكتوب عليها ست كلمات وهي:

كل عاص متوحش

وكل مطيع مستأنس

وكل خائف هارب

وكل راج طالب

وكل مقتنع غني

وكل حريص فقير

وأنشدوا :

كم من ذكي ذكـي في تقلبـه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف

ومن ضعيف ضعيف الرأي مختلط تخاله من ميـاه البحـر يغترف

وهذا دليل على أن لا إله لـه في الخلق سر خفي ليس ينكشف

وروي أن قوما من الأعراب زرعوا زرعا فلما بلغ ،أصابته آفة فاشتد عليهم ذلك، فخرجت أعرابية منهم فقالت :مالي أراكم جلوسا متغيرة ألوانكم ،ميتة قلوبكم ، هو ربنا فليفعل بنا ماشاء، وليرزقنا من حيث شاء ثم قالت :

لو أن في صخرة في

البحر راسية صما

ململمة ملس نواحيها

رزقا لعبد براه الله

لانفلقت حتى تؤدي

إليه كل مافيها أو كان

فوق طباق السبع مسلكها

لسهل الله في المرقى

مراقيها حتى ينال

الذي في اللوح خط له

فإن أتته وإلا سوف

يأتيها

وقال رجل لأعرابي في فلاة : من أين معيشتك ؟فقال : لو كنا لا نعيش إلا من حيث نعلم لطال جوعنا .

الفائدة الثانية

نبه هذا الرجل بقوله رضي الله عنه (وإن أدخلك مولى الدار ، فما عليك في الكلاب إذا نبحوا) على أن من آوى إلى ربه آواه ، ومن رضي بحكمه وقضائه اجتباه ، ومن قنع بما قسم الله له أغناه ، ومن توكل عليه في أموره كفاه ،ودفع عنه شر هؤلاء الكلاب ،وفتح في وجهه الباب،وأدخله دار رحمته بمحض فضله ورحمته ومغفرته ، قال الله تعالى: [تَوَكَّل عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ] الآية .

قرأ سليمان الخواص هذه الآية فقال : ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وروى الأعمش عن شقيق قال : كنت في جيش فمررنا بأجمة مخيفة ، فإذا رجل نائم فيها ، وفرسه تدور حوله فأيقظناه وقلنا له : ألا تخاف هذه الأجمة؟ فقال : إني لأستحيي من ذي العرش أن يعلم إني أخاف شيئا دونه .

وروى أبو داوود في كتاب "الزهد" له مانصه ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، أن سلمان وعبد الله بن سلام التقيا فقال أحدهما لصاحبه : إن لقيت ربك قبلي فألقني فأخبرني بما لقيت، وإن لقيته قبلك لقيتك فأخبرتك ، فإن أرواح المومنين تذهب في الجنة حيث

شاءت ، فتوفي أحدهما فلقيه في المنام فقال له الميت : توكل وأبشر فإني لم أرى مثل التوكل (قال ذلك ثلاث مرات).

ومن التحبير للقشيري ما نصه: حكي عن بعض المشايخ أنه قال : كنت أخدم شيخا بطرسوس فولدت له بنت في آخر عمره ، فلما قربت وفاته استوصيته فيها فقال لي: تحملها إلى مكة في الموسم وتدعها في الحج وتتصرف، فلما توفي الشيخ امتثلت أمره، وكنت أنظر من بعيد وأرقب حالها كيف تصير ، فمر بها خادم للخليفة فاستحسنها وأخذها ، فدخلت بغداد بعد ذلك بمدة طويلة ، فرأيت البلد قد زين ، فسألت عن السبب فقيل لي أن خادما للخليفة رجع بصبية من الحج، التقطها فاستطرف بها أم الخليفة فاستظرفتها فتبنتها، فلما كبرت زوجتها من ابن الوزير ، وجهزتها

بعشرين ألف دينار ، فعلمت عند ذلك صدق إشارة ذلك الشيخ.

وأنشدوا:

من حط ثقل أموره في باب مالكه استراح

إن السلامة كلها حصلت لمن ألقى السلاح

- ومن حسن أدب هذا الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه وتواضعه، ما أخبرني به أخونا الفقيه السيد عبد الرحمان بن العالم العلامة، الورع سيدي أحمد بن الحاج رحمه الله ، وكان يعدها كرامة لوالده سيدي أحمد المذكور قال : سأل رجل هذا القطب سيدي محمد رضي الله عنه فقال: يا سيدي أرني القطب ؟ فقال له : اذهب إلى فاس ،وفي ثلث الليل الأخير اذهب إلى القرويين قبل أن تفتح أبوابها، وقابل الباب التي يغسل الناس فيها أقدامهم ، فأول من

يدخل ويتوضأ منها ويصلي ركعتين فهو هو. فجاء الرجل وصنع ما أمره به ، وجعل يراقب تلك الباب ، فلما فتحت فاول من دخل منها سيدي أحمد بن الحاج ، فتوضأ وصلى ركعتين ، فلما فرغ من الصلاة قصده الرجل ، فالتفت إ ليه سيدي أحمد المذكور قبل أن يصل إليه ويكلمه فقال له :والله الذي لا إله إلا هو إن الذي ارسلك هو القطب (أقسم على ذلك ثلاث مرات).

قلت وكل منهما صادق فيما أخبر به، فسيدي محمد نفعنا الله به فر من التعريف بنفسه أدبا من قوله أنا ، وأحال السائل على هذا العالم ، ليعرفه به لكونه عالما عاملا مدرسا ، فهو قطب في مجلس علمه وتعليمه، فيصدق عليه اسم القطب لغة، وسيدي أحمد ابن الحاج رحمه الله أخبر السائل عن القطب حقيقة وعرفا، وهذه كرامة لسيدي أحمد ابن الحاج رحمه الله، وأنه من أولياء الله.

– ومثل هذه الحكاية وقعت لرجل، من أصحاب هذا الشيخ أيضا نفعنا الله به، فإنه كان لا يعتقد فيه أنه قطب، فجعل يسأل عن القطب؟ أين هو ؟ فقيل له أنه لا يكون إلا بمكة شرفها الله ، فسافر لمكة بقصد الحج وبقصد ملاقاة القطب ، فحج ولم يلقه ولم يجد من يعرفه به ، فلما جاء من الحج وجلس بين يدي سيدي محمد نفعنا الله به، رق له وعطف فقال : يافلان أغني لك؟ قال : نعم ياسيدي. فقال له رضي الله :

شيخ الكمال ياساداتي كليت وأنا ندور عليه

حجبوني عنه سياتي وأنا قاعد بين يديه

فأكب على قدميه وتاب واعتذر إليه .

ومما وجدته مقيدا بخط الشريف مولاي الطيب ، والد الشريف سيدي محمد الشريف العلمي اليونسي، صاحب كتاب "الأنيس المطرب" ما نصه:

■ *الحمد لله ذكر لنا أخونا في الله الفاضل الخير، الناسك المبرور سيدي الحاج الخياط الرقعي نسبا ،أنه سأل شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا ، سيدي محمد ابن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا مولانا عبد الله الشريف الحسني العلمي عن هذه الصلاة المذكورة، بعد هذا هل هي مروية عن مولانا عبد الله المذكور نفعنا الله به ، فقال له سيدي محمد نفعنا الله به: نعم رواها الشيخ والدنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة يقظة ،وذكر أن ثوابها واحدة بخمسة عشر ألفا ، وهي*

هذه (*اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين عليه وأجر يارب لطفك الخفي في أمري*) ●● .

قلت وسمعت من إخواننا الأخيار، ممن أدرك سيدي الحاج الخياط، رواية أخرى في هذه الصلاة وهي (*اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين عليه وأجر يا مولاي لطفك الخفي علي*) .

ويذكر أن من صلى بها خمس مرات فهي فدية من النار ، فاستأذنت شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي ومولاي الطيب ،أي الروايتين أذكر؟ فقال لي : اعمل من هذه ومن هذه .

وكنت أسمع كثيرا سيدي ومولاي قاسما يقول : قال شيخنا وسيدنا محمد : مانالت الرجال أعلا المقامات، إلا بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت وكان الشريف سيدي محمد صاحب "الأنيس" المذكور قبل، اجتمع مع هذا السيد أعني سيدي محمد في أيام صغره ،وأخذ عنه ورثاه عند وفاته بقصيدة، ووصف بعض محاسنه في كتابه المسمى بالأنيس ، فرأيت أن أذكر بعض ذلك هنا بلفظه ونصه :

قال رحمه الله ، كان هذا الشيخ مجاب الدعوة، حسن الأخلاق مواسيا لذوي الثياب الأخلاق، مقربا لأهل الأخلاق على الإطلاق ، لين الجانب مقربا للأقرباء والأجانب، يطارح الغريب وينزل البعيد منزلة القريب ، وكان يجالس العلماء الأئمة، فيأخذون عنه الأحاديث

النبوية، أكثر ما كان يوصي على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

سمعته يقول: قال رسول الله ρ :أتاني جبريل آنفا فقال: يامحمد من صلى عليك مرة واحدة، صلى الله عليه وملائكته عشر مرات ، ورفع له عشر درجات ومحى عنه عشر سيئات ،ومن صلى عليك مائة مرة صلى الله عليه وملائكته ألف مرة، ورفع له ألف درجة ومحى عنه ألف سيئة، فإن زاد فبحساب ذلك. فقام إليه رجل فقال :يارسول الله أنا أجعل دعائي كله صلاة عليك .فقال : إذا فعلت هذا يكفيك الله همّ الدنيا والآخرة .

وسمعته يقول : بلغنا عن سفيان الثوري أنه قال : رأيت رجلا يطوف بالكعبة وهو يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتر ، فقلت له: يا أخي هذا موضع دعاء وثناء على الله تعالى، ولست أسمع منك إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فما قصتك؟ فرفع رأسه إلي وقال : من أنت يرحمك الله ؟ قلت : أنا سفيان الثوري .قال: و الله لولا أنك سفيان ماأخبرتك .ثم قال : خرجت مع أبي إلى بيت الله الحرام ، فبينما نحن في بعض المنازل ، مرض أبي ومات، فاسود وجهه وازرقت عيناه وصار وجهه وجه حمار ، فبقيت باهتا متعجبا أفكر كيف أغسله وأدفنه على ذلك الحال ،إذ غلبتني عيني وإذا برجل دخل على باب البيت، لا بالطويل ولا بالقصير كثيف اللحية سبط الشعر واضح الجبين ، أدعج العينين دقيق الشفتين، أبيض الثياب طيب الرائحة، فكشف الثوب عن وجه أبي، ومر بيده

اليمنى على وجهه وعينه، فأذهب الله السواد عن وجه أبي والزرقة عن عينيه، وعاد إلى حسنه كما كان، ثم أراد الخروج فتعلقت به فقلت له: من أنت يرحمك الله، فقد منّ الله بك على أبي ؟ فقال : ألم تعرفني ؟قلت : بلى .قال : أنا نيتك محمد ، اعلم أن أباك كانت له سرائر بينه وبين الله تعالى، استحق بها تعجيل العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة ،ولكن كان أبوك لا يفتر في قيامه وقعوده، وبيعه وشرائه وليله ونهاره من الصلاة علي ، فلما نزلت به ملائكة العذاب، سارعت إلي الملائكة الموكلون بقبري وقالوا : يامحمد إن فلانا الذي كانت تأتيك الصلاة من عنده، قد نزلت به ملائكة العذاب، وعسى أن تشفع فيه إلى ربك، فشفعت فيه فشفعني فيه بفضله وكرمه.

أتلومني ياسفيان في كثرة الصلاة عليه وعلى أهل بيته ؟ قال سفيان : والله إنها لفضيلة خصه الله بها، وأنا أفعل ذلك حتى أموت.

وسمعته يقول : بلغنا عن بعض الصالحين قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، فلما قضيت حجي وزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأردت الرجوع إلى أهلي قلت : يارسول الله أنا رجل كبر سني وضعفت قوتي، وكثر أولادي وليس عندي ما أرجع به إليهم. ومازلت أسأله حتى غلبتني عيني ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : يا هذا امض إلى بغداد فاسأل عن محمد بن عبد الله الأنصاري، فإذا اجتمعت معه فقل له :يقرئك السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول لك اعطني ألف دينار، فإن طلب منك إمارة فقل له، إنك تصلي عليه كل يوم ألف مرة، لا يعلم بها أحد إلا الله ،وفي الأمس شككت في العدد وهو صحيح .

فاستيقظت ومشيت إلى بغداد حتى وصلت ، فسألت عنه فدللت عليه، فلما اجتمعت معه وسلمت عليه قلت له :لك عندي أمانة ، فقام إلي فقلت له :رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرئك السلام ويقول لك اعطني ألف دينار، وعلامة ذلك أنك تصلي عليه كل يوم ألف مرة ،لا يعلم بها أحد إلا الله ،وقد شككت الليلة الفلانية في العدد وهو صحيح .

فلما سمع ذلك خنقته العبرة، فأخذ بيدي وأتى بي إلى منزله، وأطعمني وسقاني وأعطاني ألف دينار ثم قال : سألتك بالله العظيم إلا ما وصفت لي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أصفه له حتى غشي عليه ، فلما أفاق أعطاني ألف دينار ، ثم قال:صفه لي .فجعلت أصفه له حتى غشي عليه ، فلما أفاق أعطاني ألف دينار ثم قال : صفه لي.فجعلت أصفه له حتى غشي عليه فاستحييت وخرجت

بثلاثة آلاف دينار، وانصرفت إلى بلدي وأهلي ثم أفاق فقال : أين هو؟ فقالوا : استحيا وذهب. فقال : والله لو وصفه لي مائة ألف مرة، لأعطيته في كل مرة ألف دينار.

ثم قال في "الأنيس" المذكور : ولما توفي شيخنا الإمام العارف بالله الدال كل عبد على مولاه، الولي الصالح الجاري في ميدان المنافع والمصالح، سيدي محمد بن مولانا عبد الله. إلى أن قال : انتدب لجنازته الناس على اختلاف الأجناس، حتى ضاقت بهم الأرض ولم يغن طولها ولا العرض . فاتفق إن لقيني هنالك تلميذه، التقي الأشهر النقي الأطهر، أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن الحسن اليازغي، المعروف بالشبر رعاه الله ،فأقسم علي أن أنشد

قصيدة على ذلك الضريح ،وأملأ الأسماع باللفظ الفصيح و الرثاء الصريح ، فلم تسعني سوى الطاعة، فأنشدت في تلك الساعة :

غاب حبي ولا اشتياقي فأنا اليوم ما لحزني

ابتداء ولدمعي على انقضاء ولقلبي على

الخدود انهمار الجمار اصطلاء دت

يالقومي مااحتيالي وقد بقلبي ليلة ليـلاء

أو بت فيها ولي واشتياق وصبوة وبكاء

صراخ ووجد عند ما طب وما ان يرد عنه

قيل قد قضى نحبه الق القضاء قت إلينا

فاغترتنا الغموم بالكسر الجنون والإغماء

وانسا وبكت حسرة جميعا وأرضنا

على موته النا صالح والسماء أصيبت

ناصح تقي نقي بموته الصلحاء

وهي قصيدة طويلة تركت نقل جميعها للإختصار، ولما فيها من المسامحة لكونه نظمها في حالة الصغر .

وكانت وفاة هذا الشيخ رضي الله عنه ، ليلة الجمعة التاسع والعشرون من المحرم سنة وعشرين ومائة وألف (1120 هـ) رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين .

ذكر وراثة سيدي ومولاي التهـــامي

لمقام والده سيدي محمد ذي القدر

العالي السامي

قال في " الأنيس " ما نصه : أخذ عنه ولده الذي تعلق بالله خلده ، وكثر في مرضاته جلده، حتى زهى به بلد غيره وبلده: أبو عبد الله سيدي محمد التهامي رضي الله عنه ، فكان في حياة والده يلقى عنه الكلف ،ويريه كيف مدافعة الخلق عن السلف ، وكان والده يعجب من حاله ، ويخبر أنه وارث سره بعد ترحاله ، حتى علا قدره ، وطلع في شمس الهداية بدره، فصاح بوالده أجله ، تصحبه خشيته من الله ووجله ، وذلك ليلة الخميس الثامن والعشرين من المحرم الحرام فاتح عشرين ومائة وألف، فقام ولده المذكور مقامه ،وعدت له بين

الأولياء مقامة ولا يتعجب من الشبيه بأبيه ، فهو الآن من تشد له الرحال ، وتنفك عند سماع ذكره الأوصال ،ولا رأيت منذ عقلت ولا حفظت ولا نقلت أحدا، أشد ذكرا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ،و للقيامة وأهوال الموقف وغير ذلك منه رضي الله عنه، مع الإكثار من الدعاء لخاصة المسلمين وعامتهم ، وخصوصا أمير المؤمنين فإنه لا يكاد يغفل من الدعاء له بالنصر و التوفيق والهداية، ويحض الناس على الدعاء له بذلك وكذلك كان والده رضي الله عنه؛ ولاتراه إلا لهجا بالذكر والإستغفار والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير، على ما يقاسيه من حقوق العباد، وإيصال نواله للحاضر منهم والباد ،وكنت إذا جلست إليه أحاول أن أسمع منه كلمة في غير الأمور الدينية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فلا أحفظ له كلمة سوى ذلك، وهو في التبري من الإدعاء والإعجاب بنفسه، والفرار من

الكرامات على أكمل حال، مع تراكم الناس عليه وانحياشهم إليه من كل الأقطار ،وانعقاد إجماعهم على أنه واحد زمانه ،وشد الرحال إليه من أقصى البلاد وأقطار الأرض ، حتى لقد رايت الناس وفدوا برسم الزيارة من البلاد المشرقية، وقرأت أنا غير ما مرة رسائل وردت عليه من الديار المصرية و الشامية والعراقية، مشتملة على طلب الدعاء و التصريح بما لا يسع كتبه من ظهور بركته الواضحة هنالك، على أن تلك الرسائل مشتملة على عدة رجال من أعيان البلاد، والفقهاء والأكابر الثقات العدول ،وأما بلاد الصحراء فأمرها في الإعتناء بشأنه أكثر من أن يقال ،وهو مع ذلك يرى أنه غير أهل لتلك المرتبة وأكثر ما تجده ينشد :

يظنون بي خيرا وما بي من

خير ولكنني الظلوم حقا

كما تـدري سترت عيوبي

كلها عن عيـونهم وألبستني

يارب ثوبا من السـتر

فصاروا يحبوني ولست أنـا

الذي أحب ولكن شبهـوني

إلى الغير فلا تفضحن

يوم القيـامة أعيبي ولا

تخزني اللهم في موقف

الحشـر

وكنت إذا أشكلت علي مسألة، أجابني عنها بآية قرآنية أو حديث نبوي كريم من غير أن يتأمل أو يتردد في ذلك، فأجد لجوابه ولكلامه إيقاعا في قلبي وقشعريرة في جلدي .

ذكرت بين يديه ما احتج به المشركون على إشراكهم من قولهم: [لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا] وقلت له بعد خوض في المسألة، أن حاصل ما أجاب به علماؤنا رضي الله عنهم، أن الدعوة عامة والهداية خاصة، فقال رضي الله عنه: [وَاللهَ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] ، فوالله لكأني ما سمعت هذه الآية قبل ذلك ولا مرت لي على لسان.

وكان رضي الله عنه إذا تكلم في مسألة عويصة ،عدل عنها إلى قياس منطبق عليها من الأشياء المحسوسة تقريبا على الأفهام، وفي هذه المسألة بعينها قال لي مثال ذلك ولله المثل الأعلى، أن رجلا عمد إلى أرض حراثة وزرع فيها من جميع أنواع الحبوب، ثم أمر مناديا يؤذن في تلك الأرض على تلك الحبوب المزروعة ،إلا أن رب الأرض يأمر جميع ما هنا من الحبوب، على اختلاف أجناسها، أن تكون عند النبات كلها قمحا، ومن لم ينبت برا استحق منه أشد العذاب، ورب الأرض سابق في علمه أن كل جنس لا يخرج عند النبات إلا موافقا لجنسه ، فلما كان إبان خروجه خرج كل واحد على حساب مازرع ، فما زرع برا خرج برا وماكان شعيرا خرج شعيرا وهكذا الزراعة الأولى، ولله المثل الأعلى هي خلق الأرواح في الأزل، ورب الأرض هو الباري سبحانه، والمؤذن هو النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه جاء

آمرا من ربه لجميع الخلائق أن يومنوا وتلك هي الدعوة العامة ، ولكن عند بروز الخلائق إلى الوجود، تبع كل واحد ما سبق له في علم القدر ،من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وغير ذلك ، وتلك هي الهداية الخاصة، وأنواع الحبوب المختلفة هي فرق بني آدم، من مومن وكافر ومجوسي ورافضي وقدري ومعتزلي ،وغير ذلك مما لا كثير حاجة في ذكره في هذا المحل رجع .

وكان رضي الله عنه إذا أكثر عليه العوام من أنت ،أنت، تغير لونه لذلك وتكدر صفوه ونظر إلى قائله شزرا ،وقال على جهة الإنكار والرد والتوبيخ :أئلاه مع الله ؛ ثم يقول حاكيا لفظ الآية : [عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَئٍ] وأكثر ما كان يقول في مقام الرجاء، قول ابن عطاء الله رضي الله عنه : لو أنك لا تصل إلى الله إلا بعد

محو مساوئك، وطرح دعاويك لم تصل إليه أبدا ،ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته، وأوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه ،وإذا حدث بسعة رحمة الله تعالى وخفي لطفه ، قال : قال رسول الله ρ : إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة في الدنيا بين الخلائق الإنس والبهائم والهوام بها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده المومنين يوم القيامة .

وسمعته يقول : قال ρ :إذا كان يوم القيامة يامر الله ببسط الرحمة فتبسط ،فيدخل كل مذنب ومذنبة في حواشيها ويبقى الكل خاليا .

وسمعته يحدث عن مقاتل بن سليمان رضي الله عنه قال :

بينما أنا في جماعة من أهل البصرة ، إذ وقفت علينا جارية سوداء وقالت :أفيكم مقاتل بن سليمان ؟ قلت لها : أنا .قالت : مولاتي على الباب تريد أن تسألك. فقمت إليها فقالت :يامقتال أريد أن أسألك ربي وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاتكتم عني شيئا .فقلت : اسألي عما شئت .فقالت: أيغفر الله الذنوب ؟قلت : نعم ،وقرأت: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً] .قالت :صدق الله العظيم ، ما تقول يامقاتل في امرأة زنت بين أبويها أيغفر الله لها ؟قلت : نعم .قالت : يا مقاتل بقي ماهو أكبر من ذلك كله ، أما إنها لما وضعت قتلت ولدها أيغفر الله لها؟ قال: فلما سمعت ذلك وقعت مغشيا علي ،فما أفقت إلا وهي قد كشفت رأسها وهي تلطم خذها وتقول : يا

مقاتل أتؤيسني من رحمة الله وأنت تقول إن الله يغفر الذنوب جميعا ؟قال مقاتل : فقلت في نفسي، إن أنا قلت لا يغفر الله لها كذبت على الله وخالفت كتابه. فقلت : توبي وقومي وتصدقي.فقالت : أشهدك يا مقاتل إن غلماني فلانا وفلانا وجاريتي فلانة وفلانة، وعدتهم كثيرة أحرارا لوجه الله تعالى ، ثم انظرني حتى آتيك.فوقفت على باب المسجد، وإذا بها قد أتت بمنديل فيه ألف دينار وقالت :يا مقاتل تصدق بهذا عني لعل الله يقبل توبتي .قال مقاتل، ومضت .

فلما كان موسم الحج خرجت إلى بيت الله الحرام ، فبينما أنا بالطريق إذا بجارية عليها جبة من صوف وخمار من صوف ، وعلى عاتقها مزودة وبيدها عكازة وركوة ، وهي تمشي بين المحافل ووجهها كدارة القمر. فقلت : أيتها الجارية إن الطريق صعب والسفر بعيد، فلو اكتريت ما رتكبين عليه ؟فقالت : إليك عني يا مقاتل أنا الجارية

صاحبة البلية .ثم خنقتها العبرة. قلت لها : أوبلغ أمرك إلى ماأرى ؟قالت :والوقوف بين يدي الله تعالى غدا اشد واعظم يا مقاتل .

ثم غابت عني فلم أرها حتى انتهيت إلى بيت الله تعالى ،

فبينما أنا أطوف وإذا بالجارية متعلقة بأستار الكعبة في سواد الليل وهي تقول : *اللهم لا تطردني عن بيتك ولا تجعلني أهون خلقك عيك ، إلهي إن أنت لم تغفر لي فمن يغفر لي غيرك، إلهي أنت تجد من يتقرب إليك غيري وأنا لا أجد من يرحمني غيرك*. فقطعنا الطواف وعلا بكاء الناس فقلت : ياجارية قطعت الطواف على الناس،فردت رأسها إلي وهي تبكي وقالت: أما تعرفني يا مقاتل ؟ أنا صاحبة البلية. فضج الناس لها بالدعاء ، ثم اشتقت أن أراها بعد ذلك فلم أرها؛ فلما كان من العام الثاني خرجت أريد الحج ، فبينما أنا في الطريق إذا بعجوز عليها مدرعة صوف ،وخمار شعر وعلى عاتقها

مزود، وبين عينيها مثل ركبة البعير، من أثر السجود، وهي تمشي بين المحافل . فقلت لها : يا عجوز إن الطريق بعيد والسفر طويل، فلو اكتريت لنفسك ؟ فرفعت إلي رأسها وقالت : يا مقاتل أنا صاحبة البلية . فقلت لها : ارفقي بنفسك.فقالت : أخاف من الرحمان أن يحرقني بين أطباق النيران.

فلما سمعت كلامها وقعت مغشيا علي ، فلما أفقت تشوقت إلى رؤيتها ؛ فلما قضيت حجي إذا بمناد ينادي في الطريق : يرحم الله من يحضر جنازة غريبة. فذهبت، فلما فرغنا من دفنها إذا بمناد يقول : يا معشر الحجاج أفيكم مقاتل بن سليمان؟قلت له: أنا . قال : هذه وديعة العجوز .

فدفع لي مزودا ، فأخرجنا منه مدرعة صوف وخمار شعر ،وأحسست بشئ ثقيل في قعر المزود فقلت إنه مال ؛ فقلت : أيها الناس قفوا مكانكم رحمكم الله حتى أخرجه بين أيديكم .

فنفضت المزود ،فإذا فيه قيد حديد وسلسلة وغل ،وفي الغل الدم والقيح،كانت رحمها الله إذا جن عليها الليل، قيدت رجليها وغلت عنقها ويديها ولازالت تصلي إلى طلوع الفجر .

فلما نظر الناس إلى ذلك ضجوا بالبكاء رحمة لها، فلما كانت الليلة القابلة رأيتها في المنام قائمة تصلي في روضة خضراء وهي تقرأ :[يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] .

فقلت لها : ما فعل الله بك ؟فقالت : جزاك الله عني خيرا لما أرشدتني إلى الطريق ،يا مقاتل من تاب، تاب الله عليه إن الله لا يتعاظم عليه ذنب يغفره.

وأخبرني رضي الله عنه بحكاية رأيت أن أذخرها إلى خاتمة الكتاب إن شاء الله .وكان يقول لمن أكثر الدعاء واستبطأ الإجابة، قول ابن عطاء الله رضي الله عنه: " لايمكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح منك في الدعاء موجبا ليأسك ، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك ، لافيما تختاره لنفسك ،وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد" . إلى غير ذلك مما كان رضي الله عنه يتمثل به ،وأبغض الحديث إليه الإطراء عليه؛ فإنه إذا سمع شيئا من ذلك قام من مجلسه، و ظهر أثر الكراهية في وجهه ، وألزم قائل ذلك عدم

العود إليه. وكنت قبل ذلك مدحت أباه بشعر أنكره وأباه ،وأخذ علي أن لا أعود، ولاأجري له ماء المديح في عود ، ثم بعد وفاته عزمت على إخلاف وعده ومدح والده من بعده، وزجرت عن ذلك فأبيت ونهيت فما انتهيت وأنشدت :

والحي قد يغلب ألف ميت

فلا وربك ماوجدت في ذلك الغرض نصف بيت، فمن أجل ذلك لاتجد لي فيهم قافية ،لا فائية ولا قافية، اللهم إلا بعد موت من مات منهم ، واحتجب في سحاب القبر بدره عنهم.

ثم قال رحمه الله في آخر الكتاب: رجع إلى ما وعدنا به في ترجمة الصاحب السر في فن الحكاية، التي أخبرني بها سيدي وشيخي، أبو عبد الله سيدي محمد التهامي الشريف العلمي رضي

الله عنه، أخبرني فقال : "بلغنا أن عبد الملك بن حبيب، روى بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ملإ من أصحابه إذ دخلت عليهم امرأة، تدعى رحمة بنت عبد الله المخزومي ، فجلست بين يدي النبي ρ وقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أذنبت ذنبا فهل لي من توبة ؟ قال : وماذنبك يا جارية ؟ قالت :زنيت وأنا محصنة ذات زوج.فسكت عنها، ثم أعادت عليه وقالت: يا رسول الله طهرني فإني أخاف الموت.فقال : اذهبي حتى تضعي حملك ثم عودي إلي. فذهبت حتى وضعت ، ثم عادت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إني وضعت غلاما . قال: اذهبي حتى ترضعيه حولين كاملين ثم عودي إلي .فقالت : يا رسول الله إني أخاف الموت قبل أن تطهرني .فقال عثمان : يا رسول الله إني أكفل الصبي فطهرها .فقال عليه

السلام لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم : ا ذهبوا بها إلى بقيع الغرقد واحفروا لها حفرة ، فإذا فرغتم من حفرها فأعلموني . فذهبوا بها إلى البقيع فحفروا، ثم أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه السلام، فلما رأته أدركها الجزع ، فقالت : يا رسول الله اتركني حتى أصلي ركعتين.قال : افعلي .

فلبست ثيابها وشدت إزارها، واستقبلت القبلة وصلت ركعتين ، فلما سلمت رفعت رأسها إلى السماء وقالت :(*ارحمني يا من هو الكبير فوق كل كبير ،ارحمني يا من جل عن الشريك والوزير، ارحمني يا من هو بذنوب عباده خبير بصير ، ارحمني يا مطلق المكبل الأسير ،ارحمني يا رازق الطير والطفل الصغير ، ارحمني يا حافظ الخائف المستجير ، ارحمني يا من رفعت إليه الأيدي بالتهليل والتكبير ، ارحمني يا مرسل السماء بالماء الغزير ، ارحمني يا من*

نجى يونس من بطن الحوت وظلمات الغدير ، ارحمني يا كاشف الضر عن أيوب الضرير ، ارحمني يا من جل عن التكييف والتقدير ، ارحمني يا من وقفت عن إدراكه مذاهب التفكير ، ارحمني يا من انقطعت عن علومه جواهر التفسير، ارحمني يا من تنزه عن الشبيه والنظير ، ارحمني يا من يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير ، ارحمني يا من اصطفى محمدا على العالمين ، ارحمني يا من يجيب دعوة المضطرين ، ارحمني يا من تبارك اسمه وجل ثناؤه ، ارحمني يا من تقدست صفاته وأسماؤه ، ارحمني يا من احتجب في ملكوته فلا عين تراه ، ارحمني يا من لا يصف الواصفون عظمة منتهاه ، ارحمني لا يرحم العاصين سواه ، اللهم إني أسألك الإجابة فيما دعوتك، فلا تخيبني من رحمتك، ولا تحرمني من خشيتك، ولا حول ولا قوة إلا بك).

فلما سمع رسول الله ρ دعاءها، اقشعر جلده وبكى بكاء شديدا، وبكى من كان معه من أصحابه فقال : لولا أن الله أمرني بإقامة الحدود ما رجمتها ؛ ثم أخذ صلى الله عليه وسلم حصاة من الأرض، فرماها وهو يبكي، ورجمها من كان معه وهم يبكون ، فلما ماتت اجتمع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عثمان بالطفل فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره وهو يبكي، ودعا الله بدعوات فلم يفرغ حتى نزل ملك الموت، فقبض روح الطفل وكفن مع أمه.

فلما أراد رسول الله ρ الصلاة عليها، إذا بصوت يسمع ولا يرى شخصه وهو يقول : (يا محمد والذي بعثك بالحق، ما في السماوات ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا واستغفر لها وما ماتت حتى رأت مقعدها في الجنة) ثم قال رسول الله ρ : قوموا فإن

جبريل يامرني بالصلاة عليها ، ثم صف الناس وسمع التكبير عليها من السماء ، فكبر المسلمون بتكبير الملائكة ، وقال عليه السلام : كانت الملائكة تحول بيني وبينها فطوبى لها ماذا صارت إليه بعد الممات من النعيم والكرامات. *انتهى بنصه*.

قلت وهذه الأحاديث التي كان يقصها هذا الشيخ رضي الله عنه، على الناس غاية النصح لهم ورشدهم إلى التوبة من الذنوب، والتوبة تجبّ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له كما ورد. وفي الحديث : لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم. والإصرار على الذنوب من الكبائر التي توقع في سخط الجبار، والدخول لدار البوار، إلا أن يعفو الرحيم الغفار بفضله وكرمه.

ومما يؤيد هذا الحديث الذي سمعه صاحب "الأنيس"، من الشيخ مولاي التهامي رضي الله عنه ما خرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب "الحدود" ونصه:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، أن ماعز بن ملك الأسلمي، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت ،وإني أريد أن تطهرني . فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت.فرده الثانية ،فأرسل رسول الله ρ إلى قومه فقال لهم : أتعلمون في عقله بأسا تنكرون منه شيئا؟ فقالوا : ما نعلمه إلا وافي العقل من صالحينا فيما نرى.فأتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه، فأخبروه إنه لاباس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم .

قال فجاءت العامرية فقالت : يار سول الله إني قد زنيت فطهرني. وأنه ردها، فلما كان الغد قالت :يا رسول الله كم تردني لعلك إن تردني كما رددت ماعزا فو الله إني لحبلى.قال : أما الآن لا ،فاذهبي حتى تلدي .فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت :هذا قد ولدته .قال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه .فلما فطمته ، أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت : يارسول الله قد فطمته وقد أكل الطعام .

فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فكره نبي الله ρ سبه إياها فقال :مهلا يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت

توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت.

حدثني أبو غسان ملك بن عبد الواحد المسمعي قال: حدثنا معاذ يعني ابن هشام قال: حدثني أبي عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو قلابة أن أبا المهلب، حدثه عن عمران بن حصين، أن امرأة من جهينة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم، وهي حبلى من الزنى فقالت : يا نبي الله أصبت حدا فأقمه علي .فدعا نبي الله ρ وليها فقال: أحسن إليها ،فإذا وضعت فاتني بها ففعل. فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم، فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر : تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟قال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل

المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها الله عز وجل ؟ انتهى بنصه.

قلت وقد كان هذا الشيخ المبارك، أعني مولاي التهامي رضي الله عنه في حال طفوليته، يخدم جده سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا مولانا عبد الله، وأخذ عنه في حياته، وكان يكلفه المشاق حملا له على مكارم الأخلاق ، وكان يلازمه في الحضر والسفر، وكان كثير التعظيم له .

فمن تعظيمه له وقيامه بحقه وأدبه معه ، ماسمعت مولاي قاسما رحمه الله يحدث عنه أنه قال : كان جده مولاي عبد الله إذا أراد الصلاة، أتاه مولاي التهامي بالوضوء، ووقف على رأسه حتى يفرغ من الوضوء فيقدم له نعله ليلبسها ؛ فبينما هو واقف في بعض

الأيام على رأس جده والنعل في يده ، إذ قالت له نفسه نعل القطب لاتحمل هكذا فاجعلها تحت إبطك، فبقي على ذلك أياما ، فقالت له نفسه نعل القطب لاتكون تحت الإبط فاجعلها على قلبك ، ثم بقي على ذلك أياما فقال نعل القطب لا تحمل هكذا ، فجعل يضعها فوق رأسه ، فإذا فرغ السيد من وضوئه، وأراد أن يرفع رأسه ليتشهد، أزالها بسرعة بحيث لايراه ووضعها له ، حتى كان ذات يوم أخذه رضي الله عنه، شبه السنة فرفع مولاي عبد الله رأسه ليتشهد، فوجد نعله على رأس حفيده مولاي التهامي فقال له : ماهذا ؟فقال : ياسيدي لو كان عندي موضع أعلى من الراس لجعلتها عليه .

فعند ذلك رفع مولانا عبد الله رأسه إلى السماء وقال : " *اللهم نفعه مني كما انتفعت الأرض من السماء* " وأعاد ذلك مرارا .فتأمل

هذا التعظيم وما انطوى عليه من التبجيل والتكريم وما أثمر لصاحبه من الرضى والقبول حتى بلغ به غاية المنا والسّول.

وكان رضي الله عنه من زهاد هذه الأمة وأعلمهم بالسنة ،فمن زهده رضي الله عنه، أنه كانت مسغبة في زمان جده مولانا عبد الله ، فكان مولانا عبد الله يبعث أصحابه، لحفر الجرنين ليطعم به الفقراء والمساكين لقلة الزرع، فكان مولانا التهامي نفعنا الله به يأخذ شبكته ويذهب بها معهم ،فيحفر من جملتهم الجرنين ويملأ شبكته، ويحملها على ظهره ويأتي بها ،حتى كان في بعض الأيام حفر الرأس الأول من الجرنين، فوجد تحته تبرا فرده كما كان، ثم آخر كذلك، ثم آخر كذلك، فجعل يطلب الله تعالى في إخفاء ذلك عنه حتى انتصف النهار ،فخفي ذلك عنه وجعل يحفر، فلم يملأ شبكته على العادة،

فلما جاء سأله جده مولاي عبدالله عن ذلك ،فجعل يعتذر إليه فقال له لابد أن تخبرني ، فأخبره فرضي عنه ودعا له بخير .

ومن بره بأبويه وطاعته لهما وتواضعه رضي الله عنه، أنه كان إذا أراد أحد من الناس زيارة مولانا عبد السلام نفعنا الله به ،ولم يعرف الطريق إليه فيطلب من والده سيدي محمد أن يبعث معه من يدله عليها، فيقول له والده : سر معه ورافقه حتى يزور .فيسير معه على قدميه حتى يوصله ، ويرجع رغبة في رضى أبيه .

ومن غريب ما سمعت ممن يحكى عنه قال : ذهبت مرة لزيارة أخوالي، فأكرموني وأتحفوني بفرس بسرجه جديدا ،فأتيت من عندهم وأنا فرح به، فلم يبق عندي إلا أياما ، وجاء شريف من أولاد

مولاي عبد السلام لوالدي وطلب منه أن يحمله على مركوب ، فدعاني وقال لي : سرج ذلك الفرس وائتيني به في الحال .فلم يمكني إلا الإمتثال ، فلما جئت به دفعه للشريف وقال له : خذه وانصرف راشدا .

وسمعت مولاي قاسما يقول: فقال له بعض الحاضرين لهذه الحكاية :يا سيدي كيف وجدت قلبك في تلك الساعة ؟ فقال له :والله ما وجدت به بأسا ولا ألما، ولو كلفني أكثر من ذلك لحملته حبا وكرامة .

ومن تواضعه رضي الله عنه ، أنه كان إذا جاء الركبان في حياة جده ووالده،وأقبل الليل وأخرج الطعام للأضياف، يخفي نفسه

ويجعل قربة ماء على ظهره وكوزا في يده، ويطوف على الأضياف يسقيهم، ويوصل إليهم من الماء ما يكفيهم .

وكان رضي الله عنه بعد قيامه بأمر الزاوية ، يحمل أولاده على التواضع في صغرهم، والتخلق بأحوال المساكين وحبهم. فمن ذلك ما أخبرني به ولده مولاي عبد الكريم نفعنا الله به قال :كان والدي يشتري للولدان الصغار الذين يخدمون بالباب ، وينظفونها من الأوساخ والأزبال،جلاليب صغارا تلائمهم ، فإذا جاء الشتاء كساهم بها ، وكنت من أقرانهم وفي سنهم، فلما كساهم أعطاني من جملتهم جلابية وألبسنيها بالدار. وخرج رضي الله عنه لملاقاة الناس فآلمني ذلك ولم أرضه ، فنزعتها عني وخرجت ألعب مع الصبيان ، فلما خرجت وجدته واقفا بالباب ، فاختفيت ودخلت بين الناس حتى

جزت، فأبصرني وبعث من يلحقني، فقبضني وأتى بي إليه ، فقال لي :أين الجلابية التي ألبستك؟ فقلت له إذ ذاك وأنا صغير : أنا مثلهم حتى تلبسني جلابيتهم ؟ فأهوى بيده ليضربني، فحال بيني وبينه بعض الحاضرين ورغبه ، فعفا عني وقال لي : إن عظمت نفسك عليهم فأنت أقلهم وإن صغرتها عنهم كنت سيدهم. (أو كلاما هذا معناه)

وأخبرني مولاي عبد الكريم أيضا قال : قلت لوالدي مولاي التهامي: اشتر لي سباطا، وكان الذي برجلي تخرق نعله، فأعطاني موزونة وقال لي : اذهب إلى عمك فلان (رجل بسوق الجمعة يرقع النعال) وقل له أصلح لي نعلي، وقف على رأسه حتى يرقعه لك وألبسه وائتني، فامتثلت أمره، رضي الله عنهما .

وأخبرني أخونا المسن السيد الحسن الركان قال : كنت أرافق سيدي محمد بن مولانا التهامي، بأمر من والده نفعنا الله به، وسيدي محمد إذ ذاك ساكن بأهله ببني زكار، فكان مولاي التهامي يوصيني ويقول : إن أراد ولدي محمد أن يأتي إلينا ،فليأت على قدميه ولا تتركه يركب، فكنت أفعل ذلك .وكان ذلك يشق على سيدي محمد لبعد المسافة ، فاعتذر لي مرة وركب حتى كنا قريبا من وزان نزل وطلع على قدميه ، فدخل على والده مولاي التهامي وسلم عليه ، فخرج مولاي التهامي فسلمت عليه فقال لي : ولدي محمد أتى راكبا أو راجلا ؟ فقلت : راجلا . فزجرني وعبس في وجهي وقال: أتكذب علي؟ فخفت وقلت : أنا تائب إلى الله تعالى . واعتذرت عنه بأنه لم يكن صحيحا، فقبل العذر مني ، وظهر لي السرور في وجهه رضي

الله عنه فقلت له حينئذ :يا سيدي نشدتك الله وتشفعت لك بجدك مولاي عبد الله بماذا عرفت أني كذبت عليك؟

فقال رضي الله عنه : إذا كذب علي أحد خرجت من فمه رائحة كريهة ، فإذا وجدتها علمت أنه كذب علي.

وأخبرني أيضا رحمه الله ، بأنه وقع له مثل هذا مع شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا مولاي الطيب نفعنا الله به ،قال رحمه الله: سألني مرة عن شئ فكذبت عليه فقال: الركّان، أتكذب علي ؟ فبهتّ واعترفت فرضى عني فقلت له : يا سيدي إن أخاك مولاي التهامي،كذبت عليه فلما قال لي مثل مقالتك ،اعترفت بذنبي وتشفعت له بم علم كذبي ، فقال لي إذا كذب علي أحد علمت ذلك برائحة كريهة تخرج من فمه ، وأنت بما علمت كذبي ؟ فقال رضي

الله عنه : من فضل الله علي أن كل من يدخل علي من ذلك الباب وكان جالسا بدار السقف أعرف ما جاء إليه ،وبماذا يتكلم وبماذا ينصرف عني . فقبلت يده وتأخرت.

ومن كمال تواضع مولاي التهامي أيضا، أنه لما حضرت والده الوفاة قال له: يا سيدي دلني على صاحب الوقت بعدك ؟فقال والده : ولم ؟قال : لأنك والدي وشيخي وقدوتي ،وكنت تأخذ بيدي في ظاهري وباطني، وحين جاء هذا الأمر المحتوم ،أردت أن تدلني على صاحب سرك ووارث كنزك ، أخدمه كخدمتك وأحترمه كحرمتك ، فلو ذكرت لي وصيفك فلانا (لعبد كان لهم بالباب) لخدمته .فقال له والده إذ ذاك : ولدي لا يحتاج لخدمة أحد ، ما رحلت من هذه الدار، حتى تركت ولدي كالكعبة التي يصلي الناس إليها ويلهجون بها.

وسمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول: لما توفي الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه ، كان أول من أخذ عن ولده مولاي التهامي ،واستخلفه نحن(يعني نفسه) .قال و إخوانه بفاس ، قال لأننا لما بلغنا نعي والده سيدي محمد ،خرجنا من فاس مسرعين، فلما وصلنا لوزان سلمنا على مولاي التهامي وعزيناه وقلنا له : القبول لله .فقال لنا رضي الله عنه : لا تعجلوا وتشاوروا .فقلنا له : نحن بأمرك متحققون بأنك وارث أبيك .

وأخذ علينا العهد سيدي الحاج الخياط ، أن لا نخفرهذه الدار ،وأنك المخصوص بعد والدك بتلك الأنوار، فلما سمع رضي الله عنه مقالتنا تهلل وجهه وقال: أسعدني الله بكم وبلغ مرادكم وقصدكم ، وعرته في الحين أحوال يقصر عن وصفها المقال . وكل

من تأخر عن استخلافه من تلامذة والده آلت شمسه إلى انكساف، ورجع طالعه إلى انحراف.

ومن كمال تواضعه أيضا رضي الله عنه وتأدبه مع أولياء الله ، أنه أتى مرة هنا لفاس ودخل للزاوية بقصد الصلاة ، فقال له بعض الفقراء وهو داخل للقبة : عليه الحرام لا نقلت قدما ،إلا إذا قلت لي ما مقامك بين الصالحين؟ فاستحيا رضي الله عنه أن يقول قطب ، فقال له : "*أنا أرض وساداتنا الصالحون أشجار* ". فجذب بعض الحاضرين ذلك الفقير وأخره عنه وقال له : أجابك بأنه قطب لأن الأشجار لا تثبت إلا في الأرض .

فانظر رحمنا الله وإياك إلى أي موضع بلغ التواضع صاحبه ،ووصل الأدب راكبه، فأنت ترى الألسن لاهجة بذكره ،فلا تسمع أحدا من الأولياء يذكر كذكره، وفي كل بلد ومكان تسمع مولاي التهامي بإعلان ،حتى اشتهرت كراماته عند النصارى في البحر، فضلا عن وضوحها في كل البلدان، وانتشرت حتى في بلاد السودان.

أخبرني أخونا المرابط الأرضى ،السيد أحمد بير التطواني بوزان، ووجدته جاء زائرا لسيدنا مولاي الطيب نفعنا الله به ،وكان يقف له على متاعه بتطوان، فجلسنا نتذاكر كرامات مولاي التهامي فقال : ركبت في البحر مرة مع بعض التجار وكان معنا مال كثير، فخرج علينا النصارى فغنمونا وأخذوا مالنا ،وحملونا إلى سفينتهم

وربطوا سفينتنا فيها تتبعها ، فصرت أصرخ بمولاي التهامي، وأستغيث به وأتوسل إلى ربي بجاهه ، ولازمت قراءة دلائل الخيرات ، فبينما أنا جالس في يوم من الأيام أقرأ دلائل الخيرات ، فما شعرت برئيسهم إلا وهو قائم على رأسي يقول: تقرأ القرآن؟فقلت له : لا سيدنا محمد .فرجع إلى مجلسه ،ودعاني فأجلسني إلى جنبه وقال للنصارى : إيتوني بكل ما حملتوه من تلك السفينة. فجاؤوا به ووضعوه بين يديه، فأخذ من الذهب أربعمائة دينار وجعلها وراء ظهره وقال لي: ابعث بعض أصحابك إلى سفينتكم، ليقفوا على متاعكم، لئلا يخدعوكم النصارى في شئ منه ، وقال للنصارى : ردوا كل حاجة إلى موضعها كيف كانت . فردوا جميع ذلك وأطلقنا وقال : اذهبوا حيث شئتم .فنجاها الله تعالى من يدهم، ولا أمنا على أنفسنا حتى غاب عنا ولم نر له أثرا ولا عينا .

ومن كمال تواضع هذا الشيخ المبارك أيضا ،وهضمه لنفسه ورغبته في رضى ربه، ورحمته بأمة جده صلى الله عليه وسلم ،ما وقع له مع إمام مسجدهم بوزان .وهو أن رجلا قتل في حد، فجاؤوا به إلى المسجد ليصلى عليه ، فتاخر الإمام المذكور عن الصلاة ، فقال له مولاي التهامي : تقدم فصل عليه. فأجابه بقوله : وصلى عليه غير فاضل ؟فأجابه رضي الله عنه بقوله : أنا غير فاضل .وتقدم وصلى عليه رحمه الله.

ففي جوابه لهذا المتكبر الذي جعل نفسه من الفضلاء فوائد:

-الفائدة الأولى :

في قوله :(أنا غير فاضل) زجر له ورد وتشنيع عليه، لكونه زكى نفسه وعصى ربه وخالف السنة ، قال تعالى : [فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتّقَى] وقد تقدم قريبا أن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى على السيد ماعز وعلى المرأة الجهنية رضي الله عنهما، وما قال له سيدنا عمر رضي الله عنه حين أراد الصلاة عليهما ،وما أجابه به صلى الله عليه وسلم. ففي تأخر هذا الرجل عن الصلاة على هذا الميت جهل بالسنة ،وخصوصا بعد أمر مولاي التهامي له بالصلاة عليه ، فتكبر ورأى أنه من الفضلاء.

-الفائدة الثانية :

في هذه العبارة وهي قوله :(أنا غير فاضل) ، فرار من الكبر الذي هو وصف الجبارين الظلمة المعاندين ،وقد ورد في ذم الكبر والمتصفين به آيات في القرآن العظيم، وأحاديث صحيحة مروية عن

سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى الكريم، فمن الآيات قوله تعالى: [كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ] وقال تعالى:[فَبِئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ] وقال تعالى: [تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] وقال تعالى: [وَلاَ تُصاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] .

قال النووي رضي الله عنه: "معنى [تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ] أي تميله وتعرض عن الناس تكبرا عليهم ، والمرح التبختر" .

وأما الأحاديث فروى النووي في كتاب رياض الصالحين ما نصه:" وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال:لاينظر

الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه . وعنه أن رسول الله ρ قال :بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه يرجل راسه (أي يمشطه) يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة متفق عليه، يتجلجل بجيمبن أي يغوص وينزل" .وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ :لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب من الجبارين فيصيبه ما أصابهم رواه الترمذي وقال حديث حسن، يذهب بنفسه اي يرتفع ويتكبر. انتهى نصه

-الفائدة الثالثة :

في قوله : (أنا غير فاضل) ، تخلق رضي الله عنه بالتواضع الذي هو صفة المتقين الأخيار،وسبب موصل لرضى الرحمان الرحيم الغفار ، وقد ورد فيه آيات وأحاديث عن النبي المختار ρ ، فمن

الآيات قوله تعالى: [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُومِنِينَ] وقال تبارك وتعالى: [يَا أَيُّهاَ الذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَاتِي الله بِقَومٍ يُحِبهُمْ وَيُحِبّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ] .

وأما الأحاديث، فروى النووي في رياض الصالحين ما نصه:"

وعن عياض بن حماد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ : إن الله أوحى إلي أن تواضع حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي احد على أحد . رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال: ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله . انتهى نصه

ومن حسن خلق هذا الشيخ رضي الله عنه ونصحه ،أنه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب وهو :

غَيّبتْ نْظْرِي فنْظـرُ وفْنِيتْ عَنْ كُلْ فَانِي

حَقَّقْت مَا نظـرْتْ غَيْرُ ورُحْتْ والقَلْبْ هَانِي

فقال مولاي التهامي رضي الله عنه : هذا إنما قضى حاجة نفسه ولم يقض حاجة لغيره ، فانا لا أقول هكذا . فقيل له: وكيف تقول يا سيدي؟ قال : أقول :

مـنْ جَـا لحضرتْتَـا يْبْـرَا يمْشِي بقَلْبُ مستْمَنْ

يجِي نحَاسْ يمْشِي نقْرا و سِيدْنا مُحَمّـدْ ضَمن

ومن كلامه رضي الله عنه

" الَّ يحَقَّق ويدَقَّق مَا يصيِب معَ منْ يْترافق "

وقوله : " ال مَا يْتَهوّر علَى شْمَاتَ تَيْدُوَّر " .

-وسمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول : جاء شريف من أولاد مولاي عبد السلام نفعنا الله به، إلى سيدي ومولاي التهامي فقال له : القبول لله .فقال له : من أنت؟ فقال له: أنا من أولاد مولاي عبد السلام .فقال له رضي الله عنه : هذه داركم ،ومن أتى داره لا يحتاج إلى استئذان .فقال له : يا سيدي لا ندخلك على غش ،إني أشرب الخمر وأقطع الطريق، وأتعرض للنساء .فقال رضي الله عنه : الله يتوب علينا وعليك ،ويقبل علينا وعليك .ولقنه الأوراد وذهب ؛ فلما كان العام المقبل خرجنا بقصد الزيارة على العادة ، فوجدنا الشريف

المذكور أتى بقصد الزيارة ايضا ، فلما جلسنا بين يدي الشيخ جلس معنا، فلما أردنا القيام تقدم إلى السيد وقال له : خذ سبحتك .فقال له رضي الله عنه : ولم؟ فقال : كنت أشتري الخمر فمنذ عرفتك وجدت من يأتيني بها بلا ثمن،وكنت أقطع الطريق مع القطاع فاراحوني ويوصلون لي حقي معهم ،وكنت كذا وكذا .فقال له رضي الله عنه : من غير تعنيت ولا قبض ،الزريعة زرعناها وعلى الله النبات.فأجابه الشريف بقوله: يا سيدي الزريعة وجدت الأرض قبيحة فحممت . وحنقته العبرة، ففاض الشيخ رضي الله عنه وقال له : "*زريعة مولانا عبد الله الشريف لا تتحمم تنبت في الحجر* " .

وقال له: قم . فقام.

قال مولاي قاسم رحمه الله، فلما جاء وقت الزيارة ،خرجنا لزيارة الشيخ فلم نجد الشريف المذكور هنالك ،وأذن لنا الشيخ

مولاي التهامي في زيارة مولاي عبد السلام ، فلما وصلنا لذلك الضريح المبارك ، وجدنا ذلك الشريف لائذا بذلك المقام ، وهو يذكر الله تعالى ورأسه عريان والرجل حفيان ، فسألنا الشرفاء عنه فقالوا : هذه نحو ستة أشهر نزل به هذا الحال، يظل صائما ويبيت قائما رضي الله عنه.

ومن عنايته رضي الله عنه ، ما أخبرني به الرجل الصالح الطالب الأجل، التالي كتاب الله عز وجل، السيد الحاج المهدي الصحراوي رحمه الله قال :كان الفقيه الأجل، التالي كتاب الله عز وجل ،المدرس سيدي محمد المشاط صاحبي ورفيقي، ولم تكن له معرفة بشيخي سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف ، فطلب مني الفقيه المذكور مرافقته لزيارة مولانا عبد السلام ،فامتنعت

لكونه لا يمر على طريق وزان ، فكرهت مرافقته لأجل ذلك؛ فبينما أنا يوما في الدار والدق على الباب، فخرجت أنظر فإذا هو قائم، والطلبة الذين يقرأون عليه معه ، فلما رآني قال لي :هؤلاء الطلبة أتيت بهم شفعاء إليك، لترافقني لزيارة مولانا عبد السلام. فأجبته لما طلب، فخرجنا وأنا رابع أربعة، هو وولده السيد محمد والعبد الفقير، وطالب من الطلبة الذين يقرأون عليه، وليس فينا راكب سواه ، فلما وصلنا لأرض (سهب الخرواع) بتنا بعزيب هنالك لسيدي أحمد بن عبد الله أمعان، وبلغ في غاية التعب والنصب، وأخذته حمى ، فهم بالرجوع إلى وطنه، خوفا من طول المرض الذي نزل به ، فاخذت برنسي وانعزلت عنه ، فقال :ما هذا؟فقلت:خرجت لله فلا أرجع إن شاء الله ،إلا إذا زرت شيخي سيدي محمد بن عبد الله. فعظم عليه الأمر، وضاق ذرعا من أجل ذلك المرض ، فلما رأيته على

ذلك الحال قلت له: إن نويت زيارة أهل وزان ذهبت الحمى وسارت البغلة .فقال : اعرف ما تقول .قلت : وأنت اسمع مني القول .قال : نويت زيارتهم لعلي أنال بركتهم .فوالله ما هو إلا أن جاء أهل المنزل بالطعام، ارتفع عنه ذلك الألم، وركب فجعلت البغلة تسير وسهل الله تعالى كل أمر عسير ، فمشينا نحو المسافة فقال : أين المبيت اليوم؟فقلت : في بلاد سطة .فقال : إن كان أصحابك ساداة وبهم تقضى الحاجات ، فلا أتعشى في هذه الليلة إلا لحم الضأن،وخبز الخالص .فقلت : أعطيت ذلك .فقال ولده:ليست هذه شهوتي ، بل شهوتي الكسكسون الخالص والدجاج .فقال الطالب : ليست هذه شهوتي ، بل شهوتي الثريد والعسل .فأجبت كل واحد منهم إلى ما سأل ، ثم سرنا شيئا يسيرا وقال : بقيت لي مسألة .قلت : قلها . قال

: لا أعلف بغلتي من هذا الشعير الذي عندي .فقلت في نفسي الآن أمد رجلي، فقلت : وهذه أيضا عندي.

فرحنا لمدشر المصدر بسطة ونزلنا بإزاء الجامع ، فسألنا بعض الطلبة:من أي موضع جئتم وإلى أي موضع قصدتم ؟قلنا : جئنا من فاس وإلى وزان القصد إن شاء الله .فقال : اربطوا البغلة هنالك، وإن احتجتم شيئا من الشعير ، فها هو في الجامع لمولاي التهامي فخذوا منه حاجتكم.فقلت هذه واحدة ، فلما صلينا المغرب وقرأ الطلبة الحزب ، إذا شخص ينادي : يا فقراء .فقلت لولد الفقيه : قم اقبض عشاء أبيك.فقام فجاء بشهوة أبيه كما طلب أوأحسن ، فلما صلينا العشاء وانصرف الناس، وإذا بشخص ينادي: يا فقراء. فقلت للولد : قم واقبض عشاءك .فأتى بعشائه على الوصف الذي أحب، فقال الطالب: أنا لا أسمح في عشائي .فبقينا نحو ساعة زمانية حتى

ارتاب ، وأنا أصبره و أقول له: أخروه لك زادا . فنام ، فإذا شخص ينادي : يا فقراء . فأيقظته وقلت: قم اقبض شهوتك. فقام فأتى بطبق مملوء ثريدا وإناء مملوء عسلا، فرفعنا ذلك زادا للغد .

فلما وصلنا وزان تلقانا مولاي التهامي نفعنا الله به ، وفرح بنا ولقي الفقيه مع والده سيدي محمد ، وسألني عن سبب قدوم الفقيه فأخبرته ، ومن الغد ودعنا وزودنا بخير زاد ، وأمرنا بالرجوع إليهم .

فلما زرنا رجعنا على طريقنا ، فأقبل رضي الله عنه علينا وأضافنا وأكرمنا، ولما عزمنا على الرجوع إلى أوطاننا ،أعطى الفقيه ما يقرب من الثلاثين أوقية وقال له : اجعلها في جيبك لتدخل بها على أهلك .

فلما وصلنا عقبة (كَبكب) من بلاد (لمطة) التفت الفقيه إلي، وكان في كلامه قلق وقال : الحاج المهدي.قلت : نعم .قال: أما شرف

هؤلاء السادات فما عندي ما أقول فيه، وأما الولاية فما رأيت شيئا .وجعل يكرر مارأيت شيئا ، فكأنما ضربني بخنجر، فسكت عنه ولم أجبه ، فلما وصلنا إلى ديارنا وجلسنا بعض الأيام تذكرت مقالته، فغضبت وحلفت أني أشتكي به لشيخي سيدي محمد . فخرجت مسرعا أمشي على قدمي ، فلما وصلت إلى وزان ،لقيني مولاي التهامي بباب ضريح جده مولانا عبدالله، فسلمت عليه فقال:ماجاء بك؟ فأخبرته الخبر، فقال: لا تقل لوالدي شيئا " *الذي يكره دارنا يربط العدة فيها* ".

فزرت والده ورجعت ، فما لبثنا إلا أياما، وجاء الإعلام من قبل السلطان مولانا إسماعيل، بقبض الفقهاء والعلماء ليوافقوا على مسألة الحراطين ، ويكتب كل واحد منهم بخطه على صحة ذلك ، ففر الفقيه المذكور بأهله وولده إلى وزان ، واستجار بساداتنا

الشرفاء الأعيان ، فأقبلوا عليه وأكرموه ،وصدروه للقراءة هنالك وعظموه ، وسكن هنالك إلى أن انكشفت تلك الظلمة، وانزاحت عن هذه المدينة الإدريسية تلك الغمة، فرجع الفقيه المذكور حينئذ لوطنه ، وصار يخبر الناس بمناقب هؤلاء السادات وما رأى معهم من الكرامات ، حتى كان يقسم ويقول: والله لو كان نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم لكان مولاي التهامي رضي الله عنه.

ولما ذكرت هذه المقالة لشيخنا الفقيه، العالم العلامة سيدي محمد بن موسى قال: ■أنا سمعت الفقيه المشاط يقول ذلك مشافهة، ويثني على هذا الولي المبارك غاية الثناء●●.

ومن كراماته نفعنا الله به :

ما أخبرني به ولده مولاي علي، القاطن عندنا بفاس ، قال رضي الله عنه:كنت ساكنا بسطة ، فمرضت أذني بمرض ألمني غاية الألم، حتى كنت لا أنام ولا أستلذ طعاما ، وبقيت على ذلك ما ينيف على الشهر ، وعالجتها بكل علاج بل زاد ذلك المرض وهاج ، فركبت وقصدت والدي لوزان ، فدخلت عليه فوجدته يأكل بطيخا ، فلما جلست بين يديه ، جعلت أبكي وأشكو إليه دائي ، فأخذ قطعة من ذلك البطيخ وأكل لحمها وناولني القشرة وقال : ■ ادهن بها أذنك كلها ظاهرها وباطنها●●. وقدم إلي طعاما فتغديت وودعته وانصرفت ، فلما وصلت منزلي عشية النهار، وألمي باق على حاله حتى صليت العشاء. نمت فما استيقظت حتى وجدت الوسادة ملطخة بالقيح والصديد والدم ،وأذهب الله عني ذلك الألم ولم يعد إلي قط ببركاته رضي الله عنه والحمد لله رب العالمين.

ومن عنايته رضي الله عنه:

ما سمعت مولاي قاسم رحمه الله يحدث عنه قال: قال مولاي التهامي : "سيدي أبو العباس السبتي قال: ■■ درهمنا مخلوف بعشرة ،وأنا أقول درهمنا مخلوف بسبعين●●. نفعنا الله به .

وكان رضي الله عنه، كثير السياحة مع الفقراء عظيم الأحوال ، وكان أجود أهل زمانه ، وكان إذا أتاه سائل ولم يجد ما يعطيه في الحال ،خلع عليه ثوبه الذي عليه عوضا عن المال ، ولو تتبعنا تلك المحاسن والفضائل، لم نجد لبحرها حدا ولا ساحلا ، فاكتفينا بهذا القدر اليسير والله الموفق.

ولم يزل على هذه الحالة المرضية إلى أن اخترمته المنية ، فرثاه الشريف ابن الطيب صاحب "الأنيس المطرب" بقوله :

حتى م يا نفسي تحبين

البقـا هيهات قد وسعت

أمرا ضيقا أعرضت عن

دار النعيم سفاهة واراك

مائلة إلى دار الشقـــا

نقل عن الدنيا فؤادك كلهـا

وجميع من فوق البسيطة

مطلقـا لم يبق فوق الأرض

شخص كامل يرجى لدفع

الضر أو جلب التقى من

بعد ما ذهب التهامي

الرضى وسقى القلوب من

التفرق ماسقى من كان

بالعلم المتـين وبالسخا

بحـرا خضمـا فائضا

متدفقا ما إن رأيت له

نظيرا في الورى وأخـا

له في عصـرنا لن يخلقا

قد كان مخفوض الجناح

مبـاركا بـرا رؤوفا راحما

متصـدقـا ورعا إماما

ناسكـا متعبـدا طـودا

هماما سالكا مترفقا

لوكان يفدى بالعيون ونورهـا

لفديته ومن البــلا ما يتقـى

وإذا لمنيـة أنشبت أظفارهـا

في كل ذي روح فمـا تغنـى

الرقى

ما مات لكن ماتت الدنيا

وما ذاق الفراق وإنـما ذاق

اللقـا في كل عـين زاد

دمعا فائضا وبكل قلب

شب جمرا محرقا عجبا

همومي فيه كيف تجمعت

أسفا وصبري عنه كيف

تفرقا بكت السماء عليه

والأرض ازدهت بلقاه حتى

خلتها أن تنطقا قل

للبلاد وللعباد تصـــبروا

ذهبت أئمتنا ولله البقـــا

ذهب التهـــامي الذي

بركاته أمسى بها وجه

الزمان مرونقا ذهب

التهـامي الذي أمداده

أضحى بها جيد الحياة

مطوقـا من للغريب

وللكئـيب ومن لذي هم إذا

بـاب التصبر غلقـا من

يرتضى للدين والدنيا ومن

يرجى لدفع النائبـات

ويتقى لولا الزكي

الطيـب الصنو الرضى

لرأيت أثـواب الوفاق

ممزقا امحمد هـادي

المنيـة ذقتهـا وغدوت من

تعب المعيشة مطلقا

وتركتنا من بعد موتك

ضيعا لم نلق قلبا مثل

قلبك مشفقا لو يعلم

الأقوام إنك ميت لاختار

كل منهم أن يسبقا انا

على العهد القديم قوابض

حتى يكون على الصراط

الملتقى

ولما وصل نعي مولاي التهامي للفقيه الأديب العالم النجيب سيدي علي بن أحمد بن قاسم مصباح، رثاه بقوله :

رووا نبأ أبكى عيون الورى

طرا وأصبح منه جانب

الدهر مغبرا أتى وقلوب

المسلمين سواكن فلم

تمس إلا وهي من هوله

سكرى حسبنا به الشم

الرواسي زلزلت وقلبا به

سقف السماوات قد خرا

فقالوا قضى الحبر

التهامي نحبه وأركبنا

من فقده مركبا وعـرا

وعاقب ذاك الذكر والجهـر

سكتة كسر قنوت الصبح

قد عاقب الجهرا خليلي

حط الرحل لا تذكر السرى

ولوما على الترحال

والسفر السفرا فو الله ما

بعد التهـــامي رحلة

يؤم بها الركبان بـرا ولا

بحـرا ومن يعتمد بعد

التهامي رحلة يؤمل

ربحـا تلـق تأميلـه خسـرا

قضى فقضى الرحمان أن

لا نرى له نظيرا ولا أن

الجراح به تبرا وسار

وخلى الناس تهتف باسمه

تود حشاها أن تكون له

قبرا على مثله تبكي

البواكي حواسرا وجوها

غدت من طول ماخيبت

غرا وتبرز ربات الخدور

روافعا عواقر لا

يلفين عن ندبه صبرا

ويشققن لو أن الإلــه أباحه

جيوبا ويقطعن البناين

والشعـرا لقد كان صوام

لمولاه قائمـــا وقد كان

أعلى آل فاطمة الزهرا

أبرهم قولا وأوفاهم تقى

وأحفظهم عهدا وأكثرهم

ذكرا وأوسعهم حلما

وأرجحهم حجا

وأخشعهم قلبا وأشملهم برا

وكان إذا ما غاب ساعة

خلوة وللناس حاجة

تضـيق بها صدرا تراقبه

الأبصـار حتى كأنها

تراقب شهر العيد أوترقب

الفجرا وكان إذا حـل

العفـاة فناءه رأيت محياه

يـروق من البشرى وكان

إذا أرخى ملابس هيبــة

رأيت قلوب الناس قد ملئت

ذعرا فتى عاش في

معروفه كل فاضل زمانا

فلم يعدم ولاء ولا نصـرا

يباري الرياح المرسلات

بكفه فيمطر جودا لا

امتـانا ولا نزرا فلم تجر لا

في نطقه غير ما إذا

تشهد قد عد السخا والوفا

نذرا فلولا مس الصـخر

الأصم بكفـه

لفجر نهرا فائضا ذلك

الصخـرا فلو جاز في

الشرع السجود لفاضل

لكان التهـامي بالسجود له

أحرى بذا طار في المعمور

والقفر صيته وفاق بعز

الجاه فوق السها قدرا

فامته أعيان الزمان

ففضلوا اذا مادنوا

منه على الخبر الخبرا

فلا تحسبوا موت التهامي

واحدا بلى ماتت الدنيا به

والورى طرا

ستبكي عليه اليوم ملأ

جفونها مساكين كانت لا

تجوع ولا تعرى وتبكيه

أيتام وشعث أرامل فمغناه

أضحت في قيود الطوا

أسرى فكانوا أعدوه لكل

خصاصة أبا مشفقـا لا

يختشون به فقرا وتبكيـة

أدواح الرياض فلا يـرى لها

بعده ثغـر الأزاهـر مفـترا

وتبكيه نادي العلم والـوعظ

كلما تمر به الزوار من

وعظه صفرا كأني بوزان

اقشعرت رياضها وأصبح

منظوم الجمال بها نثرا

تضق بها الـزوار ذرعا إذا

ترى منازل من تهوى معطلة

قفرا وكانت تخال الشهر

فيها لأنسـها كيوم فصار

اليوم من وحشها شهرا

فها طيرها ضجت عليه فلم

تكد من الكرب تدري في

معاهدها الوكرا واملت

على الأغصان في كل

روضة مراثي أعدتها

لأمثاله ذخـرا وها أرضها

أنّت عليه كوامن يردد

بالألحان يوم النوى شعـرا

فيا لبني وازان من فئة

غدت تلاحظها

الأيام من بعده شزرا عتا

فيهم الدهـر الخؤون

فأصبحوا نجومـا أزال

الدهر من بينها البدرا

ولكن وإن مر التهامـي

فإنـما مضى بعد أن أبقى

لدي آله السـرا فما غاب

حتى فجرت كف علمه

بكل مكان من معارفه

نهــرا فإن بني وزان قوم

توارثــوا معارف لا تفنى

وإن أفنت الدهرا فإنهم

كالزهــر إن غاب كوكب

بدا كوكب أضواؤه لم تزل

تترا وفي الطيب اليوم

الشفاء لكل من سرى

يجلب السراء أو يدفع

الضرا عليكم به فالصنو

يلحق أهله وشيكا ويدلي

للحفي به التمــرا أيا أهل

وازان تعزوا عن الذي

مضى بالذي أبقى لكم

تكسبوا الأجرا أنيبوا له

تحظوا من الله بالمنى

ومنه ولا تعصوا له أبدا

أمرا ودونكم بكرا

جلتها قريحة مولهة خلى

التهـــامي بها جمرا

عقيلة فكر للقلوب عقيلــة

ولست أرى إلا رضاكم لها

مهرا حباكم بها من ليس

يبصر دونكم وإن كثر

الأشراف زيدا ولا عمرا

رثينا بها ذاك الإمام

الذي له مناقب لا تسموا

لأصغرها الشعرى لقد

كنت حسان المديح لها وها

أنا اليوم خنساء المراثي

ولا فخرا قواف بهـا أبكي

سماء معارف إذا كانت

الخنساء تبكي بها صخرا

كفاء وداد منه بين

جـوانحي ولست بها

البيضاء أبغي ولا الصفرا

لتغنوا بها عن غيرها إن

أتتكم وذوا العقل لا يبتاع

بالذهب الصفرا ومنوا

علينا سادتي بدعا يكون

عندي في الدنيا أمانا وفي

الأخرى

وكانت وفاة هذا الشيخ المبارك نفعنا الله ببركاته، صبيحة يوم الإثنين مهل المحرم الحرام، فاتح عام سبعة وعشرين ومائة وألف (1127هـ).

ذكر وراثة أخيه مولاي الطيب لسره

وسر أبيه وجده وقيامه بأمر

الزاوية على ساق جده

ولما توفي مولاي التهامي المذكور ، قام مقامه القطب المشهور، صاحب اللواء المنشور، الذي طلعت شمسه في سماء العلا ، وصارت محاسنه وفضائله على ألسن الخلائق تتلا ، الغيث الصيب أبو محمد سيدنا ومولانا الطيب ، فصار وارثا لتلك الأنوار، جامعا لتلك المعاني والأسرار ، الورع شيمته والتقوى بضاعته ،والزهد سجيته وحسن الخلق طبيعته، والتواضع خلقه والحياء رفيقه، وحسن الظن طبعه والمعروف صنعه ، يدل على الله تعالى بأقواله وأفعاله ،قد عمر قلوب

فقراء المريدين بمحبته، فلا يرون به بديلا، يداوي قلوب المرضى فلا ترى بساحته عليلا ، وإذا جلس بين الإخوان خلته كالبحر الزاخر ، يرمي بموج الأسرار أو كالشمس والقمر الزاهر، تستمد من سناه الأنوار ، وفدت عليه الوفود من كل الأقطار والبلدان ، وقصده من كل مكان أعيان الأعيان ، فروى قلوب السالكين بلذيذ شرابه ، وملأ بضاعة العارفين والمقوين من رطبه وثماره ، فهو بين العارفين إمام ، يستسقى بوجهه الغمام ،ويحسن في مدحه النثر والنظام.

وكان أخوه مولاي التهامي في قائم حياته ينوه بقدره ،ويخبر بعلي مقامه وفخامة أمره ، فمن ذلك ما حكاه عنه الفقيه سيدي محمد المشاط حين كان عندهم مقيما قال :

كنت جالسا مع مولاي التهامي فقلت له :يا سيدي إذا قضى الله بوفاتك فلمن تتركنا من بعدك ؟فقال : ألم تره ؟ ها هو مقبل . قال فالتفت ، فإذا جماعة من إخوانه فقلت : هؤلاء إخوانك بارك الله فيهم فمن هو منهم؟فقال رضي الله عنه : ألم ترى الطيب، الطيب، ونعم الطيب حملوا له الحمل وزادوه العلاوة.

وكان هذا الشيخ رضي الله عنه قائما على ساق الجد في خدمة أخيه مولاي التهامي ، وسبب ذلك ما سمعت مولاي قاسم رحمه الله يقول:لما توفي الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، أسف عليه ولده مولاي الطيب أسفا كثيرا ، واغتم لفقده غما كبيرا، وجعل يتردد لقبره بكرة وعشية، فمر يوما لقبر والده على عادته ، وطلع لداره في الساعة المعتادة عنده لقضاء حاجته ، فوجد أخاه مولاي

التهامي واقفا ولمجيئه متشوفا، فقال له: أين كنت؟قال : يا سيدي بضريح والدي. فنثر السبحة من يده وقال له : ■■ السر سري ، فسر بسيري ولا تلتفت إلى غيري●●. فشمر حينئذ لخدمة أخيه على ساق جده ، وعلم أنه طالع سعده.

فمن خدمته له ما سمعت مولاي قاسم رحمه الله يقول: بلغنا وأن الشيخ مولاي التهامي مريض ، فخرجنا من فاس نحو الثمانية من الإخوان لعيادته ، فلما استقرت بنا الدار، وزرنا وصلينا العشاء وجاءنا من عند السيد العشاء ، جاءنا مولاي الطيب يدعونا وقال لنا : أجيبوا الشيخ مولاي التهامي.فقمنا معه حتى أدخلنا على الشيخ ، وجلسنا بين يديه وهو على فراشه، وطاب وقتنا باجتماعنا معه ،وقال رضي اله عنه : بعثت لكم بقصد أنسكم والتحدث معكم .فبتنا ليلنا

كله نغتنم خطابه وقوله ، وسيدنا مولاي الطيب واقف بين الحجاب والباب ، يتلذذ بذلك الحديث وذلك الخطاب ، وكان إذ ذاك عروسا دخل بامرأة لم تنقض سبعة أيامها ، ومع ذلك لم يلتفت إليها ولا لمؤانستها إلى أن طلع الفجر، وأمرنا مولاي التهامي بالإنصراف وقال لمولاي الطيب : أخرج الأضياف .فأخرجنا من المحل الذي كان عليه الإتيان، متعجبين من صنعه معترفين بفضله وحسن عهده .

ومن إشارة مولاي التهامي لولاية أخيه مولاي الطيب بعده ، وأنه وارث سره ،ما سمعت مولاي قاسم أيضا يحدث ويقول :خرجنا لزيارة مولاي التهامي بقرب أجله بنحو العام ، وكنا أيضا نحو الثمانية ، فينا الشريف البركة سيدي محمد القادري وغيره من

أعيان الفقراء ، فلما أراد مولاي التهامي أن يودعنا، ونرجع إلى أوطاننا قال : اذهبوا للقشريين لزيارة مولاي الطيب وسلموا عليه . ففعلنا ،فلما وصلنا إليه فرح بنا وأدخلنا منزله ، وجاءنا في وقت الغداة بخبز شعير وزيتون، فأكلنا وأكل معنا ،وقام أظنه لينظر ما يصنع لعشائنا ، فقال سدي محمد القادري: ما هذا الصنيع الذي صنع معنا، ولم يعبأ بنا ؟ قال مولاي قاسم: فأقسمت عليه أن لا يتكلم ولا يلفظ إليه بشئ، فلما جاء الليل أخرج إلينا سقف فخار وفيه أعواد ملطخة بقطران موقودة وطرحها هي السراج، فلم يملك سيدي محمد القادري نفسه فقال له : يا مولاي الطيب ما هذا ؟ في النهار أطعمتنا ما أطعمتنا والآن تسرج لنا هذا .فقال : والله ما اذخرت عنكم شيئا، ولا آثرت عيالي عليكم بشئ، فما في الدار إلا ما رأيتم .فقال له سيدي محمد القادري : وأين الزيت والزرع والدراهم

والبقر والغنم ؟فقال له : بعث لي مولاي التهامي وقال لي، اجمع كل ما تملك وائتني به ففعلت، فاشتراه حياكا وجلاليب وقشاشب وسباطا وغير ذلك من الثياب، وبعث الجميع للمجاهدين بسبتة وتركني كما ترون . فتعجبنا من طاعته لأخيه وأدبه وخيره وحسن صنعه.

وكان يقول : ■ لا وصول إلى المطلوب إلا بإنفاق المحبوب ●● ، وكان الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم من التابعين إذا أحبوا مالا ، انفقوه لله وفي سبيل الله، قال تعالى: [لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ] ،وقال عز وجل [مَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله] .. الآية .

فانظر رحمنا الله وإياك هذه التجارة ،التي تجر له هذا الأخ الناصح الولي الصالح، كيف عاد عليه ربحها ، وما أثمرت له بركتها ، فلا تكاد تمر بقطر من الأقطار ،إلا وتجد له فيه ربعا وبساتين وثمارا وأشجارا ، وكان يقال: (من عرف ما قصد هان عليه ما فقد، ومن كان في الله تلفه، كان على الله خلفه) .

قال ابن فرحون في كتاب "الوعظ" له ما نصه:قال رسول الله

ρ :الدنيا مزرعة الآخرة .

وأنشدوا :

حصاد الفتى ما كان يزرع

في الدنا ويشرب سلسالا

على ذاك أو ملحا حسبت

بأن الدهر يبقى نعيمه

وقدما على كل الخليقة قد

ألحى حدا بك حاد

فاستطبت حداءه فتنهض

في ليل وتحسبه صبحا

فالدنيا في حق من عرفها مزرعة الآخرة ،إذ يعرف أنها منزلة من منازل المسافرين إلى الله تعالى ،وهي كرباط بني على الطريق ،معد فيه الزاد والعلف وأسباب السفر ،فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة ،من المطعم والملبس والمنكح وسائر الضروريات ، فقد حرث وبذر وسيحصد في الآخرة ما زرع، ومن

عرج عليها واطمأن إليها واشتغل بلذاتها، وطلب منها فوق ما تدعوا إليه الضرورة هلك .

ويقال مكتوب في التوراة (من يزرع البر يحصد السلامة ، وفي الإنجيل من يزرع الشر يحصد الندامة) وفي القرآن: [مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ] .

ثم قال بعد هذا بيسير: قال رسول الله ρ :من جاء يوم القيامة بخمس لم يصد وجهه عن الجنة ،النصح لله ولدينه ولكتابه ولرسوله ولجماعة المسلمين وقال صلى ρ : الدنيا حلوة خضرة ،وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. قال تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُم أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً] وقال عيسى عليه السلام :■■ يا معشر الحواريين

ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضوا أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ●● .

ثم قال: قال النووي رحمه الله تعالى، قلت لأستاذي : من الفتى ؟قال : من عطل صاحب الشمال أن يكتب عليه السيئات. وقال المؤلف رضي الله تعالى عنه: الفتى من لا يغفل ولا يغيب عن مراقبة الرقيب ولا يقطع مواصلة ذكر الحبيب.انتهى نصه

ولنرجع لما كنا فيه من الأخبار بعلو قدر هذا السيد الكريم ،وما خصه الله به من الإجلال والتعظيم، فمن ذلك ما سمعت مولاي قاسم رحمه الله يقول :كان مجذوب من إخوان جده مولانا عبد الله في الشيخ ، يقف على عتبة باب دار مولانا عبد الله نفعنا الله به

ويقول: ■ عليه الحرام حتى يخرج من هذه الدار سبعة أقطاب، أولهم مولانا عبد الله وثانيهم ولده سيدي محمد، وثالثهم مولاي التهامي ورابعهم مولاي الطيب ●● ويسكت عن الثلاثة الباقين فلا يسميهم ، ومما يؤيد قول هذا المجدوب، ما سمعت من هذا الشيخ المبارك ، شيخنا مولاي الطيب نفعنا الله ببركاته ، وذلك أنه أتى لفاس في شعبان عام ستة وخمسين ومائة وألف (1156هـ) ، ولما أراد الرجوع لداره بوزان ، حضر وقت الزيارة فاستأذناه رضي الله عنه، في الخروج معه فأذن لنا، فلما زرنا وأردنا الرجوع لأوطاننا، خرج معنا يودعنا من حسن خلقه وشفقته علينا ، فبات معنا في عزيب له يقال له (بني فاض) وذلك في أول يوم من رمضان ، فلما صلينا العشاء وأتانا من عنده العشاء،ومرت ساعة من الليل أتانا أخونا الحاج أحمد الخضر وقال لي: السيد يدعوك فأجبه، فقمت

مسرعا فدخلت عليه وأجلسني إلى جنبه وقال لي : ■■ اتهلا في إخوانك واتهلا في الحلم، كاد الحليم أن يكون نبيا ، وازهد في الدنيا يحبك الله ، وإذا هدى الله على يديك رجلا واحدا، فهو خير لك من كل شئ ، واتهلا في مولاي محمد ابن رحمون فإنه طالب ضل●●. ثم قال للحاج أحمد المذكور : قم ادع مولاي محمد ابن رحمون وقل له ياتي وحده. فدعاه فأتى فجلس بين يديه وقال له رضي الله عنه : هذا فلان -يشير إلي- .فأجابه بقوله : نعم يا سيدي هو كبيرنا أوصه علي .فقال له رضي الله عنه : أوصيته اتهلا أنت ، لا يستبد الإنسان برأيه وهو جاهل، ولا تقدم على أمر حتى تشاور إخوانك . (أو كلاما هذا معناه)

ثم قال للحاج أحمد المذكور : قم ادع مولاي عبد الله الشلوشي، وقل له ياتي وحده. والتفت إلي وقال : إنه لا يتنازع معكم في شئ، ولكني

أحب ان لا يخرج من جماعتكم. فدعاه فأتى، فقال له نفعنا الله به :

قلت لهما إنك لا تنازعهما في شئ ولكني نحب أن لا تخرج من

جماعتهما. فجلس رحمه الله، وأخذ رحمه الله يذكرنا ويوصينا ،

فمن جملة ما ذكرنا ووعظنا به في هذا المجلس أن قال : إنكم جئتم

لزيارة ساداتنا وقد أحسنوا إليكم وكسوكم ، فلا تدنسوا ثيابكم

فأعينوهم بأن ترفعوها عن الأوساخ والأزبال، ولا يكن لأحد منكم

التفات إلى غير هذا الدار ، ولا يقل أحد عندي أبي ولا عمي وماؤكم

بينكم ، فإن توافقتم شربتم وانتفعتم ، وإن تنازعتم غار ماؤكم وظمئتم

، قال الله تعال: [وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم] وإذا كنتم

وحدكم فلا جناح عليكم بأن تبشروا وتفرروا ، فإن الشيخ على

رؤوسكم أو كالغطاء يستركم، وإذا جلس معكم من ليس منكم

فاحفظوا ألسنتكم ، واعلموا ما تقولون . ثم التفت إلي وقال: كان

رجل يقوم بالليل ويسأل الله حاجته ويذكرها ويسميها، فقام ليلة على عادته فوجد رجلا نائما إلى جنبه، قد غطى رأسه وقدميه ولم يعرفه ، فرفع يديه وقال : يارب أسألك الحاجة التي قلت لك البارحة.

ومن جملة ما أوصانا به في هذا المجلس ، وهو المقصود من هذه الوصية كلها أن قال: استوصوا بسيدي عبد الله ولد سدي الحاج الخياط خيرا ، افرحوا لفرحه واهتموا لهمه ، فإن والده سيدي الحاج الخياط وصلني شئ منه. فقلت في نفسي وما عسى أن يصلك منه ، فإن جدك قطب وأبوك وأخوك قطب وأنت قطب، ووالله ما علمت لساني تحرك بذلك ولا شفتي، وإنما خطر ذلك في جناني، فالتفت إلي رضي الله عنه وقال لي : وصلني منه اني كنت أقرأ في المكتب مع إخواني، وفيهم من هو أكبر سنا مني ، فخرجنا يوما من

المكتب فوجدت سيدي الحاج الخياط جالسا، ومعه سيدي محمد بن الفقيه ، وكان سيدي الحاج الخياط من أكابر أولياء الله ، وكان مأذونا له في قبول الخلق ،وكان سيدي محمد بن الفقيه من أكابر أوليلاء الله تعالى،ولم يكن مأذونا له في قبول الخلق ،فدعاني سيدي الحاج الخياط فأتيته ،فقال لي: إنا أوقدنا في داركم هذه كذا وكذا شمعة ،وشمعتك هي أكبرهن وأضوؤهن. فقلت له لا على وجه الإنكار، بل لأجل الزيادة من الإستبشار: عهدي بالصالحين لا يراؤون وأنتم يصدر منكم الرياء. فقال سيدي الحاج الخياط :وأي رياء؟ فقلت : هؤلاء إخواني فيهم من هو أكبر مني سنا وخصصتني بهذا ، فلم خصصتماني بهذا الكلام من دون إخواني ؟ فقال سيدي الحاج : ماهو رياء ، ولكنا لما نظرنا لمن سبقت له عند الله تعالى سابقة وعناية عظيمة، أسرعنا فجعلنا أيدينا ثم.

فعلمت حينئذ أن الذي وصله منه هو البشارة بعلي قدره ، وفخامة أمره وزدت فائدة أخرى من قوله ،وهي أنهما أخذا عنه حينئذ في صغره لكون سيدي الحاج الخياط رحمه الله ،مات عام خمسة عشر في حياة شيخه سيدي محمد، والد مولاي الطيب رضي الله عنهم . فكان مولاي الطيب نفعنا الله به ،من حسن عهده يراعي لهما ذلك، فأوصى بولد الهالك وبقي على العهد القديم ،مع سيدي محمد بن الفقيه حسبما نذكره إن شاء الله، ثم قال لنا في هذا المجلس أيضا على سبيل الأدب مع أخيه مولاي التهامي وآبائه، وهضم نفسه وخفض جناحه وتعليما ونصحا لنا، وخوفا علينا من تزكية نفوسنا ، وأما الطيب فساداتنا أوقفوه هنا وهم القائمون بامرنا ، ويأخذون بأيدينا وأما الطيب يا لله مسلم.

ثم قال رضي الله عنه بإثر هذا الكلام ، قال لي سيدي ومولاي التهامي يوما :كيف ترى نفسك ؟ فقلت له : كيف أراها ، إن حضرت ما عندي لأي شئ أصلح، وإن غبت ما في شئ يرجى عليه أحد .فقال لي : هكذا أحبك تكون. وقال لي يوما آخر: ما تطلب ؟

قلت : أطلب رضاك فإني محقق أنك رضيت عني رضي الله تعالى عني . فقال : الله يرضى عنك . ثم قام معنا وأخرج الزربية ،ونادى جميع الإخوان ودعا للجميع بخير وودعنا، ثم ركب رضي الله عنه ونفعنا به وراح لمنزله.

قلت ولم يزل رضي الله عنه يتحمل من أعباء الولاية أثقالها ، ويسقي بمائه العذب نساءها ورجالها ، ويحمل عن المسلمين الأثقال ، ويفكهم بإذن الله سبحانه من الأوحال ، حتى أشربت القلوب حبه ،

وبلغ كل واحد منه مراده وقصده ، وهو في الصبر على آذاهم كالجبل الراسي، لا تستفزه الأهوال ولا تروعه منهم الأقوال والأفعال، ولا تغيره الأزمات، بل هو في مقام الرضى في كل الأوقات ، ساكن تحت رياح القضاء ، طالبا من ربه سبحانه القبول والرضى، يحب المساكين ويواصل أهل الدين ، ويعظم أهل البيت ويأمر بمحبتهم وخدمتهم ،يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويواسي الفقير ، وينزل البعيد منزلة القريب ، فسبحان من تفضل عليه بمحاسن الأخلاق ،ورزقه القوة على فعل الخير وبذل المعروف.

ويرحم الله بعض الإخوان الفضلاء الأدباء النجباء النبلاء حيث قال:

ألا يا مبتغى الأرباح طرا

هلم تفز بكل منى خطير

إذا ما شئت تبلغ كل نجح

وتدرك ما اشتهيت من

الأمور وتسعد في

الورى دنيا وأخرى

وتعطى الحظ من كل

الأجور وتأمن من

مصادمة الليالي

وتكفى من محادثة

الشرور فيمم باب

أهل البيت واقصد

ذوي العزمات والقدر

الكبير ليوث بني

البتول فروع طه ذؤابة

هاشم فخر الصدور إلى

أهل العناية والمعالي

ذوي الإفضال والكرم

الغزير

مقر العز والمجد المعلى

ومأوى الجود والفضل

الخطير ذوي العلم

الرفيع بني مشيش ولي

الله ذي الفضل الشهير

هداة الخلق أقطاب

البرايا غيـاث للكبيـر

وللصغيـر وفي مصمـودة

حلوا بـدورا تلألأ في

الـرواح وفي البكـور وناد

باسم طيبـــها المرجى

لكل ملمة صغرى

الصغور مربي

السالكين بحسن لطف

كفيل بالكبير وبالصغير

فكم عمت نوافله وجلت

عن الإحصاء للجم

الغفير وكم في

الخلق منها باديات

وكم تلفي عليها من

شكور ومن يك من

فروع أجل مرقد

حبي بالكوثر العذب

النمير حقيق أن

يخص بكل فضل

وأن يحظى بأصناف

الخيور أيا مولى الموالي

كن مغيثا

لهذا المذنب الهرم

الكبيـر أدام الله

عزكم ابتهاجـا وخلد

مجدكم طول الدهـور

أيا أهـل الفضـائل

والمزايـا أولات الفيض

والوهـب الكثير لكم

منكم بحـار الجود تمنى

وفيكم منيـتي وبكم

نصيري فمنوا للمريض

بجبر حال ونصـرته على

دهـر عسير فما خابت

مطالب من دعاكم

وحاشـا أن يخيب بكم

ضميري بحرمة جدكم

طـه المرجى لكل

ملمة يوم النشور

عليه صلاة رب العرش

تترا معطرة بأصناف

العبير وعشرته

الكرام أجل آل

ذوي الإكبـار والمجد

الأثـير وجملة صحبه

الأخيار طرا أولي

الإحسان والذكر المنـير

وأنشدوا أيضا :

كم من غريق ذنوب ضاق

مذهبه فأمنوا روعه جودا

وما بخلوا هم الكرام

إذا ما جئت مفتقرا هم

الحماة لمن أودت به العلل

فنحن في ظلهم راجون

فضلهم كذا الكرام إذا

ما أملوا فعلوا فالله

يرزقنا في يوم موقفنا

شفاعة منهم يا أيها

الرجل فتلك سيرتهم

فينـا وفعلهم لمثلهم تفزع

الركبـان والإبل وقد

دخلت تطفا دخيلـهم

بجاهـهم ليس لي تقوى ولا

عمل

مني عليهم سـلام الله ما

ذكرت أخبارهم فاشتهت

رؤياهم المقـل

مبارك طيـب يغشـاهم

أبـدا

نسيمه بعبـير المسـك

مشتمل

ولما أخذت ورد هذا الشيخ المبارك، ودخلت في حرمته وصرت من تلامذته، بواسطة الشيخ العارف بالله الناصح لعباد الله ، الشريف الأجل المبجل الأكمل، مولاي قاسم بن سيدي محمد ابن رحمون، عام خمسة واربعين ومائة وألف (1145هـ)، وكنت أسمعه يكثر الثناء على هذا الشيخ المبارك مولاي الطيب ، لاهجا بذكره معترفا بخيره وشكره، فشوقني إلى رؤِيته والجلوس بين يديه ، وجاء وقت الزيارة في متم الحجة من عام ستة وأربعين ، فلم أجد جناحا للطيران ، وبقيت مولها حيران، فأخذ بيدي مولاي قاسم المذكور ، فحملني معه لتلك الحظرة المباكة ، وبكل ما احتجت إليه من مركوب ومؤونة ، عاملنمي وناولني ، وكان سببا في وصولي لتلك الدار ،

وجلوسي بين يدي الشيخ ولد النبي المختار ، فأخذ من أجل ذلك بلبي ، حيث جمعني مع حبي، وقلت في ذلك :

ولما تبدى للعيان سنا

الذي

غدا حبه للقلب طعما

ومشربا قصدت حماه لا

أطيع عوادلا فعاد مكان

اللوم منهم تعجبا نعم

افصحوا بالعذر لما تحققوا

بأن قد بدا درا ثمينا

مذهبا وقد يعتري

الأقمار يوما افولها ونور

سناه ليس يبدوا مغربا

لذاك تراني عاشقا

ومصرحا بحب الذي

نهوى لحسنه معربا أبو

البركات القطب مولاي

قاسم عليك به يا صاح

حصنا ومهربا ولم لا

وغوث الكون شرقا ومغربا

بدا شيخه فانهض لوزان

مطربا تجد طيبا قد

طاب أصلاو محتدا ونال

مكانا في المعالي ومنصبا

فأكرم به شيخا وكهفا

وملجئا فمن أمه قد نال

عزا ومطلبا

وكيف يجيب من يؤمل

سيدا بنجل رســـول الله

صار ملقبا فحبكم يا آل

بيت محمـــد شعاري

وديني قد تخذته مذهبا

سلاحي وحصني

واعتمادي وعدتي وذخري

إذا دهري علي تغلبا فذلي

وضعفي وافتقاري وفاقتي

لبحـر نداكم قد جعلته

مركبا فمنوا على عبد

بنيل مـراده فيا سعده

ان صار منكم مقربا

وجـودوا عليه بالقبول

تفضلا فأنتم كرام الحي

طبوا من أذنبا جمعتم

جميع الحسن بل منكم

اكتسى شمائل حتى عاد

ثغـره اشنبا وقد رضت

فكري في امتداح جنابكم

فأيقنت أن الصمت أعلا

وأصوبا وكيف يفي بالنزر

من رام مدحكم ورب

البرايا عنكم الرجس

اذهبا فإن تقبلوني مذنبا

فزت بالمنى وأيقنت اني

أنجح الناس ماربا وإن

تعرضوا عني لبؤسي

وشقوتي فشوقي لايزداد

إلا تلهبا

وأوصافكم في الذكر تؤذن

بالرجا بها قد طمعت في

الشراب مهذبا وحاصل

أمري أني عبد حماكم

صبيا وطفلا ثم كهلا

وأشيبا شفيعي لديكم في

المفاز بشربة أصير بها

بالسكر عني مغيبا أنال بها

علم المواهب في الدنا

ويوم أرى في قعر رمسي

مغربا محمد المختار خير

من اهتدى وخير عباد الله

شرقا ومغربا عليه صلاة

الله ماطاف طائف ولبي

بحـج في الهضـاب وفي

الربى وآله أهل الفضل

والصحـب كلهم وأزكى

سـلام بالعبير مخضبـا

وكان هذا الشيخ ، أعني مولاي الطيب رضي الله عنه ، جل تربيته للمريدين بالنظر والهمة ، لأن التربية بالإصطلاح اندثرت لضعف حال المريدين، وقلة الرغبة في الدين، وكثرة الإقبال على الدنيا ، وإعراض الناس عن الآخرة ،حسبما ورد ذلك في الأثر عن النبي ρ، إنه قال لعلي رضي الله عنه : كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلا لما ، وأحبوا المال حبا جما ، واتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا . قال :

قلت أتركهم وما اختاروا ،وأختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها ، حتى ألحق بك إن شاء الله .

قال : صدقت ،اللهم افعل ذلك به .

و كان أيضا شيخنا مولاي الطيب رضي الله عنه ، يتخولنا بالمواعظ ويتلقى عن المسلمين الكلف بنفسه وماله ، ويقاسي في إيصال ذلك إليهم الشدائد ، ويدفع عنهم يد كل ظالم ومعاند، ويده رضي الله عنه بالخير مبسوطة ، ومائدته بكل خير منوطة ، يطعم الوارد والصادر، والحاضر والمسافر، لا يبخل بالعطاء ولا يمن بما أعطى ،ولا تجده إلا منشرح الصدر دائم الفكر ،فهو أحق بقول القائل :

إليكم وإلا لم تشد الركائب

ومنكم وإلا لم تنل المواهب

وفيكم وإلا فالرجاء معطل

وعنكم وإلا فالمحدث كاذب

وكان كثيرا يأمر بتعظيم الشريف ، ونصرة الضعيف وتوقير الكبير ، ورحمة الصغير ومواساة الفقير ، والصدقة ولو بالشئ اليسير ،وعيادة المرضى وحضور الجنائز ، يوصي بذلك مرة مشافهة ومرة مكاتبة.

فمن وصيته ، أن قال لنا إن الشيخ مولانا عبد الله رضي الله عنه قال لأصحابه: " لن تزالوا بخير مادمتم محافظين على الدين

،والصلاة على سيد المرسلين وزيارة دارنا هذه ، وإن لم يكن بها أحد من البنين ، فاحفظوا وصيته ولا تخالفوا عهده " .

ومن وصيته مكاتبة في زمان الطاعون ما نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

من عبد الله سبحانه وتعالى محمد الطيب بن محمد بن عبدالله الشريف العلمي الحسني، إلى أخينا في الله ومحبنا من أجله الأحظى الأود الشريف الأمجد ، سيدي ومولاي حمدون الطاهري رعاكم الله بمنه ،ووفقنا وإياكم لصالح العمل ، وكفانا

وإياكم هم مانزل، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن الخير

والعافية، والسؤال عن سائر أحوالكم المرضية، فإننا داعون لنا ولكم

ولسائر عباد الله ،كما نطلبه منكم وبعد .

فإنه بلغنا ماهو نازل بتلك المدينة المباركة ، وما نحن إلا عباد

الله ولا راد لقضائه، والقلب متألم بهذه الريح المنتشرة في هذه

الأقاليم، إلا أن الواجب علينا الرضى والتسليم، ونطلبه سبحانه بمنه

وكرمه ، أن يقينا شر ما جاءت به، ويجعل الجميع تحت كنفه ويعمنا

بلطفه الخفي، ويعظم الأجر فيمن صار والتحق به ، ويجعل البركة

فيمن بقي ويرزقنا اليقين، ويختم علينا وعليكم بالحسنى ، ويكون لنا

ولكم وليا وناصرا ، بجاه النبي وآله ومعاده عليكم والرحمة والبركة .

ومن وصيته أيضامكاتبة ما نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

وصحبه وسلم .

من عبد الله تعالى محمد الطيب بن محمد بن عبد الله

الشريف الحسني العلمي ، إلى محبنا سيدي مولاي حمدون الشريف

الحسني ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد .

فقد وصلنا كتابكم الأعز ،وقرأناه فحمدنا الله على عافيتكم

،ونسأل المولى جل جلاله أن يسبل الستر عليكم ، ويحد البأس عنا

وعنكم وعن كافة المسلمين ، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، واتهلاو

في بعضكم بعضا وفي الإخوان ، وتواصلوا وتعاونوا ، وكونوا عباد الله

إخوانا وادع لنا بخير ولكافة المسلمين ، الله يرفق بنا وبكم ويسبل

الستر عليكم آمين والسلام.

ورسائله رضي اله عنه غير ما ذكرنا عندنا مذخرة ومحفوظة ، وإنما أوردنا منها هنا ماذكر تلذذا بخطابه ، وتبركا بدعائه ، ولم نذكر من شمائله وأوصافه الحسان ، إلا القدر اليسيرتتبيها للجاهل

بعلي مقامه ، ولم يعرف أحد قدره من أهل زمانه وأصحابه، إلا الشريف العارف بالله ، سيدي ومولاي قاسم ابن رحمون رحمه الله .

– بتنا معه ليلة بدار أخينا الشريف سيدي علي التبر، رحمه الله فجعل رحمه الله، يثني على الشيخ مولاي الطيب ويخبر بعلي قدره ، فأخذه حال فالتفت إلي وأعلن في المقال وقال : والله إن نظرة واحدة في وجه سيدنا ومولانا الطيب خير من عبادة ثلاثين سنة، وأقسم على ذلك ثلاث مرات . ثم قال في يوم آخر : والله لو اطلعني الله على مقامه، ما وضعت ثوبا على بدني، ولو وضعته لاحترق .

فكنت بعدما سمعت منه ، أن نظرة واحدة في وجه شيخنا مولاي الطيب ، خير من عبادة ثلاثين سنة ، كلما اجتمعنا مع هذا الشيخ المبارك ، املأ عيني من النظر في وجهه ، ثم أغض طرفي وأعيد النظر إليه مرة أخرى .

ويؤيد ما ذكره الشيخ مولاي قاسم رحمه الله ، مارواه الشيخ سيدي أحمد زروق في آخر كتابه " النصيحة الكافية " ونصه :و قال عليه السلام: إن لله عبادا من نظر في أحدهم نظرة، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا . وفي حديث الذاكرين ،هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

ولله ما أحسن قول القائل مستغيثا بهم :

يا عبـاد الإله إن عبـيدا لاذ من أجلكم بركن قوي

فاقبلوه بفضـلكم وارحموه واشفعوا فيه للإلـه العلي

اللهم إنا نتوسل إليك بهم، فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم ، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ،ونحن لم نصل إلى حبهم إلا بحظنا منك ، فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة، حتى نلقاك يا أرحم الراحمين. انتهى نصه

وأنشدوا في هذا المعنى :

تطالبني عيني بكم كل

لحظة وحقكم ياساداتي

ما ألومها ولم لا وأنتم

نورها وجلاؤها ورؤيتكم

لذاتها ونعيمها

ويشتاقكم قلبي وإن كنتم

به وتطلبكم روحي وأنتم

صميمها ووصلكم والله

للنفس جنة وهجركم

ياروح روحي جحيمها

فجودوا على ضعفي

بوصل يسرها لتفقد

نفسي غمها وهمومها

ودائي قديم في هواكم

أحبتي وأقتل أدواء

الرجال قديمها

وقال غيره :

قل للحبيب الذي يرضيه

سفك دمي دمي مباح له في

الحل والحرم إن كان

سفك دمي أقصى مرادكم

فما غلت نظرة منكم بسفك

دمي

– ومن عناية هذا الشيخ المبارك، مولاي الطيب نفعنا الله به ،أن خضعت له السلاطين ، واحترقت بنور طلعته الشياطين ، وصارت الملوك تعظمه وتكرمه ، ورؤساء الجن تهابه وتخدمه .

فمن تعظيم الملوك له ، ما أخبرني به ولد أخيه مولاي عبد الكريم بن مولانا التهامي نفهنا الله به قال : لما توجه السلطان مولاي عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله روحه، لقتال الباشا أحمد بن عبد الله الريفي ، بعد ما هزم ابن عبد الله المذكور ، من فاس ورجع لطنجة وخرج منها ونزل بالقصر ، كان أهل الزيغ والفساد وأهل الطغيان والعناد ،يشيعون عن مولانا عبد الله مقالات شنيعة

،وارجافات فظيعة في حق ساداتنا أهل وزان ، وما ذلك منهم إلا إغراء للشحناء والعداوة بينهم وبين هؤلاء السادات ، فرسخ ذلك في نفوس العامة. فلما سمعوا بخروج السلطان مولانا عبد الله ،متوجها لتلك البلدان،جعل أهل وزان يفرون من الأوطان، خوفا من سطوته وإعلاء كلمته، حتى لم يبق بوزان أحد لا والد ولا ولد. فلما قرب السلطان منا ونحن خائفون مما سمعنا أن يبدأ بنا، خرج الشيخ مولاي الطيب يوم الجمعة للصلاة ، فلما صلى ورجع لداره ، لم يخرج معه من المسجد من الناس إلا نحو العشرة ، فأخذتني حسرة وخنقتني العبرة ، وصرت أقفوا أثره ، حتى دخل دار السقف ، فدخلت عليه وجلست بين يديه ، فجعلت أبكي وأتضرع وبآبائه أتوسل وأتشفع، فقال لي رضي الله عنه : مالك ؟ فقلت : وهل بعد هذا الحال من سؤال ،فإني أقسم عليك بالنبي صلى الله عليه وسلم، أن

تخبرني إن كان سبق في القدر ، أن هذا الرجل تصل يده إلينا، ويروعنا ويؤذينا ، فأعلمنا بذلك نفر بأهلنا وأولادنا لمحل نمنعهم فيه ونؤمنهم، وإن كان لا قدرة له علينا فأمنا ؟ فأجابني رضي الله عنه بقوله: مسكين مولاي عبد الكريم ،مولانا عبد الله هو بكم ولستم أنتم به، قم إلى شغلك واذهب إلى دارك في أمان . وكان أمرني ببناء موضع في القشريين، وكنت حفرت أساسه ،فلما وقع هذا الهول رفعت يدي من البناء ، فلما كان من الغد اشتغلت ببنائه كما أمرني ، وحين رحل مولانا عبد الله من مولاي عبد الكريم ذي القلة ، نادى الباشا ابا سلهام الحمادي وقال: انظر سبعة من الثيران السمان وسر بها إلى وزان ،واذبح ثلاثة على مولاي عبد الله الشريف ، واثنين على ولده سيدي محمد ، واثنين على مولاي التهامي، وطريقنا على

دار العباس للقصر لئلا يتروع الشرفاء. وجاء من عنده الأمان ورجع من فر من موضعه إلى الأوطان ، فالحمد لله رب العالمين.

-وأخبرني ولد الشيخ رضي الله عنه ، وهو سيدي محمد زين العابدين قال: لما نزل الباشا أحمد بن عبد الله، بالمرة الثانية بالقصر رأيت رؤيا، وهي أني رأيت نفسي مع السلطان مولانا عبد الله ، ونحن نتخاصم وهو يعاتبني وأنا أعاتبه ، فقال لي مولاي عبد الله في آخر العتاب : يا حشمتكم تقفون مع الريفي ، وتتركون ابن عمكم (أو كلاما هذا معناه) فأجبته بقولي : إن أردت أن تعلم من أي جهة نحن، فاركب حتى تصل إلى القصر وتعلم مع من نحن . فلما استيقظت وأصبح الصباح ، أتيت والدي فأخبرته برؤيتي وقلت له : هل هي حق أو حلم ؟ فقال لي : رؤياك حق ،وإن رأيت من أصحاب السلطان

مولاي عبد الله، فقصها عليه وقل له يخبره بها . ففعلت ما أمرني به والدي ، فلما وصله الخبر ركب وجاء، فلما وصل القصر مكنه الله منه من عدوه ، فقتله وبلغ إلى داره بطنجة فخربها وأخذ ماله.

-ومن خدمة الجن لهذا الشيخ مولاي الطيب رضي الله عنه ، ما أخبرتني به والدتي عن أخته، التي كانت زوجة لولد عمنا مولاي هاشم بن مولانا عبد العزيز الطاهري ، فكانت أمي تواصلها وهي ساكنة عندنا بفاس ، فأخبرتها بأنه إذا كان زمن الصيف، وجاءت الخضرة للدار من بطيخ ودلاع وغير ذلك ، وأعطى الشيخ مولاي الطيب لكل واحد من أهل الدار نصيبه، ويجعل الباقي في بيت إلى وقت احتياجه ، فيذهب الجواري والإماء بالليل لذلك البيت خفية

للأخذ منه ، فمن مدت يدها لتأخذ شيئا من ذلك ضربت عليها، وتسمع صوتا يقول : أخذتم حقكم ، فيرجعن هاربات .

وأخبرتها أيضا بأن امرأة من الجن اسمها ميمونة ، كانت تخدم الشيخ بداره ، فكانوا يرون فعلها ولا يبصرون شخصها .

-وأخبرني أيضا ولده سيدي محمد زين العابدين المذكور قبل قال : كان طالب يقال له بوشنتوف ، وكان يستخدم الجن على عادة الطلبة وشرطهم ، وكان يأتي لزيارة والدي . فأتى مرة فقال لي : إن شئت لاقيتك مع بعض رؤساء الجن حتى تشاهده وتتكلم معه . فلم أصدقه واعتذرت له بشغل ، فلما سافر ندمت ولمت نفسي ، فأخبرت والدي بذلك، فلامني وعاتبني وقال لي : إن أردت أن تستفيد علما، فاجعل الميزان الذي بيدك على حجر صلد، ودقه بحجر آخر صلد

حتى يصير دقيقا وانسفه للريح، وماذا عليك لو أجبته لما طلب ، فإن كان صادقا استفدت علما ورايت عجبا ،وإن كان كاذبا لم يعد لذلك بعد الإمتحان. فجاء بعد ذلك بقصد الزيارة ، ففرحت به وباشرته وقلت له : شوقتني لما ذكرت لي، والآن أريد منك أن تريني ما ذكرت لي فأجابني لما طلبت. فلما صلينا العشاء وتعشينا وجاء وقت المسامرة ، صرفت أصحابي لموضع آخر بقربنا ، وبقيت أنا وهو فقرأ ما قرأ سرا لم أفهمه ، وإذا بسرية من الخيل جاءت من جهة حرم مولانا عبد الله الشريف ، وأميرهم أمامهم حتى وصل لباب منزلنا ، فنزل عن فرسه ودخل علينا وقال، السلام عليكم بصوت رقيق ، وجلس بيننا وتحدثنا معه ساعة وقال : منعناكم من نومكم.والتفت إلي وقال: نريد منك إن دخلت على سيدنا الوالد ، فقبل يده عني وقل له خديمك فلان ، أتى بالأمس بقصد ملاقاتك ، فوجدك مشغولا

واستحيا أن يقطع عليك شغلك ، ومن الغد إن شاء الله آتيه بقصد حاجة عرضت لي لديه. وركب وانصرف ، فلما أصبحنا أعلمت والدي بالخبر وقلت : يا سيدي ألم تسمع حوافر خيلهم؟ فقال رضي الله عنه : لا يسمع ذلك إلا من يرصده ويطلبه.

-ومن كراماته رضي الله عنه:

وفكه للأسارى من يد النصارى، وإنقاذه الغرقى في البحر

وفكهم من الأسر، ما أخبرني به الأخ في الله الشريف الأرضى، مولاي محمد بن سيدي عمر ابن رحمون ، ولد الأخ مولاي قاسم نفعنا الله به ناقلا ، عن خديم الشيخ أخينا في الله ، السيد أحمد القرطبي قال : كان شريف من أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به أسيرا ، وكان الكافر الذي اشتراه، له ولد صغير

يحمله على عنق الشريف ويأمره بحفظه ، فجعل الولد إذا حمله الشريف على عنقه ، ينخسه بسكين في عنقه ، ويقول له : اجري واسرع في مشيتك.فلما حمله في بعض الأيام في وقت القائلة على عادته ، وهو يمشي على شاطئ البحر، وألح عليه الطفل بالنخس في رقبته ، التفت الشريف يمينا وشمالا فلم يرى أحدا ، فقبض على ساق الصبي ورضخ رأسه على حجر ، فانفلق رأسه وطار مخه ، فرآه بعض العساسين وكانوا في برج جالسين ، فأسرعوا إليه ليقتلوه ، فلما رآهم قاصدين إليه، ألقى نفسه في البحر من الفزع .

قال الشريف: فإذا برجل مد يده إلي فأخرجني ، ومن الهلاك أنقذني، وألقاني بباب مدينة الجزائر وقال لي : ادخل المدينة واسأل عن الفقيه السيد عبد الله بصري ، واجلس عنده حتى يرسلك إلى بلادك.

قال فدخلت البلد وسألت عن الفقيه، حتى وصلت إليه وأخبرته بقصتي، فجعل يسألني عن صفة الرجل الذي أنقذني، فوصفته له فقال : هذا شيخنا مولاي الطيب نفعنا الله به .

قال السيد القرطبي: فجلس الشريف عند الفقيه المذكور ، إلى أن ورد أخونا الشريف مولاي عبد الرحمان، من شرفاء خندق البير من قبيلة مصمودة، جاء من مصر برسائل للشيخ مولاي الطيب (من أعيان أهل مصر وعلمائها) للجزائر، ونزل عند الفقيه المذكور بقصد الضيافة.وحين رحل من عنده قاصدا لحضرة مولاي الطيب رضي الله عنه بعثه معه ، فلما وصلا لوزان وأراد مولاي عبد الرحمان المذكور الدخول على الشيخ ، أجلس الشريف الأسير، المذكور بباب حرم مولاي عبد الله حتى يستأذن عليه ، فلما دخل على الشيخ وسلم عليه ، استأذنه على الشريف الذي جاء معه، فقال

له رضي الله عنه :ادعه وقل له يسكت ولا يتكلم بشئ . فلما دخل ورأى وجه الشيخ ،أكب على قدميه يقبلهما ويقول : أنت الذي أنقذني الله على يديك من الأسر والقتل . وجعل يقص عليه خبره، ومولاي الطيب رضي الله عنه يقول : الطيب ما خرج من داره قط. وهو يتبرأ من قول الشريف ، فلما أكثر الشيخ من التبري، حلف الشريف بالأيمان المغلظة وقال :ما أعتقني أحد إلا أنت .

فقال السيد حينئذ للقرطبي المذكور : اخرج هذا الشريف معك واكسه وابعثه إلى أهله راشدا . قال القرطبي: فكسوته وأرسلته إلى أهله .

-ومثل هذه الكرامة ما أخبرني به أخونا الشريف الأرضى الولي الصالح ، سيدي التهامي بن علي الشريف البوعناني ، قال

رحمه الله : خرجنا مع سيدي قاسم ابن رحمون، لزيارة هذا الشيخ المبارك بوزان ، فرحنا بقرب سيدي عبد الكريم صاحب القلة، وبتنا عند بعض العرب ، فخرجوا من خيامهم وجاؤوا لزيارة مولاي قاسم ، فجاء رجل بصبي يحمله وهو مقعد ، فوضعه بحجر مولاي قاسم ، وجعل يرغبه ويتضرع في قيامه على قدميه .

قال سيدي التهامي: فاخذني حال فرأيت يد مولاي الطيب رضي الله عنه، دخلت في الخباء الذي كنا فيه، ووضعها على رأس الصبي ، فقام يمشي من ساعته، وهو رضي الله عنه مقيم بداره بوزان. وكراماته رضي الله عنه لا تحصى رزقنا الله رضاه آمين.

- ومن صبره رضي الله عنه على الأذى، ووقوفه دائما في مقام الرضى ، ما أخبرني به أخونا الحاج محمد بن الحاج محمد السقاط قال : كنت أعرف رجلا من أصحاب سيدي المعطي بن الصالح

الشرقي ، فتذاكرنا يوما مقامات الأولياء وكراماتهم نفعنا الله بهم ، قال لي ذلك الرجل، بعثني شيخي سيدي المعطي للقصر لحاجة ، وقال إن جزت لوزان فزر مولاي الطيب واطلب منه الدعاء .

قال : فلما وصلت إلى القصر وجدت أصحاب مولاي الطيب ، يبحثون عن ثورين سرقا له من عزيب ، وقتل السراق صاحب مولاي الطيب ليلا. فقلت وأين هذا البرهان ؟ فلما مررت بوزان زرت مولاي الطيب وبلغته سلام شيخي ، وطلبت له منه الدعاء كما أمرني. فلما رجعت إلى سيدي المعطي، سألني هل زرت مولاي الطيب وطلبت منه الدعاء؟ فقلت: نعم ولكن يا سيدي، أنت كل من يؤذيك ويطوف بساحتك بسوء، أو بساحة أصحابك تغير عليه، ويظهر برهانك فيمن يؤذيك ، وهذا مولاي الطيب سرق له كذا وفعل بصاحبه كذا وكذا ، ولم يبال بشئ مما حل بصاحبه ولا بأخذ ماله؟قال : فقال لي

مجيبا : أتشبهني بمولاي الطيب ، فما أخف عقلك ،والله لو تغيرت فيه شعرة واحدة، ما ربح واحد في هذا القطر لا أنا ولا غيري . (أو كلاما ما معناه هذا)

-ويؤيد هذه المقالة الصادرة من سيدي المعطي نفعنا الله به ، ما أخبرني به الشريف الحسيب ، حفيد سيدي ومولاي الطيب من ابنته ، وهو سيدي محمد بن مولاي العربي بن مولاي التهامي ، نفعنا الله بهم أجمعين ، وكان الشيخ مولاي الطيب بعثه لفاس، بكتاب للباشا الحبيب يكلمه في رجل من بني مالك، من أصحاب ساداتنا الشرفاء، فلما جاءه الشريف بالكتاب وأراد أن يناوله إياه ، قال الحبيب للشريف المذكور: اقرأه. فقال له الشريف المذكور : اقرأه أنت أو طالب من الطلبة الذين معك. وأبى أن يقبضه لكونه فهم ما

فيه ، فقرأه الشريف عليه وإذا فيه كون الشيخ يكلمه في ذلك المالكي بأن يعفو عنه ويطلقه .فقال الحبيب للشريف : وحق سيدي محمد الشرقي لا أطلقه. فغضب الشريف وخرج عنه ، فلما رجع الشريف إلى جده مولاي الطيب وأخبره بما وقع له مع الحبيب وبقوله،حق سيدي محمد الشرقي لا أطلقه. قال له رضي الله عنه : والله لو تغيرت في الطيب شعرة واحدة، لا ربح لا هو ولا الشرقي متاعُ.

والقصة طويلة إلا أني اختصرتها وذكرت بعضها ،لتصديق قول سيدي المعطي في قوله لصاحبه (أتشبهني بمولاي الطيب...)

وكان عاقبة الحبيب في هذه الحكاية خسرا ، ولما عاين فيها الهلاك أتى إلى سيدنا مولاي الطيب ،تائبا وطالبا منه العفو ، فعفا عنه رضي الله عنه.

-ولنرجع لما وعدنا به في أمر سيدي محمد بن الفقيه ، مع الشيخ رضي الله عنه في حسن عهده، ومراعاته له في صحبة جده ،فمن حسن عهده رضي الله عنه، مع أصحاب جده وطاعته لأخيه وشيخه، ما أخبرني به بعض الإخوان ،أن أخاه مولاي التهامي بعث إليه حين توليته، بعد وفاة والدهما سيدي محمد ،وقال للرسول : قل لأخينا مولاي الطيب هذه حاجته عندي موجودة يعطيني ثلاث مسائل ، ويأتي إليها يأخذها . فذهب الرسول إليه وبلغه ما أمر به ، فأجابه بقوله :قل لسيدي اثنان نعطيهما له وواحدة يسامحني فيها .فرجع الرسول إلى مولاي التهامي وأخبره بقوله ، فتبسم وسكت .ثم رجع الرسول إلى مولاي الطيب مسرعا وقال له : أقسمت عليك بجدك أن تخبرني بهذه المسائل الثلاث ما هي؟

فقال له رضي الله عنه : قال لي ائتيني بجميع مالك، واخدمني بنفسك، وارفع يدك عن سيدي محمد بن الفقيه ولا تتعرض عليه.

فقلت له أعطيك مالي وأخدمك بنفسي وسامحني في الثالثة.

وسبب هذا من مولاي التهامي ،أنه لما توفي جده مولاي عبد الله، وتولى والده سيدي محمد مقام أبيه ، تأخر سيدي محمد بن الفقيه عن استخلافه ، ولم يكلف بذلك ، فجعل يصرح ويقول، سيدي محمد أخي في الشيخ ،وسر والده مولاي عبد الله قسمه بيني وبينه نصفين ، فأسرها مولاي التهامي في نفسه إلى أن مات والده وتولى هو ، أراد أن يبين له سوء أدبه ويوقفه على بطلان قوله ، ومولاي الطيب رضي الله عنه، راعى فيه صحبة جده مع ما سبق قبل من كونه بشره مع سيدي الحاج الخياط ، وأخذ عنه في صغره فوفى

بالعهد ،ورغب فيما عند الله تعالى بالإحسان إلى صاحب الجد ، ولما كان بينهما من الود .

فقد ورد في الخبر عن النبي ρ أنه قال:من البر أن يحسن الرجل إلى أهل ود أبيه.

– ولمل جرى ذكر الوفاء بالعهد ،رأيت أن أذكر هنا حكايات في المعنى ، تستحسنها الأسماع وتلين بها الطباع ، نقل حكايتين منها صاحب "الأنيس" قال رحمه الله في ترجمة الفقيه المشارك النبيه، أبي عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور ما نصه . أخبرني رحمه الله قال : أخبرني شيخنا الإمام أبو علي اليوسي ناقلا عن بعض أشياخه ، قال أخبرني من أثق بعقله وبصحة نقله قال ، أغرب ما نقلته من الأخبار ، وأعجب ما عقلته عن

الأخيار ، ما روى بسنده إلى من كان يحضر مجلس أمير المومنين ،عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليسمع كلامه ويتدبر أحكامه ، قال بينما الإمام في يوم من الأيام ،وعنده أكابر الصحابة وأهل الرأي والإصابة، وهو يفصل القضايا ويحكم بين الرعايا ، إذ أقبل إليه شاب نقي الأثواب، يكتنفه شابان من أحسن الشباب وقد جذباه وساقاه وسحباه ، فلما وقفوا بين يديه ونظر إليهما وإليه ، أمرهما بالكف عنه، فدنوا منه فقالا : نحن إخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان ، وكان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير، معظم في القبائل جنوح إلى الفضائل منزه عن الرذائل ، ربانا صغارا وأولانا مننه كبارا ، أبونا أب لو كان في الناس أب آخر مثله أغناهم بالمناقب .خرج اليوم إلى حديقة يتنزه في أشجارها ويقتطف من ثمارها ،

فقتله هذا الشاب ، وعدل عن سبيل الصواب ، فانظر لنا في القصاص عما جناه ، واحكم لنا بما أراك الله .

قال الراوي:فنظر عمر رضي الله عنه للشاب وقال : قد سمعت فما الجواب؟ والغلام مع ذلك ثابت الجاش، خال من الإرتعاش ، فتبسم عن مثل الجمان ، وتقدم بأصح جنان، وسلم بأفصح لسان وقال : يا أمير المؤمنين ، قد وعيا ما ادعيا ، وصدقا فيما نطقا، وعبرا عما جرى ، وها أنا بين يديك ، والأمر إلى الله ثم إليك .

فقال عمر : كيف ذلك، وما السبب الذي اقتحمت إليه هذه المهالك؟فقال : اعلم إني من الغرباء والعرب العرباء ، كنت في منازل البادية ، فعدت علينا السنون العادية، فأقبلت إلى ظاهر هذه البلاد ، بالأهل والمال والأولاد ، فأفضت في بعض طرائقها إلى المسير بين

حدائقها ، وكان لي بعض نياق حبيبات إلي كريمات علي ، بينها فحل كريم الأصل كثير النسل ، حسن النتائج والنتاج ، يمشي بينها كالملك إذا كان عليه التاج ، فمالت النوق إلى حديقة ظهر من الحائط بعض أشجارها ، فتناولت منه بثغرها ، فطردتها عن تلك الحديقة ، وسلكت بها غير تلك الطريقة ، وإذا بالشيخ قد ظهر وبيده خنجر ، وهو يزأر كالأسد إذا خطر، فضرب الفحل فقتله وأصاب مقتله ، فلما رأيت الفحل قد سقط إلى جنبه مع ما عندي من حبه، تناولت منه الخنجر بعينه، وضربته به فكان سبب حينه ، فلقي سوء منقلبه، والمرء مقتول بما قتل به ، فأسرعت من مكاني بقدر إمكاني ، فهرول الشابان وأدركاني ، وفي ذلك الحين أمسكاني وقد أحضراني وها أنا كما تراني ؟قال: فقال عمر رضي الله عنه : قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ،ووجب القصاص، ولات حين مناص . فقال الفتى :

سمعا لما حكم به الإمام ، ورضا بما اقتضته شريعة الإسلام ، ولكن لي أخ صغير، كان له أب شيخ كبير ، خصه قبل وفاته بمال كثير ، وذهب له خطر كثير،وأحضره بين يدي وسلمه إلي ،وأشهد الله علي وقال: هذا لأخيك عندك ، فاجعله تحت يديك واحتفظ به جهدك. فاتخذت لذلك المال مدفنا ، لا يعلمه من الخلائق إلا أنا ، فإن حكمت الآن بقتلي ذهب الذهب، وضاعت وصية الأب ، وكنت أنت في ذلك السبب ، وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه ، وإن أنظرتني إلى ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام ، وعدت وافيا بالذمام ، ولي من يضمنني على هذا الكلام .

فأطرق الإمام عمر، ثم نظر إلى من حضر وقال : من يقدم على ضمانه في العود إلى مكانه ؟فنظر الشاب إلى وجوه الناظرين ، وأشار إلى أبي ذر دون الحاضرين وقال : هذا يضمنني وبعد قتلي

يدفنني . فقال عمر : أتضمنه يا أبا ذر في هذا الكلام ؟قال : نعم إلى ثلاثة أيام . فرضي الشابان بضمان أبي ذر، وأنظراه إلى ذلك القدر ، فلما انقضت مدة الإمهال ، وكاد وقتها يزول أو زال ، حضر الشابان إلى سيدنا عمر ، والصحابة حوله كالنجوم حول القمر ، وإذا بأبي ذر قد حضر ، فقال له الشابان : أين صاحبك يا أبا ذر، ما ظنناه يرجع أو يرجع أمس الذي مر ، ونحن لا نبرح من مكاننا ، إلا أن تفي لنا بضماننا .

فقال أبو ذر : وحق الله الملك العلام ، إن تم الأجل ولم يحضر الغلام لأسلم لكما نفسي، واحتسب رضي الله عنه في قطع رأسي. فقال عمر رضي الله عنه : والله إن تأخر الغلام، لأحكمن في أبي ذر بما اقتضته شريعة الإسلام. فهملت عبرات الناظرين ، وارتفعت زفرات الحاضرين ، وعرضت الصحابة على الشابين أخذ الدية ويقتسماها

على السوية ، فأصرا على عدم القبول ،وأبيا إلا الأخذ بثار المقتول ، فاخذ الناس يموجون تلهفا على ما قضى به عمر ، وتأسفا على قتل أبي ذر .

وبينما هم يبكون وبما يجدون من الإشفاق على أبي ذر يشكون ، إذ أقبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم بأتم السلام ،ووجهه يتهلل مشرقا وجبينه يتكلل عرقا وقال : قد أسلمت الصبي إلى أخواله ،وأصلحت له سائر أحواله ،وأطلعتهم على مكان ماله ، ثم اقتحمت هاجرة الحر ووافيت وفاء الحر ، وقد علمت أن من غدر لم يعف عنه من قدر ، وأن قتلي أهون من قتل أبي ذر ، وعلمت أن الموت إذا حضر لم ينج منه احتراس ، فاخترت الوفاء كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذر : قد ضمنته يا أمير المؤمنين ولا أعرفه من أي قوم ،ولا رأيته قبل اليوم، ولكن نظر إلى الناس فرصدني ،ومن بين سائرالصحابة قصدني ، فلم أستحسن رده، وأوجبت المروءة أن لا أخيب قصده ، إذ ليس بإجابة القاصد من بأس ، كي لا يقال ذهبت المروءة من الناس .فقال الشابان : يا أمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا، ذخيرة بين أيدينا، وأبدلنا وحشته بالإيناس، وأزلنا ما كان يخافه من البأس ، كي لا يقال ذهب المعروف من الناس.

قال الراوي: ففرح الناس والإمام بالعفو عن الغلام ، وشكروه على قصده ووفائه ، وعجبوا من مروءة أبي ذر دون جلسائه ، وشكر عمر الشابين في اصطناع المعروف، وأثنى عليهما بما هو معلوم ومعروف ، ثم إن عمر عرض عليهما أن يصرف لهما من بيت المال دية أبيهما ،

فقالا: إنا غفرنا للغريم ابتغاء وجه الله الكريم، ومن كانت نيته هكذا فلا يتبع إحسانه بالمن والأذى.

-وأخبرني قال: قال العلامة ابن المقري رحمه الله ،مما نقلته من لطائف الأخبار، ما حدث به الحسن بن الحضرمي قال : لما افضت الخلافة إلى بني العباس ، اختفت رجال من بني أمية، وكان في جملة من اختفى منهم ، ابرهيم بن موسى بن عبد الملك . ولم يزل مختفيا إلى أن أخذ له أمان من ابي العباس السفاح ، وكان ابراهيم رجلا أديبا بليغا حسن المناظرة، فحظي عند أمير المومنين السفاح ، وكرمت منزلته عليه، فقال يوما : ياابراهيم قد مكثت زمانا مختفيا، فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك ، فإنه كان زمن تكدير .

فقال : يا أمير المومنين وهل يسمع أعجب من حديثي ؟ لقد كنت مختفيا في منزل أنظر منه إلى البطحاء ، فإذا أنا بأعلام سود خرجت من الكوفة تريد الحيرة ، فوقع في نفسي أنها تطلبني ، فخرجت متنكرا ووالله ما أعرف أين أتوجه ؟ وإلى أين أذهب ؟ فأتيت الكوفة من غير الطريق وأنا لا أعرف بها أحدا ، فبقيت متحيرا وإذا أنا بباب كبير في رحبة متسعة، فدخلت إلى تلك الرحبة ، ووقفت قريبا من الباب ، وإذا برجل حسن الهيئة راكب على فرس ، وحوله جماعة من أصحابه وغلمانه ، فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتاعا فقال : ألك حاجة ؟ قلت : غريب خائف من القتل . قال : ادخل .فدخلت إلى حجرة في داره فقال : هذه لك . ووهب لي ما كنت محتاجا إليه من فراش ، وأواني ولباس وطعام ، فأقمت عنده مدة ، والله يا أمير المومنين ما سألني من أنا ولا ممن أخاف، وهو في ذلك

كل يوم يركب ويعود متأسفا فقلت له يوما : كأنك تطلب شيئا فاتك ؟ فقال: ابراهيم بن موسى بن عبد الملك قتل أبي ، وقد بلغني أنه مختف ،وأنا أطلبه لعلي أجده، فآخذ بثأري منه بسيفي هذا . فعجبت والله يا أمير المومنين من شؤم بحثي ،الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي، ويريد أخذ ثأره مني ، فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الهم، فسألته عن اسم أبيه وعن سبب قتله ، فعلمت صحة الخبر فقلت : يا هذا قد وجب علي من حقك، أن أدلك على قاتل أبيك حتى تأخذ بثأرك منه. فقال : أظنك قد سئمت الإختفاء ،وكرهت الحياة وتريد قتل نفسك لذلك .فقلت: أنا والله قتلته يوم كذا في موضع كذا. فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إلي وقال : أما أنا فسألقاك غدا بين يدي الله، وأحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية ، ولست بمخفر

ذمتي ، ولا مضيع نزلي، ولكن اخرج عني ، فإني لا آمن نفسي عليك بعد اليوم .ثم وقف إلى صندوق فأخرج صرة، فيها خمسمائة دينار فقال : خذ هذه استعن بها على اختفائك .

فكرهت أخذها ، فأقسم علي حتى أخذتها ، فخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيته . قال: فبقي السفاح يهتز طربا ،ويتعجب من مروءة هذا الرجل ويقول: هكذا يكون كرام الناس. ثم بعث إليه ،فأكرمه وكان من ندمائه .انتهى نصه

– قلت ومثل هذه الحكاية ،وأعجب منها ما ذكره صاحب تنبيه الاخبار ، على ما في المقامات من الأشعار ، ونصه رايت في مجموع أنه لما ظهر أمر بني العباس، واختفى بنو أمية والتجأ كثير منهم بالحيرة ، فحكى عن بعض بني أمية :

أنه كان رجل منهم مختفيا عند رجل ، فدل عليه وانه كانت له بنت جميلة ، وحين أمر بقتله اسلم البنت للرجل الحيري ، وكان للحيري أربعة من الأولاد . فبينما هو ذات بوم ،إذ دل على البنت فامر الحيري بإخراجها وتسليمها لبني العباس فأبى ،فهددوه بإلقاء اكبر أولاده في غيضة الأسد ، فاستمر على امتناعه ، فألقى الأكبر منهم إلى الأسد، ثم أغفل ذكره مدة ووشى بالبنت إلى بني العباس مرة أخرى ، فأنكر ذلك الحيري، فهدد بإلقاء ولد آخر من أولاده إلى الأسد فقال : افعلوا ما تشاؤون .فلم يزل الأمر على ما ذكر، إلى أن ألقوا الأولاد الأربعة للأسد ، ولم يسلم البنت لبني العباس، فدخل داره في بعض الأيام ، فوجد البنت تبكي فسأل عن سبب بكائها ، فقيل له : إنا مشطنا شعرها ولعل أسنان المشط ألمتها فبكت من ذلك.فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله هذه تبكي من أسنان المشط ، وأنا

لا ابكي من فقد أربعة أولاد لي.ثم بكى وتألم ونام ، فرأى في منامه والد البنت ، فأنشد الحيري المذكور :

صبرت على فقد البنين

وذقتها مرارة صبر فيها

تحلوا منيتي فيا مقلتي

جودي عليهم بأدمع ويا

كبدي الحرا عليهم تفتتي

ويا صاحبي قاسيت في

طلب الوفا

مذاهب أهوال بها النعل

زلت ليعلم أني قد

وفـيت وقلمـا وفي من

جميع النـاس حتى لمـيت

فأجابه أبو البنت بقوله :

صبرت جـزاك الله خيـرا

ونلتها مواقف أجـر أشـرقت

وتعلت فدونك غيضـان

الجـزيرة عندهــا بنوك

تجدهم بين سبع ولبؤة

ودونك أصل الســر وكنـز

دفنته تجده وقسـم في

البنـين مع ابنـتي

فانتبه ودخل الغيضة ، فوجد الأولاد الأربعة وأسد ولبؤة ، يحرسانهم فتفرقا عنهم، واجتمع بأولاده وحفر في أصل السرو ، فأخرج كنزا فقسمه بين أولاده الأربعة والبنت، وزوج البنت من أكبرهم.

-قلت ومن وفاء هذا القطب المبارك العظيم ، القدر الكريم الأصل السليم الصدر، أنه كان عظيم الإعتناء والتعظيم، لأولاد شيخه وأخيه مولاي التهامي، وكان يباشر ما يحتاجونه إليه بنفسه كما كان مع أبيهم ، إلى أن كبر سنه وثقل عظمه ، فصار يستنيب من يخدمهم ،ويقضي حوائجهم ، ويامر بمحبتهم والإحسان إليهم ، كما

كان رضي الله يأمر بمحبة آل البيت، وإكرامهم والدعاء للأمراء بصلاح الحال ،وللحكام بالتوفيق في الأعمال.

– وسمعته رضي الله عنه يقول : قال سيدي ومولاي التهامي " اولادنا كلهم يضووا ويكووا " .

قلت وفي ذلك إشارة إلى من أحبهم وانحاش إليهم ، أبصر بنور المحبة وبركاتهم، ما ينفعه فيرتكبه وما يضره فيجتنبه ، ومن آذى أهل البيت وأبغضهم، اظلمت بصيرته وتكدرت معيشته، ولم يزل رضي الله عنه حريصا على هداية الخلق، وإرشادهم لحضرة الملك الحق ، إلى أن قرب ارتحاله لدار السلام ،واختار لقاء الله والإجتماع مع جده، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . اقام ولده سيدنا

ومولانا أحمد خامس الأقطاب منهم مقامه ،وجعله وارث سره بإذن ربه وصاحب كنزه . وتوفي رضي الله عنه عند طلوع الفجر، يوم الأحد الثامن عشر من ربيع الثاني عام أحد وثمانين ومائة وألف (1181هـ) . فقام ولده أحمد المذكور مقام والده، وسار مع الإخوان بسنته وطريقته ، فنوره بينهم ساطع ،وبرهانه قاطع ،سقاه الله من مدد جده سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين ،وأدام النفع به آمين يارب العالمين .

ولما بلغنا نعي هذا الشيخ المبارك مولاي الطيب ، في غد التاريخ المذكور ونحن بحضرة فاس ، كادت الأجساد تفارقها الأنفاس ، من حر الفرقة وطول بعد المشقة. وسمعت أنه هلك فقلت في ذلك :

الصبر أجمل ما به المرء

ائتسى صبرا جميلا يا

قليب على الأسى يا عين

كفي عن البكاء فإنما

يكفي المحب لدى الفداء

الأنفسا ما الدمع للصدر

الحزين مفرج كلا ولو

ترك الأفاق مطمسا جرت

المقادير بالذي أبداه من

خلق البرية والجوار

الكنسا نعي الذي قد

كان للناس ملجئا ومواسيا

ومواصلا ومؤنسا بحر

المعارف قطبنا وإمامنا

الطيــب الأنفاس مهما

تنفسا ليتي وجـدت إلى

المنية مسلكا قبل المصاب

به أجرع الكؤسـا من

للمساكين والأرامل ان عدا

دهر بريب أو بـدا متنكسا

كل العوالم أصبحت من

أجله مكسوفة والجو

أضحى معبسا صبرا بني

الأشراف من أجل طيب

فالعيش ليس على أمرلي

متأسسا من لم يذق ما

ذاقه في يومه صحب

المنية في الصحب أوالمسا

هل أبصرت عيناك دار

من درى أو ابقت الأرياح

حيا مقوقسا كل اصيب

بسهمها إذ رمتهم لم

تبق منهم ذاهلا أو كيسا

اف لدينا يدوم نعيمها

مهما صفا ابصرت فيه

تدنسا ما العيش إلا في

الجنان وزادها تقوى الإله

فكن بها متلبسا يا آل

بيت نبينا لازلتم

حصنا حصينا لمن لجا أو

من أسا جودوا لعبد قد

أتى لحماكم مزجى

البضاعة مغرما ومفلسا

يرجو المتاب بقربك

وبجاهكم من خوف ذنبه

دائما يتلوا عسى ثم

الصلاة على النبي وآله

ما دامت الأغصان بالزهر

تكتسى

وأنشدوا في المعنى من قصيدة :

حكم المنية في البرية جار

ما هذه الدنيـا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها

مخبرا حتى يرى خبرا

من الأخبار والنفس إن

رضيت بذلك أو ابت

منقادة بأزمة الأقدار

طبعت على كدر وأنت

تريدها صفوا من الأقذاء

والأكدار ومكلف الأيام

ضد طباعها متطلب في

الماء جذوة نار وإذا

رجوت المستحيل فإنما

تبني الرجاء على شفير

هار

العيش نوم والمنية يقظة

والمرء بينهما خيال سار

فاقضوا مآربكم عجالا

إنما أعماركم سفر من

الأسفار وتراكضوا خيل

السباق وبادروا أن

تسترد فإنهن عوار

ليس الزمان وإن حرصت

بسالم خلق الـزمـان

عـداوة الأحرار

إلـى أن قـال :

ابكيـه ثم أقول معتـذرا لـه

وفقت حـين تركت لـلأم

داري جاورت أعـدائـي

وجـاور ربه شتان بين

جـواره وجـواري

ذكر فضل أهل البيت الشريف

وبعض مناقبهم وكراماتهم

رضي الله عنهم ونفعنا بهم

وحشرنا في زمرتهم

آمـــين

-روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أن رسول الله ρ قال: الزموا مودتنا أهل البيت ،فإنه من لقي الله تعالى وهو يودنا ، دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا أخرجه الطبراني في الأوسط.

وقال عليه ρ : شفاعتي لأمتي من أحب اهل بيتي وقال عليه الصلاة والسلام: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال :حب نبيكم وحب أهله وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه.

وجاء في تفسير قوله تعالى: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدى] ، عن ثابت البناني قال: اهتدى إلى ولاية أهل البيت ومحبتهم ومودتهم .

وفي الحديث: إن آله صلى الله عليه وسلم في أعلا درجات الجنة وقال ρ : مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا . وفي الحديث:إنهم ساداة أهل الجنة، وأن من صنع

إلى أحدهم برا ،كافاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة. وقال ρ : حب آل بيت محمد يوما خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة .

وعن سيدنا بلال بن حمامة رضي الله عنه قال : طلع علينا رسول الله ρ ذات يوم متبسما ضاحكا ، ووجهه مشرق كدارة القمر ، فسألناه عن ذلك فقال:بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، فإن الله تعالى زوج عليا من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان أن يهز شجرة طوبى، فحملت رقاقا يعني صكاكا بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ تحتها ملائكة من نور ،ودفع إلى كل ملك صكا ، فإذا استوت القيامة بأهلها ، نادت الملائكة في الخلائق ، فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكا

فيه فكاكه من النار ، فصار أخي وابن عمي وابنتي ، فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار . قاله في الفصول المهمة.

وقال ρ :لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا فاجر شقي ، وقال ρ: أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها، والمحبون لأهل بيتي ورقاههم في الجنة حقا حقا ، وقال ρ :إن الله تعالى فطم ابنتي فاطمة وولديها ومن أحبهم عن النار.

وعن أنس رضي الله عنه : كان النبي ρ يمر على باب فاطمة رضي الله عنها ،إذا خرج إلى لصلاة الفجر ويقول: الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيرا ، قال بعضهم الرجس هو الطمع والبخل ، والتطهير السخاء.

-وفي العرائس عن النبي ρ : في السماء الدنيا بيت، يقال له البيت المعمور فوق الكعبة ، فهبطت الملائكة من الصفيح الأعلى، وأمر الله تعالى رضوانا ينصب منبرا على باب البيت المعمور ،وأمر ملكا يقال له راحيل، فعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، فارتجت السماوات فرحا وسرورا ، وأوحى الله تعالى إلى أن أعقد عقدة النكاح ، فإني زوجت عليا بفاطمة أمتي بنت محمد رسولي ، فعقدت وأشهدت وكتبت شهادتهم في هذه الجزيرة وأمرني ربي أن

اعرضها عليك،وأختمها بخاتم مسك أبيض ، وأرفعها إلى رضوان خازن الجنان.

قال المحب الطبري: فخطب النبي ρ :الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته، المرعوب من عذابه وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وارضه ، بحكمته الذي خلق الخلق بإبداعه وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وملته ، إن الله تعالى تبارك اسمه وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا، أوشح به الأرحام والزم به الأنام ،فقال عز من قائل :وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرًا ، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ، فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه، يجري إلى

قدرته ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ، ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة، بنت خديجة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا إني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك . فقال علي رضي الله عنه : رضيت يا نبي الله .فقال :جمع الله شملكما وأسعد جدكما ،وبارك عليكما وأخرج منكما الكثير الطيب . قال الطبري : (أوشح به الأرحام) أي شبك بعضهما ببعض .

- ولما نزل قوله تعالى:[وَإِنْ مِنْكُمُ إِلاَّ وَارِدُهَا] صار النبي ρ كالمحموم على أمته ، فسألوه عن ذلك فلم يجبهم، فاخبروا فاطمة رضي الله عنها بذلك، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ما يبكيك ؟فأخبرها بقوله تعالى: [وَإِنَّ مِنْكُمْ إِلاَّ

وَارِدُهَا] ، فبكت بكاء كثيرا ،وتوجهت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت : يا شيخ المهاجرين قد أنزل الله على نبيه ρ [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا] فهل لك أن تكون فداء لشيوخ أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟قال : نعم.

ثم سألت الحسن والحسين رضي الله عنهما، أن يكونا فداء لأطفال أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قالا : نعم .ثم جعلت نفسها فداء لنساء أمة محمد ρ ؛ فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك : قل لفاطمة لا تحزن فإني أفعل بأمتك ما تحبه فاطمة "من نزهة المجالس".

-ثم قال رحمه الله تعالى :

لطيفة: رأيت في العقائق، أن فاطمة رضي الله عنها ، بكت ليلة عرسها ، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقالت تعلم أني لا أحب الدنيا، ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة ، فخشيت أن يقول علي رضي الله عنه بأي شئ جئتني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لك الأمان فإن عليا لم يزل راضيا مرضيا .

ثم بعد ذلك تزوجت امرأة من اليهود ، وكانت كثيرة المال ، فدعت النساء إلى عرسها ، فلبسن أفخر الثياب ،ثم قلن نريد أن ننظر إلى بنت محمد وفقرها ، فدعونها فنزل جبريل بحلة من الجنة ، فلما لبستها وائتزرت بإزارها، جلست بينهن ورفعت الإزار فلمعت الأنوار، فقال النساء : من أين هذا يا فاطمة ؟قالت : من أبي .قلن : من اين لأبيك؟قالت: من جبريل .قلن : من أين لجبريل ؟قالت : من

الجنة .قلن : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فمن أسلم زوجها بقيت معه وإلا تزوجت غيره .

– وقال ابن الجوزي: أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صنع لها قميصا جديدا ليلة زفافها ، وكان لها قميص مرقع ،وإذا بسائل على الباب يقول : أطلب من بيت النبوة قميصا خلقا، فأرادت أن تدفع إليه القميص فتذكرت قوله تعالى: [لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ]فدفعت له الجديد ، فلما قرب الزفاف ، نزل جبريل وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام وأمرني أن أسلم على فاطمة، وقد أرسل معي لها هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر . فلما بلغها السلام، وألبسها القميص الذي جاء به، لفها رسول الله ρ بالعباء ولفها جبريل بأجنحته ، حتى لا يأخذ نور

القميص بالأبصار ، فلما جلست بين النساء الكافرات ومع كل واحدة شمعة ، ومع فاطمة رضي الله عنها سراج. رفع جبريل عليه السلام جناحه ورفع العباء، وإذا بالأنوار قد طبقت المشرق والمغرب ، فلما وقع النور على أبصار الكافرات، خرج الكفر من قلوبهن وأظهرن الشهادتين.

-وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، لما زوج النبي ρ عليا بفاطمة قالت : يا رسول الله زوجتني برجل فقير، فقال ρ : أما ترضين أن الله تعالى، اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك.

-وفي رواية أن النبي ρ ، دخل على فاطمة فقال: السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت ؟ فقالت : والله أصبحت وجعة ، فقد

أضرني الجوع . فبكى النبي ρ ثم قال: لا تجزعي ،فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ،ولكن آثرت الآخرة على الدنيا . ثم ضرب بيده على منكبها وقال: أبشري فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة ، فاقنعي بابن عمك فإنك سيدة نساء أهل الجنة . فقالت : أين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟فقال: آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها .

-وعن ابي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ،عن النبي ρ :إذا كان يوم القيامة، نادى مناد من بطنان العرش :يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم ، حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط. قيل حتى لا يراها قاتل الحسين ، فيتعلق بها

فتعفوا وقد قضي عليه بالعذاب، فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق الخاطف.

وأخذ النبي ρ يوما بيدها وقال :من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها، فهي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ،وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي ، من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله.

-وقال ابن عباس رضي الله عنهما : بينما أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع عليهم نور فظنوه شمسا فقالوا: إن ربنا يقول: [لاَيَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيرًا] فيقول رضوان: هذه فاطمة وعلي ضحكا ، فأشرقت الجنان من نور ضحكهما .

ثم قال: وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ρ :إن الله خلقني وخلق عليا نورين بين يدي العرش ، نسبح الله ونقدسه ، قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، فلما خلق آدم أسكننا صلبه ، ثم نقلنا من صلب طيب وبطن طاهر ، لا تحتك فينا عاهة ، حتى أسكننا صلب عبد المطلب ، ثم افترق النور من عبد المطلب ، فصار ثلثاه في عبد الله فخرجت منه ،وثلثه في أبي طالب، فخرج منه علي ، ثم اجتمع النور مني ومن علي في فاطمة، فالحسن والحسين نوران من نور رب العالمين.

وعن النبي ρ :حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا . رواه الترمذي وحسنه.

حجب الله اسم الحسن والحسين عليهما السلام ،حتى سمى بهما النبي ρ ابني علي رضي الله عنه.

- وقال ابن فرحون : روي أن جبريل عليه السلام ،كان عند النبي ρ في صورة دحية الكلبي ، فتعلق به الحسن والحسين عليهما السلام ، فقال: يا محمد متى عرفاني؟

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنما فعلا ذلك لأن الرجل يأتيني في صورتك ، يحمل إليهما من الفواكه ما يطرفهما به .

فجاء جبريل عليه السلام بعد ذلك برمان فأكلاه، فقال جبريل عليه السلام: لو سقطت حبة واحدة لشفي بها أهل الأرض ، ولكن الله تعالى جعلها رزقا لهما.

وروي عن الحسين رضي الله عنه أنه قال : دخلت على رسول الله ρ ، وعنده أُبي بن كعب ، فقال لي ρ :مرحبا بك يا عبد الله يا زين السماوات والأرض . فقال له أبيّ : كيف يكون زين السماوات والأرض أحد غيرك ؟ فقال له : يا أبيّ والذي بعثني بالحق نبيا ، ان الحسن بن علي في السماء ، أكبر منه في الأرض وإنه لمكتوب على يمين عرش الله عز وجل ، مفتاح هاد وسفينة نجاة ،وإمام غيروه وعز وفخر وعلم وذخر وعلى آبائه السلام.

-وفي بهجة المحاسن للإمام الصفوري رحمه الله ، قال علي رضي الله عنه: أخذ النبي ρ الحسن والحسين وقال: من أحبني

وأحب هذين وأمهما وأباهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ، ما رأيت الحسن إلا فاضت عيناي،وذلك إنه قعد يوما في حجر النبي ρ ، يلعب بلحيته الشريفة ، ويدخل النبي ρ فمه في فمه ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات.

-لطيفة: قال النسفي رضي الله عنه ، كتب الحسن والحسين في لوحين ،وقال كل واحد منهما خطي أحسن ، فتحاكما إلى أبيهما ، فرفع الحكم إلى فاطمة، فرفعته إلى جدهما ρ فقال: لا يحكم بينكما إلا جبريل. فقال جبريل : لا يحكم بينكما إلا رب العالمين

فقال الله تعالى:يا جبريل خذ تفاحة من الجنة واطرحها على اللوحين، فمن وقعت على خطه فهو أحسن ، فلما ألقاها قال الله تعالى:كوني نصفين فوقع نصفها على خط الحسن ،ونصفها على خط الحسين . ونزل جبريل بتفاحة من الجنة ، فدفعها للنبي ρ ،وعنده الحسن والحسين فطلبها كل منهما ، فقال جبريل : دعهما يتصارعان فمن غلب أخذها، فكان جبريل مع الحسين والنبي مع الحسن، فلم يغلب أحدهما الآخر فنزل بتفاحة أخرى.

قالت فاطمة : يا رسول الله إن الحسن والحسين قد غابا عني فلا أعلم أين ذهبا؟

فقال جبريل : يا محمد إنهما في مكان كذا وكذا ، قد وكل الله بهما ملكا يحفظهما. فقام النبي ρ إلى ذلك المكان ، فوجدهما نائمين

متعانقين ، قد جعل الملك أحد جناحيه لهما وطاء والآخر غطاء ، فقبلهما النبي ρ ، فجعل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على اليسار، فتلقاه أبو بكر فقال : يا رسول الله ناولني أحد الصبيين لأحمله عنك. فقال ρ : نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان ، فلما دخل المسجد قال: يا معشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جدا وجدة؟ قالوا : نعم .قال : الحسن والحسين جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدتهما خديجة، ألا أدلكم على خير الناس أبا وأما ؟ قالوا : نعم.قال : الحسن والحسين أبوهما علي وأمهما فاطمة ، الا أدلكم على خير الناس عما وعمة ؟ قالوا : نعم. قال : الحسن والحسين عمهما جعفر وعمتهما أم هاني، ألا أدلكم على خير الناس خالا وخالة؟ قالوا : نعم .قال: الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول

الله صلى الله عليه وسلم، وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكاية :

قال أعرابي للحسين رضي الله عنه : سمعت جدك رسول الله ρ يقول:إذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة : إما عربي شريف ،أو مولى كريم ، أو حامل القرآن ، أو صاحب صبيح. فأما العرب فشرفت بجدك ، وأما الكرم فهو سيرتكم، وأما القرآن ففيكم، وأما الوجه الصبيح فقد سمعت جدك يقول: إذ أردتم أن تنظروا إلي ، فانظروا إلى الحسن والحسين . فقال له : ما حاجتك؟ فكتبها على الأرض، فقال الحسين رضي الله عنه : سمعت جدي يقول:المعروف بقدر المعرفة، وقال أبي علي بن ابي طالب :

"قيمة كل امرئ ما يحسنه"، فسأسألك عن ثلاث مسائل ، فإن أجبت عن واحدة ، فلك ثلث هذه الصرة ،أو اثنتين فثلثاها ،أو عن الثلاثة فكلها .قال : اسأل.قال : أي الأعمال أفضل ؟قال : إيمان بالله.قال : فما نجاة العبد من الهلكة ؟قال: الثقة بالله.قال : فما يزيد العبد ؟قال : علم معه حلم.قال : فإن أخطاه ذلك ؟قال : فقر معه صبر.قال: فإن أخطاه ذلك ؟قال : فصاعقة تحرقه. فضحك الحسين رضي الله عنه ودفع له الصرة. (فكمالها ذكره الرازي في أول البقرة).

-ويروى أن علي بن الحسين رضي الله عنه ، جاءه قوم من أصحاب النبي ρ يعودونه في علته ، فقالوا له : كيف اصبحت يا ابن رسول الله ρ فدتك أنفسنا ؟قال : في عافية والله المحمود كيف أصبحتم جميعا ؟فقالوا : والله أصبحنا لك يا ابن رسول الله ρ

محبين وادين .فقال لهم : من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافاتنا كافاه الله عنا بالجنة، ومن أحبنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب.

– ومن ابن فرحون ما نصه : قال أبو عامر واعظ أهل الحجاز ، خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي ρ، فبينما أنا أسير في ليلة ذات رياح عاصفة، ورعود قاصفة وبروق هائلة، وقد هممت أن آوي إلى جبل أستكن فيه وأنام إلى الصباح ، إذ سمعت صوتا حزينا ، يخرج من قلب قريح وهو يقول : "يا *دليل الحائرين في طرق الفلوات ، ومؤنس كل متوجه إليه في الخلوات ، حيثما توجهت فإليك قصدي، وأينما سلكت فأنت أمامي، أنت أنسي إذا استأنس البطالون بغيرك ،وأنت فخري إذا افتخر الجاهلون بسواك* " .

قال أبو عامر: فأسرعت نحوه ، فإذا برجل عليه أطمار ، فسلمت عليه فرد علي السلام، وأنسني بطيب الكلام وقال : أيدنا الله وإياك بمعونته،وأعاننا وإياك على طاعته، ولا قطع بنا عن خدمته ، من أين أقبل هذا الرجل في سواد الليل وإلى أين يريد ؟

قلت : رجل ضال عن الطريق ،وقد سمعت كلاما أثار بقلبي أحزانه ، فأهاج به أشجانه ، فلا عليك أن تعيده لأستشفي به من دائي ،واصلح ما فسد من دوائي . فصاح صيحة ظننت صدره قد انقطع ، وقلبه قد اختلع ثم قال : ويحك ، إذا كان الطبيب ينفع دواؤه وبه داء ، قد ثقل جرحه ودام فرحه ،وهو لا ينفع نفسه ، فكيف يرجى نفعه ويمؤمن نصحه ؟ ثم أخذ في البكاء والشهيق ، حتى خفت على نفسه أن تتلف فقلت له : فكم ذا البكاء الذي لا فرح معه ، وكم ذا القنط الذي لا رجاء معه ؟ قال : إني أكره الاشتغال بالأماني.

ثم سار ، فاتبعته حتى أشرفنا على واد ، لا يستطاع لسعته وعمق غديره ، فجعل يشرف على شفيره ويبكي ، فلما طال ذلك علي قلت : رحمك الله أنا على غير الجادة . فاشتد بكاؤه وصياحه وقال : ويحك وأين الجادة ،وكيف لي ولك بأصحاب اليمين ؟ [وَ أَصْحَابُ اليَمِينِ مَا أَصْحَابَ اليَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُوضٍ ،وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ ولاَ مَمْنُوعَةٍ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ، إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاء ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لأَصْحَابِ اليَمِين] ، ثم ضرب بيده على يدي وتخطى، فإذا نحن بجانب الوادي من الضفة الأخرى ، ثم سار واتبعته ، لا أسمع إلا بكاءه وصياحه حتى قلت : هذا الفجر قد طلع . فمال إلى ناحية من الأرض ، فإذا بعين تجري عذبا زلالا فقال : دونك يا عبد الله فتوضأ . وتوضأت معه ، ثم اضطجع على شقه

الأيمن،واضطجعت إلى جنبه يسيرا ، ثم أذن وأقام الصلاة فصليت معه ، فلما سلم قال : يا عبد الله دنت مفارقتك إياي فعليك السلام. ثم قلت : بالذي أباحك الرتوع في رياض الإقبال ، إلا ما جدت علي بالمسامحة ، ومننت علي بالمعالجة ، ثم أومأت إلى مزود لأحله .قال : أو جائع أنت ؟قلت : نعم.قال: أشغلت نفسك عن التفكر في الملكوت بالأكل، لو أنك ذقت طعم اليقين، وعرفت ما أعد الله تعالى لأوليائه المتقين ، لان خشوعك وجرت دموعك ،وما استدعى المطاعم جوعك. ثم ضرب بيده الأرض ، فإذا بقرص كأنها خرجت من نارها فقال : دونك يا بطال واعلم أن لله عبادا صدقوا المحبة ، فقبلهم وتقربوا إليه بالأعمال الزكية فقربهم ، [أُولَئِكَ حِزْبُ الله، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُم المفْلِحُونَ] .

قال أبو عامر: فما أكلت ألذ من تلك القرص ،ولقد عصمتني أياما ،وظهرت بركتها في نفسي. قلت رحمك الله أنا على غير الجادة ،وقد فاتتني الوقفة ، فقال اغمض عينيك ، ففعلت فلم أفتحها إلا وانا أسمع رغاء الإبل ، ثم فقدته فلم أره. فقدمت مكة وحججت وجاورت سنة ، ثم انصرفت إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لقيني علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنهم ، فسلم علي وتبسم في وجهي وقال: يا عامر أتذكر رفيقك صاحب القرص ليلتك؟ فذكرني والله مالم أنسه، فقبلت يده وأقبلت أبكي وقلت له : سألتك بالله وبحق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم، آنت كنت ؟ قال : نعم ، فلا تذكر ماكان إلى أن اموت فإذا مت فدونك .قال أبو عامر: فما حدثت بذلك ، حتى قبضه الله تعالى رحمه الله تعالى .

وأنشدوا :

آل النبي ذخيرتي وهم إليه وسيلتي

أرجوا بهم أعطى بيدي اليمن

غدا صحيفتي

وقلت في هذا المعنى :

نعم حبكم يا آل بيت سلاحي وحصني

محمد فجودوا أحبائي واعتمادي وعدتي في

وصحبي وإخوتي ألم خدمتهم وامضوا بأحسن

تسمعوا ما قاله خير سيرة تركت كتاب الله

مرسل فيكم وعثرتي

- وينسب إلى الفرزدق ما يروى ، أنه لماحج هشام بن عبد الملك بن مروان في أيام أبيه، طاف بالبيت وجاهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الإزدحام عليه ، فنصب إليه كرسي وجلس ينظر الناس ،وقعد معه جماعة من أهل الشام . فبينما هو كذلك ، إذ اقبل زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، وكان من أجمل الناس وجها وأطيبهم أرجا ، فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر ، تنحى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا ؟

فقال الفرزدق :

هذا ابن خير عباد الله

كلهم هذا التقي النقي

الطاهر العلم هذا الذي

تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والركن

والحرم إذا رأته قريش

قال قائلها إلى مكارم

هذا ينتهي الكرم ينمى

إلى ذروة المجد التي

قصرت عن نيلها عرب

الإسلام والعجم يكاد

يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم إذا ما جاء

يستلم في كفه خيـزران

ريحـه عبق من كف أذرع

في عرنينه شمم يغضي

حياء ويغضى من مهابته

فما يكلم إلا حين يبتسـم

ينشق نور الهدى من نـور

غرته كالشمس تنحاز من

إشراقها الغمم مشتقة

مـن رسـول الله نبعته

طابت عناصره والخيم

والشيم هذا ابن

فاطمة ان كنت جاهله

بجده انبياء الله قد

ختموا والله شرفه قدما

وعظمه جرى بذلك له

في لوحه القلم

وليس قولك من هذا

بضائره العرب تعرف

من أنكرت والعجم كلتا

يديه غياث عم نفعهما

يستوكفان ولا يعروهما

عدم سهل الخليقة لا

تخشى بوادره يزينه

اثنان حسن الخلق

والشيم حمال اثقال قوم

هم إذا حملوا حلوا

الشمائل تحلوا عنده

عندم ما قال لا قط إلا

في تشهده لولا التشهد

كانت لاؤه نعم عم البرية

بالإحسان فانقشعت عنها

الغياهب والأخلاق

والعدم من معشر حبهم

زين وبغضهم كفر

وقربهم منجا ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا

أيمتمـهم أو قبل من خير

أهل الأرض قيل هم لا

يستطيع مجد بعـد

غـايتهم ولا يدانيهم قوم

وإن كرمـوا هم

الغيـوث إذا ما أزمة أزمت

والأسد اسد الشرى

والناس مختدم لا

ينقص العسربسطا من

أكفهم سيان ذلك إن أثروا

وإن عدمـوا

مقـدم بعـد ذكر الله

ذكرهم في كل بدء

ومختوم به الكلـم أي

الخـلائق ليست في

رقابهـم لأولي هـذا أولـه

نعـم

فغضب هشام على الفرزدق وأمر بحبسه ،فأنفذ له زين العابدين اثنتي عشر ألف درهم فردها وقال : مدحته لله تعالى لا للعطاء. فأرسل إليه زين العابدين وقال له : إنا أهل البيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده ،والله عز وجل يعلم نيتك ويثيبك عليها ، فشكر الله لك سعيك. فلما بلغته الرسالة قبلها .

– قلت ولو تتبعنا فضائل أهل البيت ومناقبهم ،وما أعد الله تعالى من الخير الجزيل، لمن أحبهم وأكرمهم لألفنا في ذلك أسفارا، ويرحم الله سيدي علي بن وفا بقوله:

أنتم اجل أنتم اعز مآربي

مطالبي أنتم أنتم جميع

أحبة مجمعي حبائبي

وقال أيضا رحمه الله :

كرر حديث أحبتي يا إن الحديث عن الأحبة

مطرب أحييت أموات طيب فاعش وقل لا عاش

القلوب بذكرهم وإن من لا يطرب وبكى وباح

تهالك عاشق من عشقه بسره لا يعتب أوصاف

من ذا يطيق الصبر عند من لهم الملاحة تتسب

سماعه طاب السماع تذكارهم من كل طيب

فكلما وافيته وعلى أطيب يا أيها الظمآن

الوجود أدير كأس لم لا تشرب تحيا

هواهم هم جيرة الوادي قلوب العاشقين وتسلب

الذين بقربهم

- وقال الإمام الصفوري في "نزهة المجالس" ما نصه :

مات بعض العلوية بمدينة بلخ، فانتقلت زوجته إلى سمرقند ، فجعلت أولادها في الجامع، وخرجت تطلب لهم طعاما ، فرأت كبير البلد فقالت : أنا امرأة علوية وأريد منك طعاما لأولادي. فقال : أقيمي عندي بينة بأنك علوية.فقالت : أنا غريبة .فأعرض عنها،

فرآها مجوسي فاخبرته بذلك فأكرمها ، فلما كان الليل رأى المسلم في منامه القيامة ،ورأى النبي ρ ،وعنده قصر من الزمرد فقال : يا رسول الله لمن هذا القصر؟ فقال : لرجل مسلم.قال : أنا مسلم موحد .قال: أقم عندي بينة .فتحير الرجل. فقال : قصدتك امراة علوية فقلت لها أقيمي عندي بينة .فاستيقظ وسأل عنها ، فوجدها عند المجوسي فقال : أريد العلوية ولك ألف دينار .فقال : لا أبيع قصرا بين يدي رسول الله ρ بألف دينار ، وما نمت البارحة حتى اسلمت أنا وأهل بيتي ،ورأيت مثل ما رأيت ،وقال لي رسول الله ρ : أنت وأهل بيتك في الجنة.

-حكاية :

صنع رجل من المجوس طعاما، فقالت طفلة من جيرانه من أهل البيت ، لقد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه ؛ فبلغه ذلك فبعث إليهم من طعامه، فقالت حشرك الله مع جدي . فرأى بعض الصالحين في منامه ، النبي صلى الله عليه وسلم وقال : اذهب إلى المجوسي وقل له: أجيبت الدعوة. فأخبره بذلك فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكاية :

قال عبد الله بن المبارك عن أبيه رضي الله عنهما ، عن بعض الصالحين ، أنه كان يحج كل عام ، فخرج أيام الحج إلى سوق بغداد بخمسمائة دينار ، ليتجهز بها للحج. فقالت امرأة : أنا شريفة وعندي ايتام ما أكلوا منذ أربعة ايام ، فدفع لها الدنانير كلها .فلما

رجع الناس من الحج خرج لملاقاتهم ، فكلما قال لأحد تقبل الله منك حجك، يقول وأنت تقبل الله حجك . فتعجب من ذلك ، فرأى تلك الليلة النبي ρ في المنام فقال : لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج ، فإني سألت الله أن يخلق ملكا على صورتك، فهو يحج عنك كل عام ، فإن شئت أن تحج وإن شئت أن لا تحج.

- وعن النبي ρ :من اصطنع إلى أهل بيتي معروفا ، فعجز عن مكافاته في الدنيا ، كنت أنا المكافي له يوم القيامة .

ومثل هذه الحكاية ما نقله الشريف ، صاحب "الأنيس المطرب" في ترجمة الفقيه الأديب ، ابي عبد الله سيدي محمد بن زاكور ونصه :

قال نقل عن ابن المبارك رضي الله عنه ، قال حججت إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا أطوف ، عييت فجلست أستريح ،ووضعت راسي على ركبتي فغلبني النوم، فرأيت النبي ρ وهو يقول : يا ابن المبارك إن أنت قضيت حجك ، ورجعت إلى أرض العراق ، فاقصد المحلة التي بها ابراهيم المجوسي، فإذا لقيته فقل له: إن النبي العربي محمدا ρ يقرئك السلام ،ويقول لك ابشر فإن قصرك في الجنة غدا من أقرب القصور إلى قصري .فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا ، وتفكرت ساعة فغلبني النوم ، فرايت النبي ρ ثانيا وهو يقول :يا ابن المبارك لا تشك في منامك فهو حق، وأن الشيطان لا

يتمثل بي، فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا، واستعذت بالله واستغفرته، وتفكرت ساعة فغلبني النوم ،فرأيت النبي ρ ثالثا وهو يقول : يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فامتثل أمري فهو حق . فقلت : يا رسول الله أريد في ذلك علامة ألقاه بها . فأخذ رسول الله ρ كفي بيمينه ثم قال : يا ابن المبارك هذا المجوسي شيخ، ممن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة ، وقد كف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ،ورق عظمه وبيس عصبه وجلده ، فإذا أتيته ودخلت عليه وبشرته بما قلت لك، وطلب منك علامة ، فامسح بيدك التي أخذتها بيميني على رأسه ،ومر بها على وجهه وسائر جسده ،فإنه يعود شابا ويرجع إليه سمعه وبصره، ويسود شعره ويطرى جلده، ويتقوى عصبه وتعود إليه قوته. قال فانتبهت في حيرة عظيمة، فلما إن قضيت حجي وانصرفت إلى العراق و دخلت بغداد، فسألت عن دار المجوسي

فدللت عليها ، فإذا قصر شاهق في الهوى، وعلى بابه عبيد وخدم وغلام أسود على كرسي فقلت : يا غلام استأذن لي على مولاك. قال : أغريب أنت ؟قلت : أجل. قال: ادخل ليس هنا من يمنعك.فدخلت إلى دار لم أرى مثلها ، وإذا بكتبة وعقود، وبالصرافين قعود يقبضون الرهون، ويعطون الدنانير والدراهم . فقلت : أفيكم بهرام؟ فقيل: ادخل الدار الثانية . فإذا هي ليس بينها وبين الأولى نسبة ،وإذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة ، وهو على الصفة التي وصفها رسول الله ρ ،وحوله جماعة من الكتّاب والحسّاب، وبين أيديهم الدنانير والدارهم ، فسلمت فرد علي السلام، وكان قد شد على حاجبيه،ورفعهما على عينيه بعصابة ثم قال : من الرجل ؟قلت : عبد الله ابن المبارك.قال : مرحبا بك ، لقد شممت منك رائحة زال الهم بها من قلبي ،ادن مني .فجلست إلى جنبه فقال : هل من حاجة؟قلت : نعم .قال : وما هي

؟قلت : أرى أن أخلو بك ساعة .قال : نعم .وأمر من هنالك بالخروج ، فخرجوا ولم يبق إلا ثلاثة شباب فقلت : اصرف هؤلاء يا بهرام .قال: يا مولاي هؤلاء أولادي مطلعون على أسراري وإيرادي .قلت: يا بهرام كم تعد من السنين؟

قال : مائة وأربعين سنة .قلت : فهل تعرف أنك عملت شيئا استوجبت من الله به الجنة ؟

قال : لا أدري ، إلا أني رزقت ثلاثة أولاد وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض، وأعطيت مهرهن من عندي، وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا . قلت : لا تستوجب بذلك الجنة بل النار ، فهل عملت شيئا صالحا ؟قال : قسمت ليلي على ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول أقعد فيه للمسامرة ،وتقرأ علي فيه سير الأولين، والجزء الثاني اعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار، الجزء الثالث أتفكر

فيه في أمر معاشي ومعادي وأمنع نفسي من النوم ، فإن النوم فيه جهل ومضرة على الإنسان .قلت : فهل فعلت غير هذا ؟ قال : لا .قلت : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، فبم تستوجب يا بهرام الجنة؟قال: يا ابن المبارك أتقطع بالجنة وأنت عالم المسلمين، من أخبرك بذلك ؟

قلت : أخبرني الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم .قال : فما القصة ؟ فحدثته بما رأيته في المنام ،وما قاله رسول الله ρ مرارا ، قال: فهل لذلك علامة ظاهرة ؟قلت : نعم ادن مني . فدنا ، فمسحت بيدي على رأسه ووجهه وصدره وسائر بدنه ، وأولاده ينظرون، فصار شابا حسنا سميعا بصيرا ،واسود شعره وابيضت بشرته . فلما عاين ذلك قال : امدد يدك يا شيخ ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله ρ . ثم قال : يا

شيخ أتعلم السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة؟ كنت منذ مدة أولمت وليمة عامة، للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس ، وكل جنس إلى جنسه، فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة، فلما كان في بعض الليل طرق الباب طارق، وقد هدأ الناس ونام الخدم لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة ،وأنا جالس منتبه فقلت : من بالباب ؟ فقال : يا بهرام أنا امرأة من جيرانك أوقد لي هذا السراج . والمجوس لا ترى إخراج النار من بيوتهم ليلا، فتحيرت في أمري فقمت ولم أنبه أحدا به فأسرجت لها السراج، فذهبت وأطفأته ثم عادت وقالت: يا بهرام قد انطفأ فأسرجه لي فلما أسرجته قالت: يا بهرام والله ما جئتك لأجل السراج،ولكن من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك ، فهن ملقيات على وجوههن ، يتضاغون كالمرأة الثكلى أو كالحبة في المقلى ، فإن كان قد بقي في دارك فضل طعام ،

فارحمهن به فإنك إن شاء الله تعالى ، تملك بذلك قصرا في الجنة.

فقلت: حبا وكرامة ، وأخذت منديلا كبيرا وجعلت فيه من خواص البيت الحلو والحامض ، وأخرجت كيسا فيه ألف دينار، وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب مروزية ، وشددت الجميع وقلت: احملي هذا إلى عيالك واقتسميه عليهم. فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت: يابهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه ،وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد. فقلت: ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير؟ وقد مضى علي مائة ونيف وثلاثون سنة. ثم طاب لذلك قلبي فقلت لها شيلي على رأسي، فشالته معي حتى استقل على رأسي ، فسال عرقي ثم سرت حتى بلغت منزلها، فانزلت الطعام والرزمة، ودفعت الطعام للبنات إلى أن شبعن ونشطن وسررن ، ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم، ففرحن وتبسمن ، فلما أردت

القيام قلن بأجمعهن: أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا و فرحك يوم القيامة كما فرحتنا ،وختم لك بخير، وأنزلك أقرب قصر من قصور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان ؛ وأنا أقول آمين، ومازلت أرجو استجابة دعائهن . فقلت : يا بهرام ، أبشر فإن الله قد حقق لك ذلك، ولهذا قال رسول الله ρ :لا تحقرن من المعروف شيئا ،ولو أنك تفرغ من دلوك في إناء أخيك ماء .

قال عبد الله بن المبارك ، فتصدق بهرام في ذلك اليوم بألف ألف درهم، وبمائة الف دينار وبألفي ثوب من الديباج ، وفرق سائر أمواله على المسلمين والمسلمات، وأسلم في ذلك اليوم كثير من المجوس ، ثم انفرد عن أهله ولزم باب العبادة ، فلم يلبث إلا قليلا حتى توفاه الله تعالى، رحمه الله. وأنشدوا :

لي حبيب إلى الوصال رق لما رأى النحول

دعاني أبصر القلب كساني فسقاني من

خاليا من سواه الذي قد سقاني يا

ونهاني عن الخلاف حبيبي وأين سر

فقلت لا ابالي إذا المعاني اي أمر من

رضيت إلهي الأمور دهاني

وانشدوا أيضا :

تقنطني ذنوبي بعد ويؤمنني من النار

حين ولكني سأدع رجائي لعلي لا يخيب

الله ربي وكيف يخيب لي دعائي وبين

عبد بين رب شفاعة للأنبياء

وفي هذا القدر كفاية لمن تذكر واعتبر ، وفتح الله له عين بصيرته فتبصر.

ثم اعلم أن العلماء رضي الله عنهم ، نصوا على أن من ظهرت منه المخالفات والمعاصي ، من أهل البيت النبوي ، إنما تبغض أفعاله ، كما قال السمهودي وابن حجر،وأما ذاته فلا تبغض سيما من كان من الذرية الشريفة، لما صح من قوله ρ : فاطمة بضعة مني. ومعلوم أن أولادها ، بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ρ .

ألا ترى إلى قول سيدنا عثمان في خطبته لأم كلثوم : إني أحب أن يكون عندي عضوان من أعضاء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .ولما بلغ ابن عمر رضي الله عنه أن الحسين بن علي رضي الله عنه توجه إلى العراق ، لحقه على مسيرة يومين أو ثلاثة فقال له :

إلى أين ؟ فقال له : هذه كتب أهل العراق وبيعتهم .فقال له : لا تفعل . فأبى ، فقال له ابن عمر : إن جبريل أتى النبي ρ ، فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ،وإنكم بضعة من رسول الله ρ ، فكذلك يريد منكم اختيار الآخرة على الدنيا .

– ثم إنه أي الشريف ،وإن أبغضت أفعاله وأقيمت عليه الحدود ،إذا ارتكب موجبها لا تنتهك حرمته ،ولا يترك الإحسان إليه رعاية لحرمة البضعة.

ففي توثيق عرى الإيمان عن علي بن عيسى الوزير رحمه الله تعالى قال: كنت احسن إلى العلوية ، وأجري على كل منهم في السنة بمدينة السلام، مايكفيه لطعامه وكسوته وكافة عياله، وأفعل ذلك عند استقبال شهر رمضان إلى انسلاخه ، وكان في جملتهم شيخ من

أولاد موسى بن جعفر،وكنت أجري عليه في كل سنة خمسة آلاف درهم.

قال فاتفق إني عبرت يوما في الشتاء ، فرأيته سكرانا طافحا قد عمى وتلطخ بالطين، وهو على أقبح حال في وسط الشارع ، فقلت في نفسي: أعطي مثل هذا الفاسق، في كل سنة خمسة آلاف درهم ينفقها في معصية الله، لأمنعنه الجاري في هذه السنة.

قال: فلما دخل شهر رمضان ، حضرني الشيخ المذكور ووقف بباب الدار، فلما انتهيت إليه سلم علي وطلبني بالرسم ، فقلت لا ولا كرامة لك ولا أدفع إليك مالي ، حتى تنفقه في معصية الله تعالى .

وذكرت له ما رأيت منه، فلما نمت تلك الليلة ، رأيت النبي ρ في المنام وقد اجتمع الناس إليه . قال فتقدمت إليه فأعرض عني ، فشق ذلك علي وساءني فقلت : يا رسول الله هذا مع كثرة إحساني

لأولادك وبري لهم، وكثرة صلاتي عليك تكافيني بأن تعرض عني .قال : بل لما رددت ولدي فلانا عن بابك ،وطردته وقطعت جائزته كل سنة ؟ فقلت : للذي رأيته على فاحشة (ووصفت الحال) وقلت: إنما امتنعت عن دفع جائزته لئلا أعينه على معصية الله تعالى .فقال ρ : أكنت تعطيه ذلك لأجله أو لأجلي؟ فقلت : بل لأجلك . فقال : هلا كنت سترت عليه ماعثرت عليه منه لأجلي، ولكونه من أحفادي؟ فقلت : حبا وكرامة وعزازة. فانتبهت من المنام ، فلما أصبحنا أرسلت في طلب ذلك الشيخ ، فلما انصرفت من الديوان، ودخلت الدار أمرت بإدخاله ، وتقدمت إلى الغلام بأن يحمل إليه عشرة آلاف درهم في كيس، وأكرمته وقربته وقلت : إن أعوزك شئ آخر فعرفني. وصرفته مسرورا ، فلما وصل باب الدار عاد إلي وقال : أيها الوزير ما سبب إبعادك إلي بالأمس ، وتقربك إلي اليوم واضعافك عطيتي ؟

فقلت : ما كان إلا خيرا فانصرف راشدا . فقال : والله لا أنصرف حتى أقف على القصة .

قال فأخبرته بما رأيته ، فدمعت عيناه وقال : نذرت لله نذرا واجبا ، إني لا أعود إلى مثل ما رأيتني عليه ،ولا أرتكب معصية أبدا ولا أحوج جدي إلى من يحاجك من جهتي . ثم تاب وحسنت توبته .

ذكر

مناقب الولي الصالح

سيـدي الحـاج الخيـاط الرقعـي

صاحب مولانا عبدالله الشريف وعريف أصحابه

الفقراء بمحروسة فاس الإدريسية الغراء

رضي الله عنه ونفعنا به آمين

فهو الشيخ العارف بالله الدال على مولاه ، أبو محمد سيدي الحاج الخياط الرقعي أصلا، الفاسي دارا ومنشئا ، نال من شيخه مولانا عبد الله النصيب الأوفى ، وسقاه حتى رواه من الزلال الأصفى ، أخذ عنه في صغره وبلغ معه منتهى وطره.

سمعت مولاي قاسم رحمه الله يقول : خرج هذا الشيخ رضي الله عنه، في ايام طفوليته لبني مستارة بعد موت أمه ، فاحتضنته خالة له كانت هنالك ، وجعلت تنظر في حاله ووجهته لقراءة القرآن

في المكتب مع الصبيان،ولم يزل عندها حتى احتلم وحفظ القرآن وتعلم ، فتوجه إلى أهل تلك القرية في بعض الأيام ، لزيارة الشريف مولانا عبد الله، وكان بقبيلة مصمودة.وسار معهم حتى زاروا ورجعوا لمنازلهم، فجعلوا يتحدثون بما حصل لهم من الشيخ رضي الله عنه ، على قدر نياتهم ومقصدهم،وسيدي الحاج الخياط ساكت لا يتكلم ، وهو فيما يذكرونه من كرامات مولانا عبد الله الشريف يتفهم.

فقالوا له :ما رأيت أنت ؟ فقال : لم أر شيئا وإنما زرته لله وحسابي في ذلك على الله. فلما اقبل الليل وجن الظلام وهجع الناس بالمنام ، ايقظ الله تعالى غفلته ، فبات يتهجد ويصلي ليلة حتى ختم القرآن ،عند طلوع الفجر أو حان ، فكانت تلك الزيارة المباركة سببا في الفتح عليه،وفي وصول الخيرات إليه.

وأنشدوا :

فاز امرؤ وخاشع لله أواب

له الظلام إذا ما جن

جلباب سمت إلى

الرتبة العلياء همته

إذا دجا ليله آواه محراب

يرتل الذكر والأشواق

تقلقه والدمع منه على

خديه مسكاب قد صير

البر والتقوى بضاعته

فماله في سوى هذين

ترآب

- وقال الإمام الرصاع في "تذكرة المحبين" ما نصه :كان الشيخ الدكالي رحمه الله،كتب إلى بعض الطلبة كتابا يقول فيه :

اعلم يا أخي أنك محتاج إلى أمور أعلاها سلامة الدين والعرض ، فالله الله فيهما ، واعلم يا أخي أنك إذا اعاملت الله سبحانه بما أنت تحاوله ، تظهر عليك بركته في دينك ودنياك ،وتعلم ذلك بانشراح صدرك وبالحرص عليه ،وقد رأيت من طلب العلم لمتاع الدنيا ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، حتى هلكوا بالحسد والعداوة، وتعرضوا بذلك لسخط الله وأليم عذابه ، فالله الله فإن العاقل من اتعظ بغيره .

ثم قال رضي الله عنه :

مفتاح رزقك تقوى الله

فاتقه وليس مفتاحه

حرص ولا طلب والعلم

أجمل ثوب أنت لا بسه

فاجعـل له علمين الدين

والأدب

- رضي الله عنهم ما أحسن كلامهم وألذ خطابهم ، وما أبعد القلب القاسي مثلي أن يستحلي أفهامهم .

إلهي لا تعــذبني فإني مقر بالذي قد كان مني

ومـالي حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت

يظن الناس بي خيرا وحسن ظني لشر

وإني الناس إن لم تعف عني

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت العلي الأعظم ، أتوسل إليك بمحبة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ،وشرف وكرم ومجد وعظم.انتهى نصه

– ومن "نزهة المجالس" للإمام الصفوري ما نصه :في الحديث عن النبي ρ :من أراد الجلوس مع الله تعالى فليجلس مع أهل التقوى.

وقال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : هؤلاء الصوفية جلسوا في المسجد بلا علم .فقال : العلم أجلسهم في المسجد .فقال : إن أحدهم يرضى بكسرة.فقال: ما أحسن من

يرضى من الدنيا بكسرة. فقال : إنهم يرقصون ويتواجدون. فقال: من فرحهم بالله تعالى.

-ثم قال رحمه الله تعالى بعد هذا في باب التقوى :

فائدة : قال وهب : الإيمان عريان ولباسه التقوى ،وريشه الحياء ورأس ماله العفة.

وقال غيره: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله .وأنشدوا :

بتقوى الإله نجا وفاز وصار إلى ما

من نجا ومن يتق رجا كما قال من

الله يجعل له أمره مخرجا وإن

ويرزقه من غير ضاق أمر به فرجا

حسبانه

- حكي عن القطب سيدي أبي العباس الحضرمي ، رضي الله عنه أنه قال: رأى بعض الصالحين النبي ρ في المنام فقال : يا رسول الله ما أدركناك حيا، لنسألك عن أفضل الأعمال ؟ فقال له النبي ρ : أفضل الأعمال وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة. فقال : يا رسول الله حيا أو ميتا ؟قال عليه السلام : حيا أو ميتا .

فوائـــد

الأولى : قال في "نزهة المجالس" :

وضع الله تعالى خمسة في خمسة : العز في القناعة ،والذل في المعصية،والهيبة في قيام الليل، والحكمة في بطن جائع ،والغنى في ترك الطمع.

– الثانية :قال سيدي ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه :

طلبت خمسة فوجدتها في خمس ، طلبت رزقا واسعا فوجدته في صلاة الصبح في الجماعة، وطلبت رضى الله تعالى فوجدته في إطعام المساكين،وطلبت ثمن الدنيا والآخرة فوجدته في صلاة الليل ولو أربع ركعات،وطلبت نور القلب فوجدته في صيام الصيف، وطلبت النجاة فوجدتها في الصمت .

–الثالثة : قال سيدي ابراهيم الخواص رضي الله عنه :

دواء القلب في خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن ، وقيام الليل والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين ،وقراءة في المصحف أفضل من قراءة من حفظه.

-الرابعة : قال في "نزهة المجالس" ما نصه :

رأيت في تفسير القرطبي عن النبي ρ :اعطوا العينين حظهما من العبادة قيل وما حظهما من العبادة؟ قال: النظر في المصحف.

وفي غيره أن النبي ρ ، شكى وجعا في عينيه لجبريل، فأمره بالنظر في المصحف.

ورأيت في "التذكار في فضائل الأذكار" للقرطبي عن النبي ρ

:من قرأ كل يوم مائتي آية نظرا، يشفع في سبع قبور حول

قبره.

و عن شداد بن أوس ، ليس شئ من الطاعات، أشد على

الشيطان من القراءة في المصحف. وعن النبي ρ :فضل من قرأ

القرآن نظرا ، على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على

النافلة .

وسياتي قريبا أن الفضيلة متعلقة بالتدبر والتفكر ، حيث قرأ

من المصحف أو من غيره.

ثم قال رحمه الله في باب التوبة وفي الروضة: ستر المعصية أفضل من الشهادة بها عند الحاكم ،وأما مظالم العباد فيجب إظهارها، ثم التمكين من استيفائها ،وأما غيرها من المعاصي كالنظر إلى غير محرم ،والقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء، وشرب الخمر وسماع الملاهي ، فيستحب أن يكفر كل معصية بحسنة تناسبها .

فيكفر معصية النظر إلى غير محرم بالنظر في المصحف ،وسماع الملاهي بسماع القرآن، والقعود في المسجد جنبا بالإعتكاف ،وشرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال، ويكفر أذى المسلمين بالإحسان إليهم ،ويكفر القتل بإعتاق الرقاب . قاله في "الاحياء" انتهى نصه.

ومن كتاب "الزهد " لأبي داوود ما نصه:عن علي رضي الله عنه : ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ،ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ألا لاخير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم ،ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر.

- ولنرجع إلى ما كنا فيه من الكلام ،على صاحب الترجمة رحمه الله ، ولم يزل رحمه الله ملازما لقيام الليل ،ويختم القرآن في كل ليلة بالتهجد ، إلى أن مضى له نحو الثمانية عشر شهرا، وهو في خلال هذه المدة يتردد إلى الشيخ مولانا عبد الله، ويكثر مواصلته وزيارته ،وجوارحه لا تزيد في فعل الطاعات، إلا نشاطا وقلبه في الشيخ اغتباطا .

فلما مضت له المدة المذكورة وهو على الحال المذكور ،رأى أمرا عظيما عند فراغه من التهجد، وهو أنه رأى الموضع الذي يتهجد فيه ، ارتفع به حتى وجد برد الأفق في رأسه ، ففزع ودهش وضرب بيده الأرض ، فانشق الجبل الذي عليه تلك القرية نصفين، وسقط هو فوجد نفسه في موضع تهجده، فلما أصبح الصباح وظهر الضوء ، جعل كل من يراه يقول له: ما بال وجهك أصفر أمريض أنت ؟

وهو لا يخبر أحدا بما وقع له ، إلى أن قال مؤدبه الذي كان يقرأ عليه، وكان من تلامذة الشيخ مولانا عبد الله: أخبرني بحالك ؟ فاخبره . فقال له : ارتحل الساعة إلى الشيخ،ولا تجلس بهذا البلد فلعل أمرا يقع بها . فأتى لمولانا عبد الله الشريف وجعل يخدمه، فلم

تمض إلا أيام يسيرة،وافترقت كلمة تلك القبيلة ،ووقع بينهم قتال عظيم .

ومن تم صارت الواردات تكثر عليه ، والأشياء تتكشف له نوما ويقظة، ويسمع الهواتف، ويرى خوارق العادات وأنواع المكاشفات .

إلى أن كان جالسا يوما بين يدي الشيخ مولانا عبد الله، والشيخ رضي الله عنه مع بعض أصحابه، وأراد ان يرفع همته عن تلك المرئيات ،ويرقيه عن الركون للمألوفات ، فقال لهم رضي الله عنه : إن واحدا من أصحابنا يبصر خريفات بالتصغير ومنامات ، فظن أنه ظفر بالإكسير ، ألا ترون إلى من عمد لمطمورتين ، فملأ إحداهما بالتمر والأخرى بأنواع الرياحين ، وغطاهما إلى وقت الإحتياج إليهما ، فإذا فتحهما كيف يجدهما عند وقت الحاجة لهما ؟فقالوا

له : يجد المملوءة بالتمر كما هي ،والأخرى اضمحلت وتلاشت وصار ما كان بها غبارا .

فقال الشيخ رضي الله عنه : مثل مطمورة التمر مثل المومن ، يذكر الله ويصلي على سيدنا ومولانا محمد، رسول الله ρ ، يجد ذلك موفرا ومذخرا عند الإحتياج إليه، ومثل مطمورة الرياحين مثل من ألهى بتلك الخرافات ، يظن أن عنده شيئا، ولا يجد ذلك عند الإحتياج إليه إلا سرابا .

قال سيدي الحاج الخياط المذكور ، فلمحني الشيخ بطرفه وقال : يا خياط عليك بذكر الله تعالى ،والصلاة على سيدنا محمد رسول الله ρ .

قال رضي الله عنه: فأبصرت بتلك اللمحة التي لمحني بها الشيخ ، مولانا عبد الله رضي الله عنه ، العرش والفرش ورأيت مكتوبا على العرش ، الخياط مقبول مقبول من عرفه.

وأضرم بها في قلبي نار الشوق والمحبة ، فجعلت لا يطيب لي منام ،ولا يستقيم لي كلام، سوى الصلاة على خير الأنام ρ .

ولم يزل مع الشيخ مولانا عبد الله ، إلى أن بعثه لفاس ،وجعله هو وولده سيدي محمد عريفا على الفقراء بها .

– سمعت مولاي قاسم رحمه الله يقول ، كان هذا الشيخ يخلوا بنفسه، بمسجد قرب داره للصلاة على النبي ρ قال :وسمعت منه قال :كنت أسد علي ذلك المسجد ،وأشتغل بالصلاة على النبي ρ، فتغلب علي أنوارها فأرمي بكسائي ، ثم أرمي بما تحتها من ثيابي ،

لاشتعال نار محبته ρ بقلبي ، حتى لا يبقى علي إلا القميص ، فتسري أنوارها بلحمي ودمي وعروقي وعصبي، فكنت إذا سكت لساني ، اسمع كل شعرة في بدني ، تصلي على النبي ρ بلسان فصيح. فسبحان من أحبه وقواه ولحضرته الشريفة رقاه ،وتفضل عليه بمحبة سيد المرسلين وذريته الأكرمين ، فعربد بسكرها بين المحبين .

فائــدة :

ذكر الإمام أبو عبد الله، محمد بن أبي الفضل قاسم الرصاع ، في كتابه "تذكرة المحبين" في أسماء سيد المرسلين ما نصه :

وأستحضر ما رواه جعفر الصادق، عن أبيه عن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين، انه دخل ذات يوم الخلاء، فوجد فيه كسرة من خبز ، فأخذها وغسلها وناولها لعبده وقال له : ذكرني إذا

خرجت وفرغت . فلما فرغ من شغله قال لعبده : أين الكسرة؟ فقال العبد لسيده : انا أكلتها .فقال له سيده : أنت حر لوجه الله تعالى.فقال العبد له : يا مولاي لأي شئ أعتقتني ؟فقال السيد : حدثتني أمي فاطمة عن أبيها، جدي محمد ρ أنه قال: من دخل خلاء أو مرحاضا فوجد فيه كسرة أو لقمة، فغسلها وأحسن غسلها وطيبها ثم اكلها، غفر الله له ذنوبه كلها ، فأنت أيها العبد مغفور لك ، فكرهت أن أملك رجلا مغفورا له من أهل الجنة فأعتقك لذلك.

- فاقتد أيها الطالب للمحبة بهذه الآثار ، واقطف من هذه السلالة المباركة مشموما من الأزهار ، فإذا كان الكرم والغفران، لمن أحيا ما تقوم به الأجساد والأبدان ، فكيف بمن أحيا وحمى إسم من

قامت برحمته الأرواح والأكوان ، وقد قال ρ :من أحيا سنة من سنتي قد أميتت فكأنما أحياني ، ومن أحياني كان معي في الجنة. وإذا كان هذا الثواب في إحياء السنة إكراما لها، فكيف بمن أكرم أسماؤه وحفظها وعظمها .انتهى نصه

-ويؤيد ما تقدم من إكثار صاحب الترجمة ، للصلاة على النبي ρ ، حتى سرت بلحمه ودمه وعروقه وعصبه ، ما أخبرني به أخونا في الله، الفقيه العدل الأرضى السيد عبد القادر بن المرابط ، السيد علي المغربي قال :كان لهذا الولي سيدي الحاج الخياط رحمه الله، وصيفة اتخذها لفراشه ، فلم تقبل زوجته معاشرتها، فاسكنها عند أبي معنا في الدار ، وكان يتعاهدها في بعض الليالي ، فبات عندنا ليلة.

وكانت الوصيفة مرت مع أهل دارنا، لعرس عند بعض أقاربنا بأمره ، فلما صلينا العشاء أتيته بالعشاء ، فتعشيت معه وجلسنا ساعة نتحدث ،ورقدنا بعد أن نحينا المائدة، في ركنة المسكن وأطفات القنديل. فاستيقظت فوجدته رضي الله عنه،مستلقيا على ظهره نائما وفمه مفتوح، ونور خارج من فمه،حتى أبصرت به ما في البيت من الحوائج كأنه ضوء النهار ، فجعلت أتعجب وأوحد الله سبحانه ، فإذا به رضي الله عنه استيقظ وسد فاه، فعاد الظلام في البيت كما كان، حين انطفأ القنديل، فأحس بي مستيقظا فقال رحمه الله : عبد القادر. قلت : نعم .قال : هل رأيت شيئا ؟قلت : نعم رأيت كذا وكذا . فقال: اكتم عني ولا تخبر أحدا حتى أموت. قال فما أخبرت أحدا بذلك حتى مات رحمه الله.

وكان رحمه الله ببركة ساداتنا أشياخه ، حسن التربية نائبا عنهم بهذه الحضرة المباركة، وخليفة على الفقراء بها .

وأخبرني أخونا المسن الحاج محمد بناني ، الساكن بفرن الكويشة ، من طالعة فاس القرويين قال : كنت فارا بنفسي من الروسي بوزان، في حياة سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف قدس الله روحهما ، وكان السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه ،أمر أن لا تروج إلا الموزونة العادلة، فكنت أصنع هناك العادلة وأبيعها بأربع موزونات لكل واحدة، فحسدني من كان مجاورا لي في الحانوت فقال لي :الآن كنت مع سيدي محمد وتكلم على العادلة، فدعا على من يصنعها بالعمى. فسُقط في، ونزلت من الحانوت مسرعا ،وقصدت الشيخ سيدي محمد فوجدته في الدار ، فلم أزل

أراقبه حتى خرج ، فجعلت أبكي بين يديه،وأعتذر بضعفي وغربتي فقال لي : مالك ؟ فقلت: يا سيدي ، فلان أخبرني أنك دعوت بالعمى على صانع العدلة ،وأنا ليس لي صنعة غيرها .فقال رضي الله عنه : كذب ، لم أدع على أحد ولا تكلمت على عدلة،ولكن يا ولدي اذهب إلى فاس لأخينا الحاج الخياط ، تجد الماء صافيا وعلى وجه من غير زحام، فإن رأس العين في الغالب لا يكون إلا وعليه شوك ووعر ، ولا يشرب منه إلا من يدخل إليه على بطنه ، من شدة الإختفاء لكثرة من يؤذيه.

قال فجئت إلى فاس ،وصحبت سيدي الحاج الخياط ، فجعل الله لي في ذلك خيرا، وكف عني أذى الروسي.

-واخبرني مولاي قاسم رحمه الله قال :جاء رجل عليه اثر النسك والزهد، فدخل الزاوية واعتزل في ركنة منها ، فجعل الفقراء ينحاشون إليه ، ويواصلونه بالطعام لغربته، وما ظهر لهم من زهده وديانته ،وسيدي الحاج الخياط معرض عنه ، فدخل يوما للزاوية فوجد الفقراء محدقين به، وهو يكاشفهم بأمورهم، وهم يجمعون له دراهم ليشتروا له حائكا ، فجاء إليه وأخذ بيده حتى أخرجه على باب الزاوية وقال له: سر وانظر أين تحشش. ودخل إلى الفقراء وقال لهم : هاتوا تلك الدراهم.فدفعوها له ، فجعلها في جيبه وقال لبعضهم أغلق باب الزاوية ، وجعل يكاشف كل واحد منهم بما هو منوط عليه من القبائح ، وما صنع من الفضائح ، فجعلوا يتضرعون بين يديه ويطلبونه في الستر ، وتابوا عما فعلوا وصاروا لا ينظرون لغيره.

- وأخبرني ايضا مولاي قاسم قال : بينما نحن بالزاوية مع سيدي الحاج الخياط، بعد الفراغ من قراءة الأحزاب في الصباح، إذا برجلين دخلا علينا ، عليهما أثر الخير والصلاح ، فقام إليهما سيدي الحاج الخياط وسلم ورحب بهما، وأجلسهما إلى جنبه بباب المحراب ،وسألهما ونحن نسمع من أين أقبلا ، فقالا له خرجنا من بلادنا في هذا اليوم بعد صلاة الصبح.(وبين بلادهما وبيننا مسيرة شهر،حسبما أخبرنا بذلك إخواننا الفقراء أهل توات).وقالا له : لكن نشكوا لك بصاحبك الحاج سعود ،وفدنا عليه عند طلوع شمس هذا اليوم.(وكان بين بلادهم وبلاده مسيرة شهر أيضا ،حسبما أخبرنا بذلك أهل توات).

قال مولاي قاسم: فجعلنا نتعجب من ذلك. فقال لهما سيدي الحاج الخياط: وما صنع لكما ؟ قالا : لما أتيناه سلمنا عليه ، فسألنا من أنتما ومن أين جئتما فأخبرناه ، فلما أردنا الإنصراف عنه طلبنا منه الدعاء ، فغضب وقال أتهزءا بي وتركنا وانصرف.

فقال لهما سيدي الحاج الخياط : يعمل ذلك الكزبور. واخذ بخواطرهما وقرب لهما شيئا من الطعام ، فأكلا وقال لهما : إلى أين ؟ فقالا : لزيارة مولانا عبد السلام .

فقام وشيعهما إلى باب الزاوية ،وأمر أخانا السيد عبد الله ابا حسينة بالإنصراف معهما، إلى سيدي محمد بن الحسن دفين باب الجيسة ، وزورهما وودعهما من تم. ففعل ما أمر به.

قال مولاي قاسم: ولما رجع السيد عبدالله المذكور ، سألناه عنهما فقال : لما ودعتهما رفع أحدهما رجله ، فوضعها على جبل

سيدي احمد البرنوصي ،ورفع الأخرى فلا أدري اين وضعها، وتبعه الآخر وصنع مثل ما صنع صاحبه ، نفعنا الله بهم أجمعين.

- ومن كرامات هذا الشيخ أيضا ، ما سمعت مولاي قاسما يحدث عنه قال : جاء رجل من إخواننا الفقراء فقال له : يا سيدي إني رأيتك في المنام البارحة وأنت تطبخ خبز الناس ،وأتيتك بخبزي فطبخته لي.

فقال له رضي الله عنه : حق ما رأيت وخبزك عندي أطبخه لك ، لكن أخبرني ما يقبض الفران في أجرته ؟ فقال له : يقبض الكراء والمعاونة والوفاء .فأجابه رضي الله عنه بقوله: سامحتك في الكراء والمعاونة ،ولا تعطيني إلا الوفاء.وأنشدوا :

إن أنت أصرفت العنان

إليهم جادوا عليك

تكرما وتعطفا حاشاهم

أن يظلموك وإنما

جعلوا الوفا منهم لأرباب

الوفا

-ومن كراماته رضي الله عنه ،ما أخبرني به مولاي قاسم أيضا ، قال طالب من أهل زرهون، من مدشر سيدي الأمين نفعنا الله به ، اسمه السيد العربي ، وكان يقرأ بمدرسة سيدي مصباح من فاس القرويين ،وفي كل يوم جمعة يخرج مع الطلبة لباب الجيسة يلعبون الكورة، وحين يرجعون يمرون بالزاوية التي بها سيدي الحاج الخياط

، بقصد الهزء والنظر إلى من هو شاب حسن من الفقراء ، فجاء الزرهوني المذكور في يوم جمعة ، وحادى بعض الشباب من الفقراء وتكلم بكلام قبيح ، فلما رجع إلى بيته بالمدرسة المذكورة ، وجد نفسه كأنه مجبوب ، فعرف من أين أخذ . فجعل يعالج نفسه عند الأطباء فأعياهم دواؤه . فجاء إلى سيدي الحاج الخياط وأخذ عنه، ودخل في حزب ساداتنا رضي الله عنهم ، لكنه لم يعلم أحدا بما وقع له .

قال مولاي قاسم :وكان يركن إلي ويرافقني كثيرا ، فجاء والده من زرهون وكان فقيها، وإمام مسجد المدشر المذكور، فلما وجده دخل في حزب ساداتنا فرح بذلك، وجعل يوصي عليه سيدي الحاج الخياط؛ ثم جاء مرة أخرى لزيارة الشيخ، سيدي الحاج الخياط فقال: إني زوجت ولدي العربي، وأنا أحتال لعرسه .

قال مولاي قاسم: فلما سمع الولد ذلك ، جاء إلي وكشف لي عن حاله وعن سبب مصابه ، فقلت له الذي جرح يداوي . فسرت معه إلى سيدي الحاج الخياط، فوجدناه بصحن الزاوية يغسل يديه في معدة،كانت في ركنة الصحن ، فلما رآنا قال: مرحبا بالسادات.وقال على البديهة قبل أن ننطق له بشئ: جعل الله في هذه الأمة المباركة، ببركة نبينا محمد ρ، أولياء كل واحد منهم قدمه على قدم نبي من الأنبياء، حتى جعل منهم من قدمه على قدم سيدنا عيسى عليه السلام، يحيي الموتى بإذن الله.

فتأخرت عنه قليلا ،وجذبت العربي المذكور سرا ،وأشرت إليه بيدي أن يسكت لعلمي أنه داواه بإشارته بهذا الكلام ، فلم يلتفت لإشارتي ولم تطب نفسه، فلما خرجنا من الزاوية ، ووصل السيد لباب داره ، أكب عليه وقال له: يا سيدي عاملني لله.وقص عليه قصته

،فقال له : يا بني من تاب ، تاب الله عليه ، انظر هؤلاء الأطباء الذين يعالجون الناس يعالجونك، والله الشافي. فقال له : كلهم طفت عليهم ولم يقدر لي أحد على شئ.

فقال له : وما أصنع لك الآن ؟ وأغلق الباب في وجوهنا بعنف ودخل لداره ، فغضب الرجل المذكور،وحلف أن لا يجلس ببلد يضحك منه الرجال والنساء ويعيرونه بأنه مجبوب، فوعظته وذكّرته فأبى، وانصرف عني لا أعلم أين توجه ولا أين ذهب.

فجاء والده بعد ذلك بأيام فطلبه فلم يجده ، فجاءني وسالني عنه ، فأخبرته بما وقع له مع الشيخ، فطلب مني الوصول معه إلى سيدي الحاج الخياط ، فأجبته إلى ذلك .

فلما جلس بين يديه ، جعل يبكي ويتضرع ويقول : قد زوجته ودفعت النقد، وأعلمت أهل الزوجة بيوم العرس. فقال السيد : لا

بأس نبعث قاسما يأتي به (وهو يتبسم). فقلت له : أبعث إليه عفريتا ياتك به ،وأما أنا فأين أطلبه ؟فقال رحمه الله لوالده: اذهب لدارك، وابق على الوعد الذي جعلت مع اهل الزوجة، وولدك يأتيك إن شاء الله في هذه الأيام .

فانصرف مطمئن البال ، فلم تمض إلا أيام يسيرة ، وإذا بالولد العربي قائم على رأسي ، فسلم علي فقلت له :إلى اين ذهبت وما سبب رجوعك ؟ فقال : وقع لي ما وقع لبني إسرائيل من التيه ، بلغت إلى تافلالت وأقمت أياما بقصر هنالك، وخرجت منه أنفي رأسي إلى الصحراء وأهيم فيها ، فسرت منه إلى وقت الإصفرار، فوجدت نفسي بباب القصر الذي خرجت منه، فقلت هذا أمرحدث بين والدي وبين الشيخ سيدي الحاج الخياط، فرجعت خائفا على نفسي .

فتلاقى معي الشيخ فسلم عليه ، وذكر له سبب رجوعه فقال له : إن والدك أتانا، وطلب منا رجوعك وقد زوجك ،والآن اذهب إلى والدك ولا تخشى من شئ .

قال مولاي قاسم : فبات تلك الليلة عندي بأمر السيد ، ومن الغد ودعته لوالده ، فلما وصل وزفت إليه زوجته ، شفاه الله ولم يبق به بأس،وجاء وأخبرني بأنه في الليلة الأولى لم يجد قدرة على زوجته، فانعزل عنها ونام ،ومن الليلة الثانية نام فاستيقظ في نصف الليل ، فوجد نفسه صحيحا لا بأس به وعوفي ،ورزقه مع تلك الزوجة أولادا .

– ومن صدقه ما سمعت مولاي قاسما يحكي عنه قال :كان شيخي مولاي عبد الله، يواعدني ويقول يكون من ولدي كذا وكذا ، إلى أن قال وتكون لك زاوية بفاس وأصحاب وأتباع.

فذهبت إلى المشرق في حال بدايتي بقصد الحج ، فتهت في الطريق ولم أدر ما أصنع، فجئت إلى جانب كدية من الرمل ، وحفرت قبرا في الرمل واضطجعت فيه ، وقلت إذا أنا متّ يغطيني الرمل. وأنا ذاهل عما وعدني به الشيخ مولاي عبد الله الشريف، فوقف الشيطان على رأسي وقال لي : أين ما وعدك به شيخك وأين تذهب الآن ؟

قال رحمه الله : فقلت اذهب لعنك لعنك الله ، والله لا يكون إلا ما قال شيخي، ولا أموت إلا إذا بلغت ما وعدني به . وقمت من مكاني مسرعا ، فوجدت أعرابيا راكبا على فرسه على رأس الكدية ،

فسألني عن حالي ، فقلت تائه عن الركب ، وإن أخذت بيدي وبلغتني إلى الركب أعطك. وأعطيته كساء كانت علي فأردفني وراءه، وسار بي حتى وصلت للركب ، وجاء الناس يسلمون علي ويهنوني ،فلما رأى ذلك الأعرابي سألهم، فقيل له رجل صالح من أصحاب مولانا عبد الله الشريف ، فرد إلي كسائي ،وحلف أن لا يقبض مني شيئا ، وطلب مني الدعاء وانصرف.

- ومن كراماته ما أخبرني به مولاي قاسم رحمه الله قال :خرج إلينا يوما سيدي الحاج الخياط ، وقال لنا البارحة رأيت سيدي، ومولاي عبد الله وقال لي: ابن علي .

قال: وبعث من يقيس قدر القبة وطولها وعرضها ، وما تستحقه من خشب وآجر وغير ذلك، وسرنا معه نحو ثمانية من

الفقراء، فلما وصلنا لوزان وأخبرنا سيدي محمدا ولده نفعنا الله به بذلك ، وجعلنا ننظر حول القبة يمينا وشمالا ، وقدر ما يكون وسع القبة وارتفاعها ، جاء رجل مجذوب من أصحاب مولانا عبد الله وقال: ما تصنعون ؟ فاخبرناه.

فقال: عليه الحرام ما يبنيها الحاج الخياط ،وإنما يبنيها السوسي نظرت ذلك بعيني في اللوح المحفوظ.

فألمنا ذلك ، ولما رجعنا أخبرنا سيدي الحاج الخياط بذلك ، فقال رحمه الله: إذا رجعتم ورأيتموه فقولوا له: إنما رأى حرف السين الأخير، الفاسي هو الذي يبني على شيخه مولاي عبد الله.

فرجعنا بعد ذلك بأحمال خشب أو عمل آخر ، فجاءنا وقال: ألم أقل لكم السوسي هو الذي يبني ؟

فقلنا: العمش في عينيك ، قال سيدي الحاج الخياط إنما رأيت حرف السين .

فجعل رحمه الله يمسح عينيه، ويرفع طرفه نحو السماء ثم قال: صدق الحاج الخياط، نظره أصح من نظري إنما رأيت حرف السين.

-وكان رحمه الله في الدنيا زاهدا ، وعن أهلها معرضا ، وكان من الذين إذا رُؤوا ذكر الله، وكان رحمه الله صادق الحال ، سالكا في الظاهر مجذوبا في الباطن ، يحضر السماع ويرقص عنده.

– قال مولاي قاسم وكان إذ خرجنا للزيارة ، فحيثما بتنا يجلس رجل من أصحابه، يقال له الحاج ابراهيم السريفي ، يذكر ونحن نرقص .

فرحنا لمولاي عبد الكريم ذي القلة ،فجلس الحاج ابراهيم يضرب في الطاسة ويذكر، وذهب سيدي الحاج الخياط لقضاء حاجته ،وقام الفقراء يرقصون على عادتهم ، وكان معنا من أصحاب ساداتنا فقيه ، يؤدب الصبيان ويعلمهم القرآن ، فعاب ذلك على الفقراء وقال لهم :إن هذا الرقص حرام وهذه بدعة . فسكت الحاج ابراهيم وجلس الفقراء، فجاء سيدي الحاج الخياط وقال: مالكم ؟ فأخبروه بقول ذلك المؤدب . فقال: قوموا لشغلكم فليس هذا شغله . فقاموا لشغلهم ،فأخذت الفقيه المنكر الحمى الباردة، فجعل الفقراء يضحكون منه، فلما وصلنا وزان وتلاقينا مع الشيخ مولاي محمد ،

شكى ذلك الفقيه للشيخ ، فجعل رضي الله عنه يتكلم بكلام لين كأنه يصلح بينهم، ويعتذر عن الفقيه وعنهم ، فأخذ سيدي الحاج الخياط حال وقال:يا سيدي أنا أحب الحضرة. فالتفت إليه الشيخ وقال له : ليس الكلام على أمثالك ، إنما الكلام على من يدعي الحال بزعمه، ويتشبه بالرجال بظنه ووهمه وهو عار عنه، فذلك الذي يكون عليه سبعون ذي زغبي بلغتهم يا أهل فاس، وأما أنت فشيخ شيخك مولاي عبد الله هو سيدي الحسن بن ريسون ، كان يصنعها بالطبل ،وسيدي علي بن أحمد شيخ مولانا عبد الله كان يصنعها أيضا . ففرح سيدي الحاج الخياط بذلك .

-وأخبرنا مولاي قاسم أيضا قال :خرجنا مع سيدي الحاج الخياط للزيارة ، وكنا بمنزل بالطريق ، ذكر سيدي أبو يعزى نفعنا

الله به، بين يدي سيدي الحاج الخياط وقالوا: إنه يعطي الدنيا لمن طلبها . فقال سيدي الحاج الخياط : فها الحاج مبارك لابن سودة في مقام سيدي أبي يعزى ، فمن أراد الدنيا فليطلبها منه. وكان هذا الحاج مبارك مولى لأولاد ابن سودة.قال مولاي قاسم: فقمنا إليه مسرعين، وجعل كل واحد من الفقراء يجربه من جهة وبياسطونه ويقولون : أنت في هذا المقام ونحن في هذا الضيق ، والآن الشيخ أغرانا عليك. فأخذه حال وقال: يا سادتي اجلسوا .قال: فجلسنا في ساحة بباب الخباء ،وكانت ليلة مقمرة، فجعل يومئ إلي كأن بيده دلوا كبيرا، ويريد أن يفرغه علينا ، ثم يرجع القهقرا، ثم يقوم ويومئ فيصنع كما صنع أولا ، وبقي كذلك ساعة ثم سقط إلى الأرض وجعل يبكي. فدرنا به وجعلنا نذكر الجلالة حتى أفاق ، فلما كان من الغد

ونحن سائرون حاذيته وقلت له : سألتك بالله أخبرني عن حالك بالأمس،وإلى أي شئ كنت تومئ ، ثم ترجع القهقرا ؟

فقال : يا مولاي لما أجلستكم، رايت ثيابكم كأنها أوراق الياسمين في البياض، وبيدي دلو كبير وأمامي غدير من قطران ، فأغرف منه وأريد أن أفرغه عليكم ، فيعز علي أن أدنس ثيابكم به .

قال مولاي قاسم رحمه الله : ففهمت من كلامه ، وأن ذلك الغدير هي الدنيا وإن من علت همته أعرض عنها ، ولا يطلبها لخستها ودناءتها .

- وأخبرنا مولاي قاسم أيضا نفعنا الله به وبحديثه قال : تزوج الفقيه الكبير ابن سودة ، وكان يسكن بدرب القاضي ، من حومة زقاق البغل من فاس القرويين، فجاء الحاج مبارك المذكور ، وطلب

من سيدي الحاج الخياط، أن يبيت مع الفقراء في ليلة عرس سيده المذكور ، فأجابه لذلك. فلما صلينا العشاء بالزاوية قال: تقدموا أمامي لدار العرس حتى ألحق بكم .

قال مولاي قاسم: لما دخلنا الدار ، وجدناها قد امتلأت من أعيان البلد ، أكابر الأشراف وغيرهم، ولم يتركوا لنا فارغا إلا وسط الدار، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، في هذه الليلة بالغيبة يؤكل لحمنا ويهتك عرضنا .

قال رحمه الله : فخرجت لباب الدار ، واختفيت في موضع مظلم ، حتى أنظر ما يصنع سيدي الحاج الخياط . قال رحمه الله : فجاء سيدي الحاج الخياط فدخل فاجتمعنا عليه ، ووقف في وسط الدار وافتتح الذكر فقال: سادتي يا أهل الطريق طريقة الله ، اشهدوا أني غلام مولاي عبد الله.

وجعل الحاج ابراهيم يذكر ويضرب الطاسة ، فلم يمض إلا شئ يسير من الليل ، وإذا كل من في الدار قائم على قدميه يقول : الله ، حتى طلع الفجر وخرج هائما على حاله ،وهو يذكر ولم يذق لهم طعاما، رحمه الله ونفعنا به.

- وكان يقال : من تحقق بحالة لا يخلوا حاضره منها .وله رحمه الله كرامات في هذا المعنى لا تحصى، وكان رحمه الله يطعم الجم الغفير من الطعام اليسير ، فمن ذلك ما أخبرني به مولاي قاسم قال :

جاء بعض إخواننا ،وهو السيد العربي ادراق ، وكانت حانوته بسوق العطارين فقال : يا سيدي عندي أربع دجاجات علفتهن بقصدك ، فأردت أن تأتيني في هذه الليلة ، عاشر عشرة أو أقل

تبيت عندي . فقال له : نعم على بركة الله. فلما صلينا العشاء بالزاوية قال للفقراء: اذهبوا لدار الحاج العربي ادراق حتى ألحق بكم. فبينما هو ينتظر الشيخ ، إذا بالفقراء وفدوا عليه زمرا زمرا فقال : إلى أين ؟ قالوا : سيدي الحاج الخياط بعثنا إليك.فلما أقبل الشيخ قال له : يا سيدي ما هكذا كان الميعاد .فقال له رحمه الله : انظر واسكت ، الطعام طعامي آكله مع من شئت.فدخل الفقراء وجعلوا يذكرون الله على عادتهم ، فلما فرغوا وآن وقت الطعام قال له السيد : هات الطعام . فأتى بتلك المخفية، ووضعها بين يدي السيد ،وجعل الفقراء يجلسون عليها طائفة بعد طائفة، حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، وأكل السيد بعدهم من الفضلة ، وقال لرب الدار : أطعم أهلك وجيرانك. ففعل وفضلت فضلة.

– قلت وهذا أمر مشاهد معروف عند ساداتنا الشرفاء، أهل وزان نفعنا الله بهم، بل وعند أصحابهم عاياه بأبصارنا ، ورثوا ذلك من جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينكره إلا معاندا أو ممار في الحق وله مجاحد .

وأخبار هذا الشيخ سيدي الحاج الخياط في هذا المعنى، وبركته مشهورة وكراماته في هذه البلاد معلومة مذكورة ، تركنا كثيرا منها اختصارا .

–توفي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء ، ثاني عشر محرم الحرام ، فاتح خمسة عشر ومائة وألف(1115هـ)، ودفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف ، بالشرشور من فاس القرويين، وقبره بها مشهور يزار نفعنا الله به آمين .

ذكر

مناقب الشريف

العارف بالله المتوكل في أموره

على مولاه صاحب السر المصون أبي محمد

مولاي قاسم بن محمد ابن رحمون

رحمه الله تعالى ورضي عنه

صحب هذا الشيخ رحمه الله ، في حال بدايته سيدي الحاج الخياط السابق ذكره، وعلى يده وصل لصحبة شيخه سيدي محمد بن مولانا عبد الله ،وأخذ عنه ثم أخذ عن مولاي التهامي بعد وفاة والده سيدي محمد ، ثم أخذ عن مولاي الطيب، ولزمه إلى أن توفي في حياة شيخنا، ووسيلتنا إلى ربنا مولاي الطيب نفعنا الله به آمين .

وكان سيدي الحاج الخياط السابق ذكره ، معتنيا بتربيته في حال شبابه لما رأى فيه من محاسنا الأخلاق ،ولطائف أهل المعارف والأذواق ، فرقاه للمراتب العلا وحلاه بمفاخر الحلى.

- سمعت هذا الشيخ رحمه الله يقول : خدمت سيدي الحاج الخياط رحمه الله، نحوا من ستة عشر عاما ، فكنت لا أبدؤه بالكلام ، وإذا جلست بين يديه طويت ركبتي كأني له غلام، وإذا احتجت لحاجة ناجيته بها بقلبي فيلهمني بالفهم فيها ربي.

- قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها ، فاجعله والتراب سواء : الرحمة للأصاغر، والخدمة للأكابر، والإنصاف من نفسه، وترك الإنصاف لها . وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها ، فلا تعبأن به وإن كان أعلم البرية : مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة.

- وقال أبو حفص رضي الله عنه : التصوف كله آداب لكل وقت آداب، ولكل حال آداب ولكل مقام آداب ، فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ،ومن حرم الأداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول.

- وقال بعضهم: إلزم الآداب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا، وما أساء الأدب باطنا إلا عوقب باطنا .

- قال أبو نصر السراج رحمه الله : الناس في الأدب على ثلاث طبقات: أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية من أهل الدين . فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في البلاغة، وأخبار الملوك

وأشعار العرب.وأما أهل الدين فأكثر آدابهم رياضة النفوس، وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود، وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة إلى الخيرات. وأما أهل الخصوصية من أهل الدين فآدابهم حفظ القلوب، ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية.فالمريدون يتفاضلون بالعلم والمتوسطون بالآداب والعارفون بالهمم.

- وقال أبو علي الدقاق : ترك الأدب يوجب الطرد ، فمن أساء الأدب في البساط رد إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى خدمة الدواب.وانظر قول أيوب عليه السلام: [رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ولم يقل ارحمني. وانظر قول

سيدنا عيسى عليه السلام[إِنْ كُنْتُ قُلْتهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ] ،ولم يقل لم أقله رعاية لأدب الحضرة القدسية .

- وقال أبو عثمان : إن صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب.

- وقال يحيى بن معاذ : من تأدب بآداب الله صار من أهل الجنة.

-ومن خط الولي الصالح الأخ في الله الناصح السيد المهدي الصحراوي مانصه: *الحمد لله من خط سيدي عبد القادر الفاسي، بواسطة من خط جده سيدي يوسف ما نصه: عن سيدي عبد*

العزيز القسنطيني جوابكم عن سؤال، وهو أناس اخذوا الطريق من الكتب واستندوا إليها جوابه.

"إن الناظر في كتب القوم المعتمد عليها، لا يهتدي إلى ولي زمانه أبدا، وإن اهتدى إليه لا ينتفع به، إلا ان منّ الله عليه. وقياس المتقدمين على المتأخرين قياس باطل، لأن الله يبعث في كل زمان وليا على قدر ذلك الزمان".

ومما أجاب به شيخنا العالم العلامة، الحافظ المدرس البركة سيدي أحمد بن مبارك الفلالي اللمطي، عن كتاب بعثه إليه بعض إخوانه، فأوصاه الشيخ في الجواب بما نصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى أخينا السلام ورحمة الله وبركاته وبعد.

فما في مسطوركم نمتثله إن شاء الله تعالى، وأؤكد على أخينا الوصية، أن يشد في سر الذات، فإنه يوصله إلى الله تعالى بحول الله وقوته، فإن قلت فما سر الذات؟ قلت هو رؤية عجزها بين يدي ربها تعالى، وافتقارها إليه عز وجل، ونسبة أفعالها إليه تعالى في كل حركة، وسكون وقول وفعل ونوم ويقظة مع الدوام على ذلك، واستحضاره ورد الفكر إليه إن غاب معناه عنه، فإنك إن فعلت ذلك حصلت على أمور أحدها الإخلاص في الأعمال كلها، فإن الرياء له سبب واحد فقط ، وهو رؤية الفعل منك ومن حولك وقوتك، فإذا رأيته من الله تعالى، ذهب عنك وانقطع بالكلية .

ثانيها طرد الشيطان لعنه الله عنك، فإن هذه الحالة حق والحق له نور، والنور يحرق الشيطان لعنه الله، ولهذا يفر من الآذان كما في الحديث الشريف .

ثالثها حصول القبول لك من الله تعالى، لأن الفعل خالص لله تعالى لا رياء فيه، بل هو فعله تعالى ولا شئ لك منه، إلا النسبة الظاهرة التي سقطت رؤيتها عن عينك.

رابعها وهو الاكسير، إن نور إيمانك يصير يسقى من نور الحق سبحانه، فتحتوشه الملائكة عليهم الصلاة والسلام، بالتأييد والتوفيق والإلهام والتسديد، ولا يزال أمر صاحبه كذلك إلى أن يصل لحضرة الحق سبحانه. منّ الله علينا وعليكم بذلك والسلام وكتب أحمد بن مبارك لطف الله به آمين.

- من خطه رضي الله عنه، ولهذا المعنى الذي ذكر هذا الشيخ رحمه الله، أشار سيدنا العارف بالله، قطب وقته وإمام عصره، مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، في قصيدته العينية بقوله :

أراني كالآلات وهو محركي أنا قلم والإقتدار أصابع

- حكي أن أبا تراب النخشبي رحمه الله، كان معجبا ببعض المريدين، فكان يدنيه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته وتواجده. فقال له يوما أبو تراب : لو رأيت أبا يزيد؟ فقال المريد : إني عنه مشغول . فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: لو رأيت أبا يزيد ؟ هاج وجد المريد وقال : ويحك وما أصنع بأبي يزيد وقد رأيت الله تعالى، فأغناني عن أبي يزيد . قال أبو تراب : فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت: ويحك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة، كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة. قال: فبهت الفتى من قولي وأنكره. وقال: وكيف ذلك؟ قال فقلت له: ويحك إنما ترى

الله عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله، فيظهر لك على ما قد ظهر له على مقداره .فعرف ما قلت له فقال : احملني إليه.

فذكر قصة قال في آخرها : فارتفعنا فإذا نحن على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيظة، وكان يأوي إلى غيظة فيها سباع.

قال: فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره، فقلت للفتى: هذا أبو يزيد فانظر إليه. فنظر إليه الفتى فصعق، فحركناه فإذا هو ميت، فتعاونا على دفنه، فقلت لأبي يزيد : يا سيدي نظره إليك قتله . قال : لا ولكن كان صاحبك ضعيفا، واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه، فضاق عن حمله لأنه في مقام الضعفاء المريدين.

ولهذا نقل الشيخ زروق رضي الله عنه، أنه يكره للمريد مفارقة الشيخ قبل انفساح قلبه، وعليه أن يصبر تحت أمره ونهيه.

- قال بعض المشاييخ: من لم يتأدب بأوامر الشيخ ونواهيه، لم يتأدب بكتاب ولا سنة فإياك يا أخي ثم إياك، أن تتراخى في معرفة الأشياخ، لأنه بهم المنجح والفلاح، ويأخذ الإنسان عنهم دينه متواترا، فإن من لم يأخذ عنهم كان مرسلا، وشتان ما بين المتواتر والمرسل، فعليك بالرغبة والغبطة في معرفة الرجال، لأنه بهم يحصل الكمال.

فقد قال سيدي ابن وفا رضي الله عنه : من شهد نور الحق ولم يخدمه، استخدمته نفسه لمن لم يرحمه.

- وقال بعضهم: من لم يخدم الخصوص أو من استنكف عن خدمة الخصوص، ابتلي بخدمة أهل الدنيا واللصوص.

– من خط من نقله من خط سيدي عبد الرحمان الفاسي

بثلاث وسائط.

وقال السيد الحسين بن منصور الحلاج حين صلب، وقد سئل عن التصوف ماهو؟ فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك.

–وقال بعضهم: واعلم أن الشيطان لا يستطيع أن يغوي الإنسان، ويفتنه ويهلكه إلا بعد الإستعانة بالنفس، ولولا النفس ماقارب الشيطان ابن آدم، لأنه تحت أمرها ونهيها مملوك لها واقف عندما تحد له، فإن كانت مطمئنة أسلم شيطانها، وإن كانت أمارة أهلكت صاحبها .

قال سري السقطي رضي الله عنه: العبودية أن لا ترى لنفسك ملكا، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا.

ورأى أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه، رب العزة في المنام فقال له : يا رب كيف أصل إليك؟ فقال له : فارق نفسك تصل .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذل، رضي الله عنه، عند قوله عز وجل:[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُداهم اقْتَدِه] ما نصه:

لا هدى إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها، ولا يعرفها إلا من عرف مولاه وأحبه، ولا يعرفه ويحبه إلا من اصطفاه واجتباه وحال بينه وبين نفسه وشيطانه وهواه.

ولهذا قال الإمام البوصيري رحمه الله في البردة ما نصه:

وخالف النفس والشيطان

واعصهما وإن هما محضاك

النصـح فـاتهم ولا تطع

منهما خصما ولا حكما

فأنت تعـرف كيد الخصـم

والحكم

- ولهذا كان هذا الشيخ مولاي قاسم ،رضي الله عنه في بدايته، ملازما لسيدي الحاج الخياط المتقدم في الترجمة قبل هذه، لا يفارقه ولا يفعل فعلا ولا يبرم أمرا، إلا عن إذنه ومشورته بتوفيق الله سبحانه له، لأنه كان أمينا. ولما علم الشيخ سيدي الحاج الخياط

المذكورصدقه في الطلب، اعتنى بشأنه وأقبل بكليته عليه، إلى أن فتح الله سبحانه عليه بفضله وكرمه ، فرأى معه من الفتوحات وأنواع الكرامات ما لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى، وأطلعه على أمور لا ينبغي إفشاؤها لكل الناس، ولا ترسم في دفتر ولا قرطاس.

-فمن جملة ما رأى معه من الكرامات في حال بدايته، ما سمعته يحدث به في نهايته قال:كان سيدي الحاج الخياط أعز الناس عندنا، وكنا نستصغر في حقه بذل نفوسنا ، فكنا لا نستطيع مفارقته ولو بالليل، الذي هو محل السكون وتهجع فيه بالمنام العيون، فصار ذلك يحملنا على القيام في الجزء الأخير من الليل، رغبة في الإجتماع معه في الزاوية.

فقمت في بعض الليالي في نصف الليل أو بعده بيسير، فتوضأت وركعت ما تيسر، وحبست السبحة وجعلت أذكر الله تعالى إلى أن تفتح الأدرب، ويمكن الوصول إلى الإجتماع مع الأحباب، فبينما أنا على ذلك الحال، إذ أخذتني سنة ثم قمت فزعا، فإذا قرص الشمس طالع ونوره على الجدرات ساطع ، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ،أي ذنب اقترفت حتى أوقعني في هذه الورطة، التي منعتني من الصلاة في وقتها، وحرمتني من جلسة بين يدي الشيخ في هذه الليلة وأنسها .

قال رحمه الله: فخرجت مسرعا وهان علي سفك دمي، لا أعلم من شدة الإسراع أين أضع قدمي، ولكني لا ألقى أحدا في الطريق وأنا ذاهب إلى الزاوية، وكلما وصلت إلى درب ووضعت يدي عليه انفتح، فتعجبت من ذلك ولم أدر ما هنالك، حتى وصلت إلى باب

الزاوية ، فإذا الليل مرخ سدوله، وإلى الآن لم يصل وقت الإجتماع، ومؤذن الزاوية إلى الآن لم يفتحها، فبقيت متعجبا، وعلمت أنها أنوار الشيخ سيدي الحاج الخياط ساطعة ومعارفه تجلت لي طالعة.

وأنشدوا :

طلعت شمس من فاستنارت وما لديها

أحب بليل إن شمس غروب وشمس

النهار تغرب بالليل القلوب ليست تغيب

-وجعل سيدي الحاج الخياط يري هذا السيد قاسما العجائب، ويرقيه لأعلى المراتب، إلى أن ظفر بمطلوبه وبلغ أقصى

مرغوبه ، فطوبى له حيث صبر وربط نفسه عن الشهوات، حتى بلغت مقصودها وأملها . وأنشدوا :

اخلف بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من الفرع للأبواب أن يلجا

فهو وأمثاله هم الناس حقا وما سواهم همج، ولا ودك ولا مرق ممن غلبتهم أنفسهم مثلي، وأخلدوا لأرض الشهوات، وخاضوا بحر المعاصي والشبهات، وينام طول الليل ويشرب الأصطال، ويأكل من الطعام الأرطال، ويطمع في مقامات الرجال، ويدعي الأحوال ويزعم انه سالك أثر القوم، هيهات هيهات أن يكون مثل هذا في حال اليقظة، وإنما هو في حال النوم.وأنشدوا :

يا من تقاعد عن ليس التفاخر بالعلوم

مكارم خلقه من لم الظاهرة لم ينتفع

يهذب علمه أخلاقه بعلومه في الآخرة

وأنشدوا أيضا:

إن الغراب وكان يمشي فيما مضى من سالف

مشية حسد القطاة فراح الأحوال فاصابه ضرب

يمشي مشيتها فأضل من العقال فلذاك

مشيته وأخطأ مشيها سموه أبا المرقال

غيره:

قل للذين تكلفوا زي وتحملوا للدرس ألف

التقى لاتحسبوا كحل مجلد إن المها لم

العيون بحيلة تكتحل بالإثمد

- فلا حيلة لمثل هذا تنقذه ولا دواء يستفيده، إلا ما قال شيخ الطريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من أخلد إلى أرض الشهوات واتبع الهوى، ولم تساعده نفسه على التحلي وغلب عن التخلي، فعبوديته في أمرين: أحدهما معرفة النعماء من الله فيما وهب له من الإيمان والتوحيد، وحببه في قلبه وزينه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فيقول يا رب أنعمت علي وسميتني راشدا، فكيف أيأس منك وأنت تمدني بفضلك، وإن كنت مخالفا فارجو أن تقبلني وإن كنت زائفا.

والأمر الثاني اللجأ إلى الله والإفتقار إليه دائما، وتقول يا رب سلم سلم ونجني وانقذني، فلا طريق لمن غلبت عليه الأقدار، وقطعته عن العبودية المحضة لله الواحد القهار، إلا هذان الأمران فإن ضيعهما، فالشقاوة حاصلة والبعد لازم والعياذ بالله .

- وكان هذا الشيخ أعني مولاي قاسما رحمه الله، حسن الأخلاق حسن التربية، يذاعب الفقراء ويتواضع معهم، ويحضنا على الأدب مع الأشياخ، وتوقيرهم وتعظيمهم وتوقير الكبير مطلقا، كيفما كان شيخا أو غير شيخ.

قلت ولعله كان يقصد بذلك ما ورد في الحديث، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ :ما أكرم شاب شيخا لسنه،

إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه قال الإمام النووي: رواه الترمذي وقال غريب.

- وكان أيضا رحمه الله يحذرنا من حديث النفس، والركون إليه واتباع الهوى ومكر الشيطان، ويذكر في ذلك حكايات. وأنشدوا :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

- فمن الحكايات التي سمعته يذكر في ذلك قال رحمه الله :كان سيدي علي الحارثي نفعنا الله به، دفين الرميلة من فاس

الأندلس، من الأكابر وكان له مريد يقوم بعض الليل، فبينما هو في ليلة قائم يصلي، إذ جاءه الشيطان على صورة حسنة فقال له : إن أردت أن ترى الجنة فانطلق معي ، فانطلق معه فأدخله موضعا ظهر له كثير الأشجار، متفجر الأنهار مختلف نغمات أصوات الأطيار، فمكث معه هنالك هنيئة وقال له : قد آن وقت الفجر فقم تصلي.فجاء به إلى موضعه وقد أخذ بلبه، وبقي منتظرا للقائه، فلما كان ذلك الوقت الذي أتاه فيه بالأمس، أتاه أيضا ومر به إلى ذلك الموضع، فلم يزل يختلف به إليه إلى ان فتنه، وظهر له إنه استغنى عن شيخه، وجعل يحدث سخفة العقول، بما كان يريه ذلك اللعين من الخنقطرات، فمال إليه من لا عقل له من الناس، وجعلوا يجتمعون عليه؛ فتفقده شيخه سيدي الحارثي رضي الله عنه وقال للفقراء : أين فلان؟ فقال له بعض الفقراء: إن فلانا كان من أمره ما كان، وهو

يزعم أنه أعلى مقاما منك، اتخذ أصحابا ويخبر بأمور غيبية، ويزعم أنه يدخل الجنة كل ليلة .فقال للمخبر بحاله:ادعه. فدعاه فقال له الشيخ : أخبرني بحالك.فأخبره، فقال له رضي اله عنه : إذا سرت معه في هذه الليلة لا تخرج حتى آتيك.فقال له : يا سيدي أتعرف ذلك الموضع ؟قال : نعم أعرفه وأعرف من يذهب بك إليه.

فانصرف عن الشيخ حتى كان الوقت المعلوم، أتاه الشيطان المذموم ومر معه إلى المكان المشؤوم ، فلما بلغ وقت خروجهما منه قال له : قم فإن الوقت بلغ.قال المريد : أمهلني شيئا حتى يأتي شيخي .فقال له : ومن شيخك ؟قال له : سيدي الحارثي .

فانقض الشيخ عليهما من الجو في حال تحدثهما ، ففر الشيطان منهما ووجد المريد نفسه في غدير من الدم بالمجزرة هنالك، التي هي قرب الرميلة بين المدينتين ، فقال له الشيخ: كيف

رأيت هذه الجنة ؟ قم فاقض كل ما صليت في هذه المدة السابقة.

لكونه كان يتوضأ في ذلك المكان بذلك الدم، ويظهر له طهور فلا ينتقض وضوءه حتى يكون بذلك المكان.

عصمنا الله من التعلق بالخيالات، والرعي في مرج الشهوات والشبهات، ورزقنا التأييد والتوفيق، والذهاب في جادة الطريق بمنه وفضله آمين.

- وسمعته أيضا يحض على الأدب ،وذكر أيضا حكاية وقعت لسيدي علي الحارثي المذكور، مع رجل أجلف في حال بدايته، قال رحمه الله :

كان رجل أجلف في حال بدايته لسيدي الحارثي، فوجد السيد جالسا مع أصحابه، فتخطاهم بأجمعهم حتى وصل إلى الشيخ،

ووضع يده على رأس السيد بعنف وقبلها وقال له: يا سيدي القبول لله .

فقال الشيخ لبعض أصحابه: اذهب بهذا الرجل إلى القائد الجبيلي (وكان حاكما إذ ذاك بفاس) وقل له يستوصى بالرجل ويربيه.

فلما وصلا إلى القائد المذكور، أراد الرجل أن يسلم على القائد كما سلم على السيد، فلطمه وقال له : تأخر يا جاهل . وأوقفه مع أصحابه وجعل يسخره، ومهما أخطأ الصواب في شئ عاتبه عليه، حتى تأدب غاية الأدب وأنساه حالته الأولى، وبعد ذلك بعث السيد نفعنا الله به، إلى القائد المذكور وقال له : ابعث لي صاحبي. فبعثه إليه فلما دخل على السيد، وضع نعله بعيدا جدا، وجلس على ركبتيه بطرف الحلقة، وجعل يدنوا شيئا فشيئا إلى أن وصل لقدم السيد فقبله.

قال رحمه الله: فأمده الشيخ بالسر من ساعته وقال له : اذهب إلى بلدك ينتفع الناس منك، ولو أتيت إلي بهذا الحال من أول مرة ما تأخرت إلى الآن. وأنشدوا:

الناس كالأرض ومنها من خشن اللمس

هم فجندل تدمى به ومن لين واثمد

أرجل يجعل في الأعين

– قلت ويقرب من هذا المعنى، ما حدثنا به السيد المبارك عن نفسه قال رحمه الله: لما أخذت الورد عن سيدي الحاج الخياط وأنا صغير السن، أراد سيدي الحاج الخياط الخروج إلى زيارة شيخه سيدي محمد بوزان، وجعل الفقراء يحتالون للخروج معه ، فاشتريت

فرسا حرا جذع السن، وجعلت عليه سرجا جديدا ولجاما، وسيدي الحاج الخياط غافل عني ، قال فلما خرج السيد والفقراء معه للزيارة، ركبت ذلك الفرس وخرجت معهم، وكانت هذه أول زيارتي، فلما وصلنا لوزان وتلاقينا مع سيدي محمد نفعنا الله به، أنزلنا بمضع قرب داره، ومن الغد طلع السيد بنفسه للركب، وجلس بخباء سيدي الحاج الخياط، واجتمعنا عليه وزرناه وتحدث معنا ساعة.

فلما قام وأراد الإنصراف إلى منزله، جعل ينظر إلى دواب الزائرين واحدا بعد واحد، حتى وصل إلى ذلك الجذع فدار به فقال: هذا جذع جيد. فأعجبه ومدحه، وكان هذا الشيخ أعني سيدي محمد، من فرسان المسلمين وأبطالهم، وممن يشار إليه في الفروسية، وكان لا يركب إلا الخيل العتاق، فأعجبني مدحه لذلك الفرس وفرحت به، وقلت إذا رجعت إلى أوطاننا أصونه وأربح فيه .

فلما رجعنا مرض ذلك الفرس ومات ، وبقيت إذا جاء وقت الزيارة، لا أجد في يدي ما أستعين به ولا ما أركب عليه، حتى زرت مع سيدي الحاج الخياط اثني عشر عاما على قدمي وهو يتغافل عني، وبعد هذه المدة جاء وقت الزيارة، فقال لي سيدي الحاج الخياط :أتزور راكبا أو راجلا؟ فقلت له : أنا عندك أمرك ورأيك. فعند ذلك عاتبني وقال لي: سيدنا يركب الخيل ونحن نركب مثله، فيقول لسان الحال: هؤلاء أغنياء عنا ولا حاجة لهم عندنا . فانظر بغلة أو بردونا، واجعل عليه إكافا واحمل عليه زادك واركب . ففعلت ما أمرني به، وفتح الله علي من تلك الزيارة، والحمد لله رب العالمين.

– والشئ بالشئ يذكر، قلت ويقرب من هذه الحكاية ما وقع لي مع هذا السيد المبارك، أعني مولاي قاسما في أول زيارتي معه لمولاي

الطيب نفعنا الله به ، فلما رجعنا لأوطاننا سألني عمي مولاي مسعود : (شقيق والدي رحمهما الله، وكنت أهابه لكونه هو الذي رباني، لأن والدي مات وتركني صغيرا في حجره) هل زرت مولاي عبد السلام ؟

فقلت: لا ، إنما زرت مولاي الطيب وما قصدت إلا زيارته مع الفقراء .فعنفني وعاتبني ووبخني، لكونه لم تكن له مواصلة مع ساداتنا أهل وزان ، فلما جاءت الزيارة من العام المقبل، قلت لأخينا الفقيه العدل السيد الحاج عبد المجيد السقاط (وكان من أصحاب ساداتنا) إذا وصلنا لوزان وأردت زيارة مولانا عبد السلام نفعنا الله به، فقل لمولاي قاسم ابعث معنا حمدونا . لكوني استحييت منه أن أطلب منه ذلك بنفسي.

فلما وصلنا لوزان تلاقينا مع مولاي الطيب، ومن الغد استأذنوا مولاي قاسما في زيارة مولاي عبد السلام فأذن لهم. فقال له الحاج عبد المجيد السقاط: يا سيدي أرسل معنا مولاي حمدونا .فقال له : لا ، اذهب أنت ومن معك بلا فضول.

فاستحييت وخفت منه لما رأيت من قبضه ،وأخذني غم من جوابه للرجل وقوله. فلما سار سيدي عبد المجيد المذكور ومن معه، وعلا النهار وتفرق الفقراء في البلد، ويقيت أنا ومولاي قاسم نفعنا الله به، والسيد الحاج المهدي الصحراوي معنا، فالتفت إلي وهو يتبسم وقال لي نفعنا الله به: لا يبقى في خاطرك شئ مما قلت للحاج عبد المجيد السقاط، فهو ومن معه لا أدب فيهم ، فإذا فعلنا مثل فعلهم قال ساداتنا بلسان حالهم، هؤلاء لم يأتوا لزيارتنا وإنما جعلونا طريقا لزيارة غيرنا، فلم تحصل فائدة منهم ولا من غيرهم، وإن

أردت زيارة مولانا عبد السلام، نرجع لديارنا إن شاء الله، ونقصد زيارته ونرجع من عنده لساداتنا فيكملوا مرغوبنا .

فهكذا يكون شأن الصالحين الصادقين الناصحين لعباد الله ، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا .

-قلت ولم يزل هذا الشيخ، أعني مولاي قاسما رحمه الله، ملازما لسيدي الحاج الخياط متعلقا به، محافظا على بره وطاعته، إلى أن ختم الله لسيدي الحاج الخياط بالحسنى، ورحل لدار البقاء من دار الفناء. وأنشدوا :

شيآن لو بكت الدماء عيناي حتى يؤذنا

عليهما لم تبلغ بذهاب فقد الشباب

المعشار من حقيهما وفرقة الأحباب

فصحب بعده سيدي محمدا بن مولاي عبد الله كما تقدم، وبعد سيدي محمد صحب ولده سيدي مولاي التهامي، وبعده أخاه مولاي الطيب رضي الله عنهم أجمعين. وهو رحمه الله على كماله لا يدعي بدعوى، متبريا مما يظهر على يديه من الكرامات وينسبها لأشياخه، بخلاف غيره ممن كان معه من إخوانه مع سيدي الحاج الخياط المذكور قبل، فإنه لما مات جعل كثير منهم يدوكون ويطولون أعناقهم بما لم يصلوا إليه، وخصوصا السيد محمد بن عبد الجبار، فكان يزعم أنه وارث سر سيدي الحاج الخياط بعد موته، فحل به ما حل بصاحب سيدي علي الحارثي المتقدم ذكره من الفتنة وفساد المزاج، فجعل يظهر لسخفة العقول الخنقطرات ويدعي أنها كرامات.

فمن خنقطراته ما أخبرني به الفقيه الأستاذ العدل، سيدي أحمد الخضر من حفده الولي الصالح، القطب سيدي علي بن أحمد دفين صرصر نفعنا الله به . قال رحمه الله: لما اشتهر هذا الرجل بما ذكر، صار يزعم أنه من أهل الخصوصية، وانحاش إليه ضعفة العقول من الفقراء.

قال: فاجتمعت مع الشريف الأديب اللبيب الحسيب، سيدي محمد بن مولاي الطيب صاحب "الأنيس المطرب" وقلنا : نختبر هذا الرجل حتى نشاهد فعله بأبصارنا، ليزول الريب من قلوبنا . وكان يدعي محبتنا ويرغب في مواصلتنا فأتينا وقلنا له : حقنا عليك أكثر من حق غيرنا، ولم تكرمنا كما أكرمت إخواننا . فقال: أنتم أولى منهم ومن كل الناس، فاطلبوا ما شئتم واذكروا ما اشتهيتم؟ فقلنا له : نبيت

عندك هذه الليلة بشرط، أن لا يبيت معنا أحد، وتطعم كل واحد منا ما اشتهى. فقال : حبا وكرامة .

فأدخلنا مصرية بباب درب أبي حاج من فاس القرويين بعد صلاة المغرب، فوجدنا فيها غرفتين إحداهما فيها فراش جعله لنا، والأخرى فارغة ليس فيها شئ وليس في المصرية أنيس غيرنا، فجعل يحدثنا إلى أن صلينا العشاء ثم قال لأحدنا : ما تتعشى؟

فقال له: السفة مدهونة بالزبدة والسكر، وزلايف الحليب.

فدخل تلك الغرفة الفارغة وأخرج تلك الشهوة كما نحب، فأكلنا وتحدثنا ثم قال للآخر منا: ما تشتهي لعشائك؟ فقال : الدجاج في الطاجين وخبز الخالص.

فدخل الغرفة وأتى بذلك كما شرط عليه فأكلنا. ولما فرغنا من الأكل ورفع المائدة من بيننا، أردنا أن نعجزه فقلنا له: الآن خطرت

ببالي شهوة لم نذكرها لك، فإن أكرمتنا بها فذاك وإلا عذرناك .قال : وما هي ؟قلنا : دلاحة من صفتها كذا وكذا، نهضم بها ما أسرفنا فيه من الأكل.

فدخل الغرفة وأخرجها وجعل يكورها في الأرض لعظمها، فتعجبنا من ذلك وأكلنا منها ما تيسر ورفع الباقي.

ولما أراد الله فضيحته بات عنده الفقراء في ليلة على العادة، وبات معهم أخونا المرابط الأرضى، السيد عبد الله الخياط من حفدة الولي الصالح سيدي عبد الله الخياط، دفين جبل زرهون نفعنا الله به، فلما أحضر الطعام للفقراء قال له السيد المذكور: أين الحليب؟

ففهم منه أنه يريد تعجيزه فقال له : قم فأطلعه بيدك من البئر.

فقام وناوله كوبا كبيرا، وربطه له بحبل ودلاه في البئر حتى ظن أنه امتلأ، ورفعه فإذا هو مملوء بالحليب كأنه خرج من الضرع الآن، فتعجب جميع الحاضرين من ذلك، فلما كان بعد ذلك بايام يسيرة، اجتمع الفقراء مع مولاي قاسم صاحب الترجمة بجامع القرويين عند العصر، عند كرسي الحلية ومعهم ابن عبد الجبار المذكور والسيد عبد الله الخياط، فلما صلوا العصر التفت السيد عبد الله الخياط، لمولاي قاسم نفعنا الله به وقال له: السيد هو هذا (يعني ابن عبد الجبار) بتنا عنده قبل اليوم، وأرانا من خوارق العادات كذا وكذا، حتى إني أطلعت الحليب من البئر بيدي وأي كرامة لك أنت؟ فالتفت مولاي قاسم لابن عبد الجبار وقال له : وأنا من إخوانك فلِم لم تدعني ليلة من جملة إخواننا؟ فقال له : أنت أولى من كل أحد لو علمت أنك جحيبني دعوتك .فقال له: أجيبك .

ومن الغد أو بعد الغد، طلب منه الفقراء المبيت، وأعلموا مولاي قاسما فجاء معهم، وجعلوا يذكرون الله على العادة، وابن عبد الجبار بينهم يتمايل ويظهر لهم أن به حالا، فما شعر بمولاي قاسم حتى وثب من الأرض، وركب على قفا ابن عبد الجبار وضم ركبتيه على رأسه، فصاح ابن عبد الجبار وجعل يضعف شيئا فشيئا، إلى أن سقط على الأرض كأنه ميت، فرفعوا السيد عنه وهو غائب عن حسه، فوضعوه لجهة وابن عبد الجبار للجهة الأخرى، وجعل الفقراء يموج بعضهم في بعض، ويتفكرون فيما يصنعون، فبينما هم من ذلك في شدة الكرب والغم، إذ أفاق مولاي قاسم من غيبته، وقام ابن عبد الجبار من سكرته، فانتظروا العشاء على العادة، فلم يجد ما يخرج لهم وظهر كذبه وبهتانه فيما كان يدعيه، ومن ذلك اليوم ابتلي والعياذ

بالله بالفقر، وبقي معدما إلى أن دخل القبر، وقتل مولاي قاسم رحمه الله ذلك الجني الذي كان يخدمه. وانشدوا:

كل من يدعي بما فضحته شواهد

ليس فيه الإمتحان

وغيره:

مواعظ الواعظ لن حتى يعيها قلبه أولا

تقبلا يا قوم من أظلم خالف ما قد قاله في

من واعظ أظهر الملا وخالف

للعالم إحسانه الرحمن لما خلا

وأنشدنا شيخنا سيدي أحمد بن مبارك في مجلس التفسير ما نصه

:

ذيب تـراه مصليا فإذا مـررت بـه ركع

يدعـوا وجل دعائه ما للفريسـة لا تقـع

عجـل بهـا ياذا العلا إن الفؤاد قـد انصدع

ومن إنشاء الأديب البليغ الفقيه العدل الأرضى،سيدي محمد بن ابراهيم ابن غازي وأنشده في مجلس المذاكرة ما نصه :

أيهـا الغافل المدبـر ليس يدرك منه إلا

أمرا كتب الله كل مـا نصيبـه قبل خلقك

أنت لاق حيلة المرء لا في العلوم القريبة ولا

تسوق له الخير تدفع البلا والمصيبة

ما أصابك نافذ فيك رة إن سهامها

بالقد فاترك الخوض لمصيبة الله ينهاك

في المهالك إن واطرحن أن تكون مصيبه

كل ما تدبر وانقذ للمقادير فهي منك

واحذر الدهر فهو قريبة لك يا ظالما

أعدى عدو أو ما قد بدت منه قريبة بيتا

سمعت يا خامد الفطنة حفظته في الشبيبة

الليالي كما علمت قربات يلدن كل

حبالى عجيبة

- ومن كرامات هذا الشيخ مولاي قاسم رحمه الله، ما حدثني به ونسب هذه الكرامة لشيخه مولاي التهامي، قال رحمه الله:

مرضت زوجة المرابط السيد عبد الله الخياط المذكور قبل ، وسعى في علاجها ما أمكنه، ثم ظن أن بها لمما من الجن، فطلب مني أن أبيت معه في سيدي علي بن حرزهم نفعنا الله به، لأنه رضي الله عنه مقصود في ذلك المرض، فصلينا العشاء بجامع الأندلس، ومعنا أخونا السيد عبد الله بو حسينة، فلما وصلنا لباب الفتوح، قال أبو حسينة المذكور: كل احد منا يذكر حاجته التي قصد بها هذا السيد المبارك . فقال السيد عبد الله الخياط :أنا قصدته في شفاء هذه المرأة . وقال أبو حسينة : أنا قصدته في كذا (وسمى حاجته) .قال مولاي قاسم: فسكت. فقالا: تكلم . فقال:ما قصدته في شئ، ولكني جئت أزوره لله تعالى. فقالا: هذه عادتك لا تطلع أحدا على سرك

ونيتك. فألحا علي في القول فقلت : يا ولي الله إنما جئت أزورك لله، وأنا صاحب مولاي التهامي (وكان هذا الأمر في حياة مولاي التهامي).

فوصلنا إلى ضريحه فوجدنا القبة التي بها قبره مغلقة فجلسنا خارجها، فقرأنا ماتيسر وذكرنا الله ساعة، وأخذ كل واحد منا سبحته، وجعلنا نذكر الله سرا حتى غلب صاحبي النوم، فاتكأ كل واحد منهما على الحائط ونام وهو جالس، وأنا بقيت يقظانا، فإذا بباب القبة فتحت وخرج السيد وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، وعليه ضراعة بيضاء وخلفه غلام أسود، على رأسه قصعة طعام وبيده اليمنى مائدة، وبالأخرى طاس فيه ماء ومنديل على كتفه؛ فجاء السيد حتى وقف بقربي ولم يكلمني ولم أكلمه، فوضع الغلام المائدة بين يدي وقرب إلي الطاس، فغسلت يدي وجعلت أقول لصاحبي:

قوما تتعشيا. فقالا : دعنا مزاحك لاتتركه أبدا .فسكت وأكلت حتى شبعت، وناولني الغلام المنديل فمسحت يدي، ورفع ما بقي وولى السيد نفعنا الله به، والعبد خلفه حتى دخل القبة وأغلقها الغلام، ثم إن صاحبي قاما من نومهما، فأخبرتهما بما وقع وبما جرى بيني وبينهما، فتأسفا غاية الأسف على ما فاتهما. وأنشدوا في المعنى :

إن ترم عيشا هنيا ورضاء متمادى

فامنع النفس هواها تحظ منه بالمراد

وللشيخ العارف بالله تعالى سيدي ابراهيم التازي، دفين وهران نفعنا الله به آمين

زيارة أرباب التقى مرهم

يبري ومفتاح أبواب الهداية

والخير وتحدث في القلب

الخلي إرادة وتشرح صدرا

ضاق من شدة الوزر وتنصر

مظلوما وترفع خاملا

وتكسب معدما وتجبر ذا

كسر عليك بها فالقوم

باحوا بسرها وأوصوا بها

يا صاح في السر والجهر

فكم خلصت من لجة الإثم

فاتكا فألقته في بحر

الإنابة والسر وكم من

بعيد قربته بجذبة

ففاجاه الفتح المبين من البر

وكم من مريد ظفرته

بمرشد حكيم خبير

بالبلاء وما يبري فألقت

عليه حلة يمنية

مطـرزة باليمن والفتح

والنصر فزر وتأدب بعد

تصحيح توبة تـأدب

مملـوك مع الملك الحر

ولافـرق في أحكامها بين

سالك مرب ومجذوب وحي

وذي قبر وذي الزهد

والعباد فالكل منعم

عليه ولكن ليست الشمس

كالبدر وزورة رسل الله

خير زيارة وهم درجات في

المكانة والقدر وأحمد خير

العالمين وخير من

ييممه العافون في العسر

واليسر

وأمته أصحابه الغير

خيرهم وأفضل أصحاب

النبي أبو بكر ويتلوه

فاروق أبو حفص الرضى

على رأي أهل السنة الشهب

الزهر وبالوقف قالوا في

الهزبر أخي العلا علي

وعثمان الشهيد أبي عمرو

وقيل كترتيب الخلافة

فضلهم وقد تم

نضمي في المزوروذي الزور

على أنبياء الله مني ورسله

وخاتمهم أزكى سلام مدا

الدهر وقربا والصحب

الكـرام وتابع لهم في

التقى والبر والصبر

والشكـر

-ولنرجع لما آل إليه أمر الفقراء بعد وفاة سيدي الحاج الخياط الرقعي المتقدم، ووفاة شيخه سيدي محمد بن مولانا عبدالله نفعنا الله بهم آمين.

فمنهم من اعتزل بنفسه، لما رأى فشا بينهم من النزاع وهو أعقلهم، ومنهم من ادعى لنفسه وجمع أهل البطالة والجهال عليه، مثل ابن عبد الجبار المتقدم ذكره، فوقع لهم الفشل بسبب ذلك، وجعل بعضهم يؤذي بعضا، ويغتاب بعضهم بعضا.

وممن كثرت إذايتهم له، صاحب الترجمة مولاي قاسم رحمه الله، حتى أفضى بهم الأمر إلى أن سموه في تمرة ليقتلوه، فنجاه الله من مكرهم وجعل الدائرة عليهم. كما سنبين ذلك إن شاء الله، ونذكره في ترجمة الولي الصالح سيدي محمد بن الفقيه، ولم يزالوا يرفعون به الشكوى لمولاي التهامي، وينسبونه لكل قبيح بالإشارة مرة ومرة بالتصريح. وأنشدوا :

إذا المرء أعطى نفسه ولم ينهها ثاقت إلى كل

كل شهوة وساقت إليه باطل دعته إليه من

العار والإثم للذي حلاوة وعاجل

واشتغلوا بالنميمة وكلام السوء، ونقلوه عنه إلى سيدي محمد بن مولاي التهامي، لكونه كان ساكنا هنا بدار والده بالشرشور،

وسيدي محمد يتألم من ذلك، إلى أن بلغ الخبر لوالده مولاي التهامي، فكتب كتابا لمولاي قاسم ومن معه من الفقراء ونصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

من عبد الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه، محمد التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الحسني، إلى إخواننا في الله وأحبابنا من أجله ،كافة إخواننا فقراء محروسة فاس، عمرها الله بذكره وأمنها من مكره، خصوصا مولاي أبا قاسم ابن رحمون

الشريف، ومولاي محمد القادري ومن انتمى إليهما، أصلح الله

أحوالكم وسدد أفعالكم وأقوالكم، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.

فكيف بكم تجتمعون في المبائت في الدور وغيرها، مع

الأحداث وغيرهم ممن لا خلاق له، وتشتغلون بما لا يعني دينا ولا

دنيا، مثل المجرد وما ينشا عنه، ثم يتكلم أحدكم بما لا يليق أصلا،

ويدعي مقامات واحوالا، فهذه الغفلات وأمثالها ليست من طريقتنا

ولا نوافق عليها أبدا، ونحن بريئون ممن يفعلها في الدنيا والاخرة.

وعليكم باتباع السنة في الأقوال والأفعال والأحوال، فالسنة

تجمعنا والبدعة تفرقنا، والخير كله في الاتباع والمرافقة، والشر كله

في الإبتداع والمخالفة، وعليكم بالتقوى في السر والنجوى، وإياكم ثم

إياكم والإدعاء بدعوى، فإنها قبيحة ولو كانت صحيحة، وتعلموا أمر

دينكم ولا تشغلكم الدنيا عن الدين، ولا تغتروا بمن يدعي مكاشفة أو

غيرها من الأمور المغيبات التي لا يعلمها إلا الله [إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ] الآية.

وحافظوا على الصلوات الخمس في الأوقات والجامع

والجماعات، وأكثروا من ذكر الله تعالى، ومن الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فذلك سُلّم الوصول إلى كل مأمول،

وسبب النجاة في المحيا والممات، وأكثروا من الإستغفار آناء الليل

وأطراف النهار [وَتَعَاوَنوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ﴾ وألفوا ولا تنفروا، ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد

الله إخوانا وعلى الدين أعوانا﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ،

وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ] .

اللهم إنا قد بلغنا ونصحنا لأن النصيحة واجبة، ومن حاد عما

ذكرناه أو عاد لما أسلفناه، فهو خارج عن حزب الشيخ مولاي عبد

الله، كما نؤكد على ولدنا محمد أن يعمل بما ذكرناه ولا يتعداه،

وكيف بكم ايضا تضربون الناس في الزاوية، وتمدون يدكم بغير

موجب، فهذا عجب العجب منكم، لأنكم تدعون الفقر والطريق ثم

تؤذون الناس، فهذا سبب البأس ولا يفعل هذا إلا شرار الناس، لأن

المسلم من سلم منه كل شئ، والمومن من أمن منه كل شئ، ومن رجع

إلى فعله ولم ينته أخرجوه عنكم، وأبعدوه منكم وسدوا الزاوية، وإلا

فلترتقبوا من الله تعالى ما يؤذب ويهذب، فالله تعالى سبحانه راحم

ومعذب[وَعَفَا الله عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ، والله عَزِيزٌ ذُوا

انْتِقَامٍ] .

والسلام عائد عليكم والرحمة والبركة، وفي يوم الأربعاء

الثاني من ربيع الثاني عام خمسة وعشرين ومائة وألف(1125هـ) ،

استدراك خير إن شاء الله، وحيث لم نستوف معكم الكلام، كتبناه

لكم تأكيدا حيث خرجنا من المدينة والسلام.

– قلت اعلم وفقنا الله وإياك، أن مولاي قاسما بريء من هذا العتاب، كما يظهر لكل ذي لب سليم من ألفاظ هذا الكتاب، وبه أيضا تعلم مقام سيدنا ومولانا التهامي في طريق التربية، ومخاطبته بهذه الألفاظ السنية لذوي الهمم العلية، فإن مولاي قاسما رحمه الله لم يضرب أحدا بالزاوية، ولا وافق على الأفعال الدنية، ولم ينقم أحدا بها ولا قابل السيئة بمثلها، بل كان صابرا محتسبا مفوضا أمره لمولاه، متوكلا عليه في سره ونجواه، لا ينتصر لنفسه راضيا بحكم ربه.

وسبب هذه الرسالة أن الشيخ مولاي التهامي نفعنا الله به، بعث ولده الصالح التقي الزكي، سيدي محمد المذكور في الكتاب، بقصد الإستيطان والسكنى بهذه المدينة المباركة، وجاء معه جماعة من أصحابه، فلما استوطن بها جعل أصحابه ومن يريد الفتنة من

فقراء أهل فاس، يشيعون عند الناس أن والده مولاي التهامي، ما بعثه إلا ليكون اجتماع الفقراء عليه، ويرجع أمرهم إليه، فأجابهم سرعان الناس لما أشاعوه، ولو علموا ما وراء ذلك ما قبلوه، وكان قبل ذلك جماعة من أصحاب ساداتنا الكبار، من أهل الذوق والأسرار يحذرون مولاي قاسما من الطلوع لتلك الزاوية، ويقولون له أن الأولياء اجتمعوا وحكموا بسدها وعدم الإجتماع فيها، فكان يعرض عن قولهم مراعاة للأدب مع أشياخه، والوقوف عند أمرهم ونهيهم.

وجعل سيدي محمد يدخل الزاوية مع أصحابه، وجعل فيها فقيها يدرس الفقه، وجعل أصحابه ينقمون الفقراء المجتمعين مع مولاي قاسم، فلما كان في بعض الأيام وقع نزاع بين الفريقين، بين المغرب والعشاء ومولاي قاسم رحمه الله، جالس مع سيدي محمد بداخل القبة والفقيه يقرأ، فشتم بعضهم بعضا بالصحن وضرب

بعضهم بعضا فدخل واحد من أصحاب سيدي محمد، وشكى له وهو كان رئيس الفتنة، فقام سيدي محمد مسرعا، وجاء لمن ضرب صاحبه فلطمه لوجهه مرة أو مرتين، فرفع مولاي قاسم نعله وخرج، وتبعه من كان يألفه ويجتمع عليه.

فكتب من كتب لمولاي التهامي، وأنهى له الخبر على غير وجهه، وكان مولاي التهامي نفعنا الله به، متوجها لهذه الحضرة المباركة، فلما حل بها ودخلها، أعرض عن هذا الأمر كله، ولم يواجه به أحدا لحسن تربيته، واقتداء بسنة جده ρ في قوله :إذا أراد أن ينهى عن شئ قال مابال أقوام يفعلون كذا.

فلما خرج مولاي التهامي راجعا لوطنه بعث هذا الكتاب.

فتأمل حفظك الله في ألفاظه ومعاني أسراره، كيف وجه الخطاب أولا لمولاي قاسم رحمه الله وأخر ولده لآخره، لتعلم أن الموجه إليه هو

المتولي أمر الفقراء، وكل ما ذكر بعد قوله، وبعد فالمخالفون على مولاي قاسم هم الذين كانوا مشتغلين بتلك الأمور، وانظر قوله (فكيف تضربون..) فإن مولاي قاسما لم يضرب أحدا وانظر قوله (ومن رجع إلى فعله ولم ينته ولم ينزجر، فأخرجوه عنكم وأبعدوه منكم..) لمن هو الخطاب بذلك ؟.

ومجموع الحكمة في قوله استدراك خير، فتنبه لقوله (وحيث لم نستوف معكم الكلام) لعلمه أن الشكوى كانت مشحونة بالشهوة، وتكلم رضي الله عنه بما يجب عليه من النصيحة لكل أحد.

ورد كتاب مولاي التهامي وقُرئ على جميع الفقراء، عمل ذوو الألباب بما فيه وفهموا معانيه، وتأخر مولاي قاسم عن الإجتماع معهم بالزاوية، لأجل ما بلغه من إذايتهم، فتمادى حساده في عمايتهم واسترسلوا في غوايتهم وفرعنتهم.

- قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: النفس من طبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية. ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي تضمر ما أظهر فرعون من قوله: (أنا ربكم الأعلى). ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره، إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلاوهو يدعي ذلك مع عبده وأمته وأتباعه، وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعا من إظهاره، فإن امتعاصه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته، واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إظهار كبر ومنازعة للربوبية في رداء الكبرياء.

وعن أبي مسلم الخولاني قال: كان الناس ورقا لا شوك فيه، وإنهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن سألتهم سبوك، وإن ناقرتهم نقروك، وإن تركتهم لم يتركوك. "من كتاب الزهد لأبي داوود"

– سمعت مولاي قاسما رحمه الله يقول : مازال بعض الإخوان يؤذيني وينقل عني مالا يُرضى، ليغير علي خاطر مولاي التهامي، إلى أن مرضت مرضا طويلا بالحمى، وبقيت بها نحو الستة أشهر، فلما استرحت شيئا ما، جاء وقت الزيارة، فافتعل الفقراء المعاندون على بينة، ونسبوني فيها لكل قبيح، شهد فيها جمع كبير من الفقراء، فيهم شرفاء وعوام وخرجوا للزيارة، ولم أشعر بشئ مما صنعوا، فلما وصلوا لحضرة الشيخ مولاي التهامي، دفعوا له تلك البينة، فكتب إلي كتابا يقول فيه:

" *من عبد الله محمد التهامي إلى (فلان)، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بنفس وصول كتابنا إليك اقدم عزما ولابد والســـلام .*"

فلما وصلني الكتاب امتثلت أمره في الحال، ومن الغد خرجت فلما وصلت لحضرته المباركة، أخبرني بما جرى وبما افتعلوه من الكذب والإفترا، فلما طلعوا لملاقاة الشيخ رضي الله عنه طلعت معهم، فجلسنا بباب داره ننتظر خروجه، وقلت في نفسي: أقسمت عليك بجدك المصطفى وأسلافك أهل الصفا والوفا، لا تشمت بي أحدا من هؤلاء الشياطين، واحكم علي بما أطلعك الله في الباطن.

فلما خرج رضي الله عنه، كان أول ما وقع بصره علي، فأسرع إلي وأخذ بيدي وأقامني، قبل أن أحتال للقيام لسبب ضعفي وقال لي: مالك وكيف هو حالك؟

فسلمت عليه وقلت : كنت مريضا منذ كذا، وحين ورد علي كتابك امتثلت أمرك. ودعا لي بخير والتفت إلى الإخوان وسلم عليهم ودعا لهم، ولما أرادوا الإنصراف دعا بعض أصحابه وقال له: اذهب بهم

إلى الجنان الفلاني (وكان زمن الخريف) وأعطهم ما ينوبهم من الطعام. وقال لهم: اتركوا هذا هنا أحتاجه.

فلما انصرفوا دخل داره وخرج، فدعاني وأدخلني بيتا في الدار وقال لي:هذا البيت كان يسكنه مولانا عبدالله، وقد تحفر فأردت تجصيصه. فناولني فأسا وقال لي: احفر جميع أرضه وسوها.

فجعلت أحفر ووقف معي ساعة، ثم أغلق بابه علي وسد الخوخة من خلف وسددتها أنا من داخل، فجعلت أحفر واجلس أستريح، لكوني ضعيفا قريب عهد بمرض ثم أعود للحفر، فبينما أنا أحفر إذا بنفس خلفي، فالتفت فإذا أنا بامرأة خلفي في غاية الحسن والجمال، وعليها حلة لا نضير لها، فأفجعني مارأيت وأقبلت على عملي ولا التفت إليها، ولا أستريح كما كنت أفعل أولا إذا ضعفت،

وأنا في حيرة لايعلم حالي إلا الله سبحانه، حتى بلغت في الحفر نصف البيت، فحسست بالبيت كأنه فارغ ولا أجد لها حسا، لكوني كنت أحس بها، كانت تذهب إلى غارب البيت وترجع، حتى أحس بنفسها بين كتفي، وأنا أحفر فالتفت فلم أجدها فحمدت الله تعالى، وجلست حتى استرحت من تعبي، وقمت لعملي فلما فرغت منه، فإذا بمولاي التهامي نفعنا الله به من داخل، ففتح الباب من جهته وفتحت الخوخة من داخل، ودخل وأعجبه صنعي ودعا لي بخير، وأخرجني للباب ودخل للدار، فأخرج لي آنية مملوءة عسلا وزبدا وخبزا جيدا.

فأتيت الإخوان وكتمت عنهم ماجرى لي بذلك المكان، ولما عزمنا على الرجوع إلى الأوطان، وأراد الشيخ مولاي التهامي توديعنا، قال له من كان مشغولا بغيبتي: يا سيدي ما فعلت مع مولاي قاسم؟

فأجابه رضي الله عنه بقوله: "وما أصنع معه، من جاءنا مريضا داويناه ومن جاءنا بالذخيرة زدناه" .وأنشدوا :

ألا قل لمن ظل لي أتدري على من أسأت

حاسدا أسأت على الأدب لأنك لم ترضى

الله في حكمه لي ما وهب وسد

فجازاك عني بأن زادني عليك وجوه الطلب

وقال غيره:

اصبر على مضد فإن صبرك قاتله

الحسود فالنار إن لم تجد ما تأكله

تأكل نفسها

وقال بعض الحكماء: ستة لا تفارقهم الكآبة : الحقود، والحسود، وحديث عهد بغنى، وغني يخشى الفقر، وطالب رتبة يقصر قدره عنها، وجليس لأهل الأدب وليس منهم. "من كتاب الوعظ لابن فرحون"

-وكان هذا السيد مولاي قاسم رحمه الله، زاهدا في الدنيا مقبلا على الآخرة، فمن زهده رحمه الله ما سمعته يذكر، وهو يحض على علو الهمة، قال رحمه الله :

تزوجت ابنة عمي، وجعلت أجمع مهرها لأبني بها، فتوجهنا لزيارة سيدي محمد بن مولانا عبدالله نفعنا الله بهم، وكان أخي مولاي أحمد موسرا عني، وأراد أن يعطيني المهر من عنده، لمحبته

في وشفقته علي. فلما وصلنا وزان جاء أخي لسيدي الحاج الخياط وقال له: هذه سبعون مثقالا أردت أن أهبها على أخي ليتزوج بها، وخفت أن لا يقبلها مني فأردت منك أن تكلمه، ونأتيتك بها فتعطيه إياها.

فلما ولينا راجعين إلى أوطاننا، وأنا أمشي في الطريق على قدمي، إذا براكب خلفي يقول: قف. فالتفت فإذا هو سيدي الحاج الخياط ، فوقفت حتى وصل إلي فقال لي: إن مولاي أحمد أخاك طلب مني كذا وكذا .

فالتفت إليه وقلت له : لم أعرفك لهذا، وإنما عرفتك لله فلا تخاطبني بشئ من هذا .

فقال لي رحمه الله: أحل الحلال ما أتاك من غير سؤال، وهذا أخوك أراد أن يصلك بهذا المعروف، محبة فيك وشفقة عليك، فلم لا تقبل عطيته؟

فقلت له: حق ما قلت، ولكن ربما تخاصم زوجته زوجتي فتقول لها ما تقول العامة (من ضربته يده لاييكي) : وزوجي هو الذي فعل لي هذا، لولا هو ما رأيتك.

قال رحمه الله : فجعل سيدي الحاج الخياط يعظم في عيني وهو راكب على الدابة، حتى صار كالمنار وهو يقول : الله يرضى عنك (يكررها مرارا).فقلت : يا سيدي اعتذر عني. وانشدوا :

ازهد في شئ أنت في أحوجك الدهر لما في

عين من فإن تقنعت يديه كنت وإن هنت

ولم ترجه عزيا عليه

وقال آخر:

كن زاهدا فيما حوته يد تضحى إلى كل الأنام

الورى أو ما ترى حبيبا فغدا مقيما في

الخطاف حرم عيشهم البيوت ربيبا

وقال آخر :

ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ومن

هما حياة المرء إن أدبه ففقده للحياة

فقدا أليق به

قال رحمه الله، فلما وصلنا إلى أوطاننا وكان آخر الخريف، جاء نفر من مدشر بني عمار من جبل زرهون، وكانت لي بهم معرفة، فطلبوا مني أن أنظر لهم من يسلم لهم على الزيت، فكلمت بعض الناس فقال: أنا أعطيهم ما يحتاجون إليه ولكن لا تتسب لي شيئا، فخذ المال وأشهده أنت عليهم، وإن فتح الله بربح فاجعله إنصافا بيني وبينك.

فأسلمت لهم على الزيت، ولما وصل الأجل جاؤوا بها، فلم تمض إلا أيام يسيرة وارتفع سعرها، فبعتها فربحنا فيها مائة وأربعين مثقالا، فأخذت نصفها وهو سبعون مثقالا، فأعلمت سيدي الحاج الخياط بذلك، ففرح ودعا لي بالبركة، فدفعت المهر وصنعت العرس، وفضلت فضلة والحمد لله رب العالمين.

- ومن زهده أيضا وإيثاره للآخرة على الدنيا، ما سمعته يحدث به رحمه الله قال: زرنا مع سيدي الحاج الخياط وزان، فلما رجعنا ونزلنا بوادي سبو، قال سيدي الحاج الخياط: تعالوا نخرج لكم كنزا .

فأسرعنا إليه فقال لأولنا: هات سبحتك واذكر كذا وكذا (من ألف من ذكر لقنه له) . وجعل يلقن كل واحد ما يناسبه من الذكر ويحد له العدد، وكنت إذ ذاك أخدم صنعة الحياكة بيدي، وفي عيالي أبي وأمي وزوجتي وملزومي كل يوم ثلاث موزونات، منها الزرع وما يتبعه من الملازم.

فلما رأيت ذلك تأخرت خوف أن يكلفني فوق طاقتي، فلما فرغ من الإخوان دعاني، فناولته سبحتي فقال لي :اذكر من كذا وكذا من ألف .

فنظرت فإذا كملت العدد لم يمكني أن أخدم بيدي، وإذا خدمت لم أوف به، ففتح الله بصيرتي فقلت: والله لأوثرن ذكرالله تعالى على الدنيا، فأطلعت صانعا للمرمة وجعلت أدور له الجعاب، وإذا فرغت جلست أذكر، فلما قطع الصانع الثوب عند العصر، ذهبت به إلى السوق ففضل لي فيه ست موزونات، وقبل ذلك كان يفضل لي ثلاث موزونات حين كنت أخدمه بيدي، فدفعت للصانع أجرته وفضلت لي ثلاث موزونات، وأنا أذكر الله بلا تعب خدمة، فبقيت على ذلك أياما ثم سألني سيدي الحاج الخياط وقال:كم عندك من المرايم ؟فقلت : واحدة .فقال: اعمل أخرى . فامتثلت أمره وأطلعت صانعين وجعلت أدور لهم الجعاب وأنا أذكر، فكان يفضل لي كل يوم عن أجرتهما ست موزونات.

-ومن كراماته رضي الله عنه، أنه مرض مرة فدخل إخوانه يعودونه مثل الشريف الزكي سيدي محمد القادري، وسيدي أحمد بن عمر وغيرهما فقال لهم:هذه فرقة من الجن جاؤوني، استجاروا بي من أخينا الحاج سعود، فإنه نفاهم من بلاده ونزلوا هنا بدار الدبغ، وهاهم يبكون ويرغبون أن أشفع لهم ويردهم إلى موضعهم.

والحاج سعود ببلاده باتوات بينهما وبين فاس نحو العشرين يوما، فخرج سيدي محمد القادري ومن دخل معه يعودونه، قاطعين الإياس منه وقالوا: قرينه خرج ولم يبقى إلا خروج الروح، فدخلوا عند صلاة العصر للقرويين، وجلسوا عند العنزة متألمين، وإذا بالحاج سعود دخل على باب الورد وقصدهم، فقاموا إليه وسلموا عليه وقالوا له: ما جاء بك؟

فقال لهم : طائفة من الجن كانوا بالبلاد يؤذون الناس، فنفيتهم وطردتهم ثم جاؤوا لمولاي قاسم واستجاروا به، فأراد أن يكلمني فيهم فجئت أعوده، وأطلعه على فعلهم الذميم، قوموا بنا إليه .

فخرجنا معه حتى دخلنا عليه فسلم عليه وفرح به، وجعل يكلمه فيهم فقال لهم : إنهم يؤذون الناس وينجسون الماء ويفعلون كذا وكذا . فقال له : تجاوز عنهم هذه المرة، وإن رجعوا إلى فعلهم فها أنت وهم .

- ولما أراد شيخنا العالم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري، أن يحج في خلافة أمير المومنين مولانا اسماعيل قدس الله روحه، أعرض عن مشاورة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا، سيدي ومولاي الطيب نفعنا الله به وبسلفه، وصار الفقيه

المذكور لمكناسة، بقصد ملاقاة مولانا اسماعيل واستئذانه في سفره للحج، على يد الكاتب السيد محمد العياشي وبواسطته، فوجد عليه مولاي قاسم وجدا كثيرا لكونه لم يشاور الشيخ مولاي الطيب، مع أنه لم يبلغ ما بلغ من العلم والجاه، إلا ببركته وصحبة تلميذه سيدي الحاج الخياط، وعلى يده فتح الله عليه في العلم، فإنه كان في صغره يخدم صنعة الدباغة، فلما عرف سيدي الحاج الخياط منعه من خدمة تلك الصنعة، وأمره بالقراءة فكان منه ماكان .

قال مولاي قاسم نفعنا الله به: فلاقاه الكاتب المذكور بالسلطان مولانا اسماعيل، واذنه بالسفر وودعه وأعطاه بغلة. وجاء فتجهز وحين سافر الركب من هذه الحضرة الإدريسية، خرج معه وخرج شيخنا الفقيه الأجل، سيدي محمد بن قاسم جسوس يودعه، فلما كان بسيدي علي بن حرزهم نفعنا الله به، حضر من قال لسيدي

محمد جسوس المذكور: إن أردت السفر مع الشيخ سيدي محمد ابن زكري، فها الدابة التي تركب عليها.

وقال له الفقيه ابن زكري: اما مؤونتك في الطريق فعلي، وانظر ما تترك لعيالك.

فأوصى من يقوم بأمر داره وسافر معه، فلما وصلا لتازة وأراد الركب السفر منها. ذكر لنا مولاي قاسم أن الشيخ مولاي الطيب نفعنا الله به، خرج صبيحة ذلك اليوم من داره وكان يوم الجمعة فقال: من سافر من العلماء مع هذا الركب للحج؟ فقالوا: سيدي محمد ابن زكري .فقال: لا ،يرجع يقرئ الناس العلم.

فخرج مولانا اسماعيل لصلاة الجمعة في ذلك اليوم فلما صلى قال: من سافر من العلماء للمشرق؟ قالوا: فلان. فأمر عبد الله الروسي بردِّه وقال له :يرجع يقرئ الناس العلم.

قال مولاي قاسم: أنا جالس عند المنارة الكبرى، بالقرويين تلك الجمعة والإمام يخطب، وإذا بروحاني وقف على رأسي وقال لي:إن سيدي مولاي الطيب، أمرني برد الفقيه ابن زكري من سفره. فقلت له:اعزم ولا تلتفت.

فما وصل وقت المغرب أو بعده بقليل، حتى ورد كتاب السلطان مولانا إسماعيل لأبي علي الروسي، يأمره برد الفقيه المذكور، فبعث من رده من سيدي علي بن مسامح. ولم يحج حتى افضت الخلافة لمولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل، في عام أحد وأربعين ومائة وألف(1141هـ) .

- وكان هذا الشيخ مولاي قاسم رحمه الله، كثيرا ما يذكرنا ويؤدبنا بهذه الحكمة وهي: من طلب السيادة قبل سلب الإرادة حرم الإفادة .

ومن الحكم لابن عطاء الله في هذا المعنى ما نصه:ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه.

وكان رحمه الله ينهى عن الفضول، وكثرة الكلام فيما لا يعني، ويذكر في ذلك حكايات منها ما نصه. قال رحمه الله : كان سيدي الحاج الخياط رحمه الله، ينهى عن كثرة الأكل والكلام فيما لا يعني ويقول:إن بعض اهل التربية نفعنا الله به، آخى بين مريدين من أصحابه، ولقنهما ذكرا واحدا من غير زيادة لأحدهما على الآخر، فكشف عن الغيب لأحدهما، وصفت مرآته وفتحت بصيرته، فجعل

يخبر أخاه بالمغيبات، وبقي الآخر على حاله فغبطه وقال له: أين الأخوة التي بيننا؟ فأنت تزيد علي بذكر سرا ولم تعلمني به.

فقال له : لا . فارتفعا على حالة المدعيين إلى شيخهما وأخبراه بحالهما، فقال لهما رضي الله عنه: إني غسلت مصباحكما وجعلت في كل واحد منهما زيتا وفتيلة، وكنت أطلب الله سبحانه في استيقادهما فاستجاب لي، غير أني يا فلان، رأيت زيت مصباحك اسودت (يخاطب الذي لم يفتح له).

قال رحمه الله: وكان ذلك الرجل المخاطب، لا يتحفظ في مأكله ومنطقه. ثم يقول لنا رحمه الله: تحفظوا ما استطعتم.

– قلت وفي "التحبير " للقشيري رصي الله عنه، في معنى قوله سبحانه وتعالى: [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى] ما نصه:ولا يصح من

العبد حقيقة التسبيح، الذي هو التنزيه لله تعالى حتى يتنزه عن أوصافه الذميمة، وينزه نفسه عن الشهوات، فإن صاحب الشهوات محجوب عن ربه .

روي أن الله تعالى أوحى إلى داوود عليه الصلاة والسلام (حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة) .

ثم قال بعد هذا بأسطر :ولقد حكي عن ابراهيم الخواص قال : كنت أعتقد أن لا آكل شيئا من الشهوات إلا الرمان، فاجتزت برجل به علة شديدة، وإذا زنابير تقع عليه وتأخذ من لحمه، فسلمت عليه فقال: عليك السلام يا ابراهيم . وعرفني من غير تقدم معرفة قلت له: أرى لك حالا مع الله، فلو دعوت الله حتى يخلصك من هذه الزنابير فقال: وأرى لك حالا مع الله يا إبراهيم فلو دعوت الله حتى

يخلصك من شهوة الرمان، فإن لسع الزنابير على النفوس أيسر من لدغ الشهوات للقلوب.انتهى نصه

-قلت : فإذا فهمت وفقني الله وإياك هذه الإشارة، علمت بأن كل مومن يجب عليه طلب الحلال ما استطاع، فإن لم يجده كان كمن أبيح له أكل الميتة في حال الإضطرار. ولهذا ذكر العلماء رضي الله عنهم، أن من شروط الإجابة في الدعاء، أكل الحلال وتجنب الحرام.

قال الفقيه العالم المحدث، سيدي عبد الغفور بن عبد الله النفزي ثم المرسي في كتابه " التبتل" في باب ما جاء في آداب الدعاء، وما يجب على الداعي أن يفعله ما نصه:

واحذر نفسك أن تدنسها الحرام،لا في ملبسك ولا في مطعمك ولا في مشربك ولا في منطقك، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال :

قال سعد : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجابا دعوتي.

قال:يا سعد طيب مطعمك تستجب دعوتك، فو الذي نفسي بيده، إن العبد ليتناول اللقمة من الحرام فيقذفها في جوفه، فما تستجاب له دعوة أربعين يوما .

قال يحيى بن معاذ : الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال.

وروي عن ابي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال:إن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبا، وأن الله عز وجل أمر المومنين بما أمر به المرسلين، فقال عز وجل :[يَا أَيُّهَا

الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَات وَاعْمَلُوا صَالِحاً] وقال: [يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَات مَا رَزَقْنَاكُمْ] .

ثم ذكر :الرجل يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يا رب،يا رب، أشعث أغبر مطعمه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام أنى يستجاب له .

ونقل هذا الحديث بهذا اللفظ، تقي الدين أبو الفتوح محمد المعروف بابن الإمام، في كتابه"سلاح المومن" وقال في آخره: رواه مسلم والترمذي.

وقال سيدي عبد الغفور في "التبتل" :ويروى أن رجلا أتى ابراهيم بن أدهم فقال: يا أبا إسحاق، أما علمت أن الله تعالى أمرنا بالدعاء، ووعدنا بالإجابة فما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟قال : لأربع خصال.قال : وما هن ؟ قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وصدقتم

النبي ρولم تتبعوا سنته، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بما فيه، ولعنتم إبليس وأطعتموه.

-ثم اعلم وفقني الله وإياك يا أخي، أنه ينبغي للمومن إذا يسر الله عليه في الحلال، أن لا يملأ بطنه حالة الأكل، فإن ذلك يضر بمعدته وتتولد منه العلل والآلام ويورث جسمه الأسقام، وقد حذر من ذلك الحكماء ،ويكفي في ذلك ما روي عن سيد أهل الأرض والسماء، سيدنا ونبينا ومولانا محمد ρ، وشرف وكرم ومجد وعظم وهو قوله:المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة. فقد جمع لنا ρ في هذه الكلمات الثلاث، الطب كله وقد شرحها الإمام المحقق، أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف

السنوسي رحمه الله، بشرح ألفاظه يسيرة ومعانيه كثيرة، قال في أوله رحمه الله ما نصه:

أما بعد فقد جرى بيني وبين إخوان لي ،نجباء في فضل صناعة الطب، وأنها شطر العلم لقوله ρ :العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان إلى أن ذكر بعض الإخوان ما قصد صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم ومجد وعظم في اختصاره لذلك، في ثلاث كلمات وهي المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة فوقع فيها من البحث، ما أعجب كل من حضر تفسير ما تضمنته كلمة خير البرية، من غوامض أسرار الصناعة الطبية.

وليعلم الناظر فيها، أني عند كمال تبييضها، رأيته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، وأبو بكر رضي الله عنه عن يمينه، وكأنهما دخلا في البيت الذي كنت فيه، وكان صلى الله عليه وسلم قد أفرغ

علي حلة من نور، فدهشت عند ما رأيت الأنوار وقد أحدقت بي، فإذا أنا بالذي عن يمينه وهو أبو بكر رضي الله عنه يقول: لا بأس عليك هذا سيدك قد أثابك على هذا الموضوع، فاستيقظت من منامي وأنا فرحان برؤيته، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، وأقسمت بالله على كل من وقعت بيده الرسالة أن يصونها، عن كل من ليس هو من أهلها، وأن لا يمنعها من يستحقها فإن فعل ذلك فالله مكافيه، وإن لم يفعل فالله مطالبه وسائله .انتهى نصه

قلت فيجب على كل مومن، أن يراعي أقواله وأفعاله وأحواله صلى الله عليه وسلم، ويأتي بالمستطاع من ذلك بعزم صادق ونية خالصة، وقد صنف لنا ساداتنا العلماء رضي الله عنهم في ذلك تصانيف، كل واحد منهم على قدر باعه و اتساع علمه، فمن ذلك ما

جمعه الشيخ الحافظ، الإمام المتفنن المحقق الزاهد العابد، محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي، رحمه الله تعالى ورضي عنه في كتابه "رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين" قال رضي الله عنه في باب فضل الجوع، وخشونة العيش والإقتصار على القليل في المأكول والمشروب والملبوس، وغير ذلك من حظوظ النفس، وترك الشهوات مانصه:

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ :اللهم اجعل رزق آل محمد قوتامتفق عليه. قال أهل اللغة والعرف معنى قوتا أي ما يسد الرمق.

ثم قال النووي بعد هذا بيسير: وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه، عن النبي ρ قال: خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . (قال عمران: فما أدري أقال ρ مرتين أو ثلاثة).

ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن متفق عليه .

وعن عبد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ : من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا . رواه الترمذي وقال حديث حسن. بسربه بكسر السين المهملة أي نفسه، وقيل قومه .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ρ قال: قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا، وقنعه الله بما آتاه. رواه مسلم.

وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري، أنه سمع رسول الله ρ يقول: طوبى لمن هدي للإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع. رواه الترمذي وقال حديث صحيح .

وعن أبي كريمة المقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ρ يقول:ما ملأ آدمي وعاءا شرا من بطنه فحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه. ر واه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.(أكلات أي لقم).

وعن ابي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال: ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا، فقال ρ :ألا تسمعون ألا تسمعون ان البذاذة من

الإيمان، ان البذاذة من الإيمان يعني التقحل. رواه أبو داوود .

البذاذة بالباء الموحدة والذال المعجمتين وهي رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس، وأما التقحل فبالقاف والحاء، قال أهل اللغة التقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه.

وقال رحمه الله في كتاب "اللباس" ما نصه: باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعا، وقد سبق في باب فضل العيش وخشونة العيش جمل تتعلق بهذا الباب .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال: من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخير من أي حلل الأيمن شاء يلبسها . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

ثم قال رحمه الله ونفعنا به ما نصه : كتاب الأمور المنهى عنها

باب تحريم الغيبة، والأمر بحفظ اللسان قال تعال: [وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً، أَيُحِبُّ أَحَدكَم أَنْ يَاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوه، وَاتَّقُوا الله إِنَّ اللهَ تَوَّابُ رَحِيمٌ]وقال تعالى: [وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ،إِنَّ السَّمْعَ و البَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] وقال تعالى ﴿مَا يَلْفَظ منْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبُ عَتِيدُ] .

اعلم أنه ينبغي لكل مكلف، أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاما ما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها شئ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ρ قال:من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت. متفق عليه.

وهذا صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل ؟ قال:من سلم المسلمون من لسانه ويده. متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ρ :لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي. رواه الترمذي .

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. قال: لقد سألت عن عظيم، وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان. ثم قال:ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل. ثم تلا: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفاً وَطَمَعاً] حتى بلغ [يَعْمَلُون] ثم قال :ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وسنامه ؟ الجهاد .

ثم قال :ألا أخبركم بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا . قلت : يا رسول الله وإنا لمواخذون بما نتكلم ؟ فقال: تكلتك أمك، وهل يكب الناس في

النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

- محل الحاجة من الكتاب المذكور: وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد ابن فرحون في كتاب "الوعظ" له ما نصه:

باب الكلام فيما لا يعني ، فإياك يا أخي والكلام فيما لا يعني ، فإنه من اشتغل بغير المهم أضر بالمهم، واعلم أن عمرك أنفاس معدودة، وكل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها، فالمتكلم بالفضول كمن أخذ جوهرة نفيسة، ورمى بها في مزبلة فهو ظالم، لأن معنى الظلم وضع الشئ في غير محله. قال القائل :

نفائس أنفاس اضعت وانها لمثمنة لو لم يكن ثم حرمان

قال الله تعالى: [لاَ خَيْرَ فِي كَثِير مِنْ نَجْوَاهم، إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَو إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] معناه ترك الكلام فيما لا يعني والإقتصار على المهم ففيه النجاة، وقال الله سبحانه:[يَا أَيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ، وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِر لَكُم ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً] .

و ذكر أنه سئل رسول الله ρ : عما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق .وقيل لرسول الله ρ : فما يدخلهم النار؟ قال: الأجوفان الفم والفرج.

وقال ρ :من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي، والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقال ρ : من سره أن يسلم فليلزم الصمت.

وقال ρ :إن الله عند لسان كل ناطق، فليتق الله امرؤ علم ما يقول .

وقال ρ : لا يستكمل أحدكم. أو قال امرئ :حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه.

وقال ρ :إن خطايا ابن آدم في لسانه. وقال ρ :طوبى لمن ذل في نفسه ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله.

فانظر كيف قلب الناس المعنى فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان .

وقال أنس رضي الله عنه: استشهد غلام منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فجاءت أمه فمسحت التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة.

فقال رسول الله ρ : وما يدريك لعله تكلم فيما لا يعنيه.

وفي حديث آخر، أن النبي ρ فقد كعبا، فسأل عنه فقيل: هو مريض. فخرج يمشي حتى أتاه، فلما دخل عليه قال: أبشر يا كعب.

فقالت أمه: هنيئا لك الجنة يا كعب .

فقال ρ : من هذه المتألية على الله ؟

قال : هي أمي يا رسول الله

فقال :وما يدريك يا أم كعب؟ لعل كعبا قال مالايعنيه أو منع ما لا يغنيه.

وقال ρ :من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به . فلذلك كان الصدّيق رضي الله عنه يضع في فيه حجرا، ليمنع به نفسه من الكلام. وقال علي رضي الله عنه في وصية لإبنه الحسن رضي الله عنه: يا بني دع القول فيما لا تعرف، والنظر فيما لا تكلف، وامسك عن طريق إذا خفت ضلالة، فإن الكف عن الضلال خير من الأهوال، وأمسك عليك لسانك فإن تلف المرء في منطقه. وأنشدوا:

أمسك لسانك أيها لا يقتلنك إنه ثعبان

الإنسان كم في المقابر كانت تهاب لقاءه

من قتيل لسانه الشجعان

وذكر أن عمربن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: إن ربكم تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم لم تحرض الناس على الخير،

وتدع ذلك من نفسك ؟ يا ابن آدم لم تذكر الناس وتنساني؟ يا ابن آدم لم تدعوني وتفر مني؟ إن كان كما تقول فاحبس لسانك واذكر خطيئتك واقعد في بيتك.

وفي الخبر أنه جاء في بعض صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام:(وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه حافظا للسنة، ومن حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا من ذكر الله تعالى.

ويحكى عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه : إذا رأيت قساوة في قلبك، أو وهنا في بدنك، أو حرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك .

ويروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام، بعث بعض عفاريته لبعض حوائجه، وبعث نفرا ينظرون لما يصنع ويخبرونه بذلك،

فاخبروه أنه مر على السوق، فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس، فسأله سليمان عليه السلام حين رجع فقال: عجبت من الملائكة ما أسرع ما يكتبون، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعملون.

وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه : يهلك الناس في خصلتين: فضول المال وفضول الكلام .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لأصحابه يوما : أخبروني لو كان معكم من يرفع كلامكم إلى السلطان، أكنتم تتكلمون في شئ ؟ قالوا: لا .قال: فإن معكم من يرفع حديثكم وهم الحفظة .

وهذه الإشارة لقوله تعالى: [إِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ] .

وقال بعض الحكماء :ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة، وترك فضول النظر يثمر الخشوع، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة لذة العبادة، وترك الضحك يثمر جلالة الهيبة، وترك الرغبة والحرص يثمران الجنة، كما أنهما أخرجا آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة، وترك التجسس يثمر صلاح العيوب، وترك التوهم في الله تعالى ينفي الشك والنفاق.

ثم قال رحمه الله: واعلم أن الحيات سمها في أنيابها، والآدمي سمه في لسانه، فما من شئ أعجب من الكلام منه ما هو ترياق نافع ، ومنه ما هو سم قاتل، فعليك بترياقه النافع وهو ذكر الله تعالى، واحذر سمه القاتل ، وهو التحدث فيما لا يعني. وأنشدوا :

الصمت نفع والكلام فلرب نوع من الكلام

مضرة فإذا أردت من شفاء لسقام قلبك

الكلام شفاءه فالقـرآن دواء

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : أقمت على باب رجل من الصالحين أربعين يوما وهو يخرج لكل صلاة، فلا أقدر أكلمه لأنه كالوا له، فأمسكته يوما وقلت له: يا عبد الله إن لي ببابك أربعين يوما طمعا في أن أكلمك .فقال لي: إن لساني سبع وأنا أخاف أن أرسلته أكلني.

ولذلك عظم رسول الله ρأمر اللسان فقال:من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة . فاللسان أخص بالقلب من جميع الجوارح لأنه المعبرعنه، فمن تكلم بشئ من الفضول وهو غني عنه، اسود بذلك وجه قلبه وأظلم، حتى ينتهي الظلام إلى إماتة قلبه،

فكل متكلم على حافظيه يملي، فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر، فتحفظ من ذلك جهدك.

واعلم أن حديثا لا يعني من الكلام، هو الذي لو ترك لم يفت بتركه ثواب، ولا استوجب بذلك عقاب، فليتذكر العبد عنه ذكر مالا يعنيه، إنه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة، لكانت له كنزا من كنوز الجنة، كما قال رسول الله ρ لأبي هريرة رضي الله عنه: يا أبا هريرة هل أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقال : ما أعظم فقري إلى ذلك يا رسول الله .قال : قل لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا مفر من الله إلا إلى الله . هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قال :الله ورسوله أعلم.قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا؛ هل تدري بعد ذلك ماحق العباد على الله تعالى ؟

قال : الله ورسوله أعلم .قال: حقهم عليه أن لا يعذب من فعل ذلك منهم.

جعلنا الله وإياكم ممن اشتغل بما يعنيه، وترك مالا يعنيه بمنه وفضله .من الكتاب المذكور بنصه

فائـــدة :

اختار الحكماء من الكلام أربعة آلاف كلمة، واختاروا من الأربعة آلاف أربعمائة، واختاروا من الأربعمائة أربعين واختاروا من الأربعين أربعة وهي:

لا تثق بالنساء ، الثانية يكفيك من العلم ما تنتفع به ،الثالثة لا يغرنك المال وإن كثر،الرابعة لا تكلف معدتك بما لا تطيقه.

وإنما أطلت الكلام في هذا المعنى، لأجل ما عمت به البلوى في هذا الزمان، من إسراع الناس فيه إلى الغيبة والنميمة والبهتان، ولم يبق لمن يريد السلامة من هذه الطامة العظمى، إلا الفرار والتعلق بالجناب الأسمى، سيد الأولين والآخرين والشفيع في المذنبين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ويرحم الله البوصيري حيث قال في همزيته:

يا رحيمـا بالمومنين إذا ذهلت عن أبنائها

ما يا شفيعا في الرضعاء أشفقت من

المذنبين إذا ما جد خوف ذنبها البرءاء

لعاص وما سواي هو صي ولكن تتكيري

العا وتداركه بالعناية استحياء م له بالذمام

مـادا أخرته الأعمال منـك دمـاء قدم

والمال عما كل يوم الصالحون والأغنياء

ذنوبه صاعدات ألف وعليها أنفاسه صعداء

البطنة المبطئة السير بدار بها البطان بطاء

فبكى ذنبه بقسوة قلب نهت الدمع فالبكاء

وغدا يعتب القضاء ولا مكاء لعاص فيما

عذر أوثقته من يسوق القضاء شردت

الذنوب ديون ماله في اقتضائها الغرماء

حيلة سوى حيلة المو ثق أما توسل أو دعاء

راجيا أن تعود أعماله ء بغفران الله وهي هباء

السو أو ترى سيئاته فيقال استحالت

كل أمر تعني به تقلب الأعيان فيه وتعجب البصراء

إلى آخر مدحه رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين يارب العالمين.

وقال غيره:

ألا يا رسول الله يا خير من

له مقام رفيع دونه الرسل

تحجب تشفع لنا نحن

العصاة وكن بنا رحيما إذا

الأعمال في الحشر تحسب

فقد جاء في الأنباء أنك

في غد تقول أنا لها وأنت

مقرب

فتسجد للمولى وتبدي

محامدا تنادى اشفع

وارفع فأنت المقرب ألا يا

إمام الرسل يا خير شافع

إذا ما لظى يوم القيامة

تلهب أغثنا أغثنا يا

شفيعا لمن عصى وإلا

فمن يرجى سواك ويرغب

ألم يرضك الرحمان في

سورة الضحى وحاشاك أن

ترضى وفينا معذب

واعلم انه يتأكد على كل مومن في هذا الزمان، اللجأ إلى الله تعالى بكثرة الدعاء، والتضرع إليه وطلب العافية والنجاة، فلا شئ أنفع من هذا .

قال ابن الإمام في كتاب "سلاح المومن" ما نصه:وعن حذيفة رضي الله عنه رفعه قال:ياتي عليكم زمان لا ينجوا فيه إلا من دعا دعاء الغريق. رواه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط الشيخين.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ρ :لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد . رواه الحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه واللفظ له، وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وعن أبي الدرداء واسمه عويمر رضي الله عنه ، أنه كان يقول:(جدوا في الدعاء فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

وقال الواحدي رحمه الله، أنشدنا أبو إسحاق الثعالبي رحمه الله:

وإني لأدعوا الله والأمر علي فما ينفك أن
ضيق ورب فتى سدت يتفرجا أصاب له في
عليه وجوهه دعوة الله مخرجا

وانشدوا :

لولم ترد نيل ما أرجوه من فضل جودك ما
من طلب عودتني الطلبا

ولبعضهم :

أيها السائل العباد إن لله بأيدي العباد

ليعطوا فسل الله ما وارج فضل المقسم

طلبت إليهم العواد

-واعلم رحمني الله وإياك، إن أفضل ما يستعان به على ترك الفضول، ويتقي به من الفتن والمحن هو العزلة والوحدة، ففيها السلامة من المصائب ومن ارتكاب المعايب.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه "رياض الصالحين" مانصه: باب استحباب العزلة عند فساد الزمان، كالخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها، قال الله تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: إن الله يحب العبد النقي الغني الخفي. رواه مسلم.

المراد بالغني، غنى النفس كما سبق في الحديث الصحيح .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رجل :أي الناس أفضل يا رسول الله ؟قال :مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

قال :ثم من ؟قال :رجل يعتزل في شعب من الشعب يعبد ربه .وفي رواية:يتقي الله ويدع الناس من شره متفق عليه.

ومن كلام سيدي يعقوب نزيل البيص:

الزم الوحدة ما بقي في

تتجـوا إن ود الناس خلة لنفاق

الناس أضحى أو لعلة

واترك الأصحاب صاحبا يهديك

الا لله

وبرزق الله فاقنع إن في الحرص

آخر الدنيا فناء مذلة ثم يبقى

الملك لله

وقال آخر :

الناس بحر والبعد منهم

عميق وقد سلامة لا

نصحتك فانظر تدركنك ندامة

وقال آخر :

عش خامل الذكر بين الناس فذاك أسلم في الدنيا

وارض به من عاشر الناس وفي الدين ولم يزل بين

لم تسلم ديانته تحريك وتسكين

وأنشدوا أيضا :

أرى الناس لا يغنوا عن فعول عليه في الأمور

الندي العلا وعدهم موتى وسلم وكبر عليهم

ولا تعبأن بهم أربعا ثم سلم

وقال سري السقطي: من عرف الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدوا ويروح في لاش، والعاقل عن عيوبه فتاش.

ولابن الخطيب البغدادي :

قد نادت الدنيا على لوكان في العالم من

نفسها كم واثق بالعمر يسمع وجامع فرقت

واريته ما يجمع

وأنشدوا :

إنما هذه الحياة متاع والغبي الجاهل من

ما قضى فات والمؤمل يصطفيها ولك

غيب الساعة التي أنت فيها

ولسيدي عبد الله عياش، رحمه الله ونفعنا به ما نصه:

الفرار الفرار لله منه ليس غير الإله يغنيك

لا يجار عليه وهو عنه فاز عبد به

مجير استجار فكنه

- ولنرجع ما كنا فيه من التعريف بصاحب الترجمة ،مولاي قاسم رحمه الله ونفعنا به.

كان رحمه الله عالي الهمة حسن الخلق، متواضعا متوكلا على الله لا يسأل إلا مولاه، كثير التعظيم لسيدنا ومولانا ادريس بن مولانا ادريس، حفيد رسول الله ρ. سمعته رحمه الله يقول : والله ما مررت على مزارة سيدنا ومولانا ادريس قط، إلا وأجد الشق الذي يلي قبره رضي الله عنه، كأنه ميت من هيبته وجلالته نفعنا الله به.

-وسمعته يقول: طلب مني بعض إخواننا الأشراف، أن أرافقه لزيارة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي ومولاي الطيب، وكان مقصوده بتلك الزيارة بعض الطمع فكرهت ذلك، وكنت قريب عهد بزيارته نفعنا الله به، فاعتذرت له فلم يقبل مني عذرا، ولم يكن بيدي في تلك

الساعة شئ أتركه لنفقة عيالي في غيبتي، ولا ما أستعين به في طريقي، فقلت أنظر من يسلفني مثقالا أترك بعضه لعيالي، وبعضه لما عسى أن أحتاج إليه في طريقي، وكان بعض الإخوان معتمرا بحانوت بحرم مولانا ادريس وكان موسرا، فلما وقفت بباب حانوته وعزمت أن أكلمه يسلفني مثقالا، فقلت في نفسي لعله يتهمني، ويقول إنما أراد إعانتي وصلتي له بهذه الدارهم فقط ، فرجعت عن ذلك وقلت لا أطلب أحدا إلا سيدي ومولاي ادريس فتوجهت إليه، فما انفصلت عن باب حانوت ذلك الرجل إلا بخطوة أو خطوتين، ووجدت يدي اليمنى مسدودة، ففتحتها فإذا فيها عشر أواقي دراهم جيدة ليس فيها موزونة زائفة، فقلت: كثر الله خيرك يا سيدي ما هي بأول بركتك.

قلت والشئ بالشئ يذكر، فمن بركات هذا الولي الكامل، الوارث من جده صلى الله عليه وسلم جميع المكارم والفضائل، اني كنت كلما عسر علي أمر أو قابلتني شدة وعسر، تعلقت وتوسلت به فيفرج الله عني ويوسع علي في الحين. وكان في بعض السنين ركبني دين، فشغلني وأحزنني فأنشأت أبياتا في التوسل به، وبأبيه وأحفاده وبنيه فقضاه الله عني وهي:

أمولاي إن الدين أثقل لي وأمسكت عن طعم لذوق له

ظهرا بإدريس أرجو أن تفرج برا وترزقني يسرا وتعظم

كربتي وبابنه قطب العارفين لي أجرا سميا له ربي

بأسرهم وبابنهما شمس تؤمنني مكرا وشاذلهم

الهدى ابن مشيشهم بحق هب لي المفاز مع البشرى

ممد الكل خير مشفع محمد المختار خير الورى

طرا

فقضاه الله عني بلا كلفة ، وفضائل هذا القطب رضي الله عنه لا يأتي عليها حصر، ومن أراد استقصائها لا يجد لبحرها ساحلا، ويفني عمره في عدها ولا يأتي إلا باليسير من تلك الفضائل.

وقد ذكر لي من يوثق بنقله، أن بعض علماء عصرنا كان إذا أضره الفئران في كتبه، شكاهم لهذا القطب الكامل، فيكف الله عنه شرهم ويرفع عنه ضررهم. ومن غريب ما رأيت من صبيان هذا البلد، من التعظيم لهذا الولي المبارك الكريم ، أني كنت واقفا عند مزارته أزور، وإذا بصبي من نحو ستة أعوام أو سبعة، جاء لحائط

المزارة وجعل يمرغ جسده عليها، ويمسح ظهرا وبطنا وجنبا بها، ثم قبل الحائط وانصرف، فتعجبت من أدبه مع صغر سنه.

وأنشدوا

اختبر حالي تجدني من أصح الناس

أحببت قوما كراما مخبر شرفوا

كبروا قدرا وذكرا معنى ومنظر

هكذا قد قال حقا فهم أزكى وأطهر

كل من يهوى حبيبا سيد الخلق وبشر

فمع المحبوب

يحشر

فأكابر الأولياء يأتون لحرمه من أقصى البلدان زائرين، وبقرابته من رسول الله ρ مستشفعين ومتوسلين، حشرنا الله في زمرته وأماتنا على محبته آمين يارب العالمين، ولقد أحسن خالي الشريف المنيف، الزكي العفيف الفقيه العالم البركة، مولاي يحيى بن الشريف المعظم المقدس المنعم، مولاي عبد الواحد الشريف الشبيهي الحسني الجوطي، حيث قال في أبيه مولانا ادريس الأكبر، رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

إن ضقت ذرعا ولم تصل

إلى ارب فلذ بشيخ عظيم

كامل الشيم إمام مغربنا

ادريس الأكبر من بدت

فضائله سبقا بلا وهم

أكرم به من شريف نجل

فاطمة فوق السماكين

والنسرين مستتم إمام

عدل مجاهد ومجتهد

كذا شهيد ولي للتابعين

نمي فما لفرد سواه

بعده ثبتت ببابه

وليس يحصر فضله لذي

قلم فأنخ واسأله مبتهلا

فز بذخر وسؤل عنه لم

ترم بحبله فاعتصم فالله

أورثه مكانة من رسول

الله لم ترم

ولما نزع حرم مولانا ادريس بفاس، من يد الشرفاء الذين كانوا به في سنة تسعة وستين، لأجل زلة وقعت منهم، وقتلهم الناس بالحرم المذكور، فنزع الحرم المذكور من يدهم بأمر السلطان المعظم، مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين، مولانا إسماعيل قدس الله روحه.

وسكنت بدار القيطون بالحرم المذكور، كتبت كتابا لشيخنا ووسيلتنا لربنا سيدنا ومولانا الطيب، وأعلمته بذلك مع أخينا في الله السيد أحمد القرطبي، وطلبت منه الدعاء فأجابني بما نصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

من عبد الله تعالى محمد الطيب بن محمد بن عبد الله

الشريف الحسني، إلى مقام الشريف الأجل العالم الأفضل مولاي

حمدون، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد الله

تعالى ونسأله لنا ولك التوفيق وبعد .

فالحمد لله على زيادة الخير، فهذه منّة من الله وفضيلة، فقد

فرحنا لذلك وسرنا غاية، وأنت تهلّ في سيدي مولاي ادريس وهو

يتهلّ فيك، ولا تنسانا من الدعاء به كما نحن ندعو لك، والله يسبل

ستره علينا وعليك، والسلام عائد عليكم من محبكم محمد بن

منصور، ويقول لك الحمد لله على هذه الساعة.

- فهذا الكتاب عندنا والحمد لله مع غيره من رسائل هذا الشيخ المبارك موجود ومحفوظ، وإنما أثبتناه تلذذا بخطابه وفرحا بدعائه، ولما فيه لنا من البشارات، وإحالته لنا على محل قضاء الحاجات، بقوله لنا تهلاّ في سيدي مولاي ادريس وهو يتهلاّ فيك، فالله تعالى يجازيه وبجميل فضله يعامله ويكافيه .وأنشدوا :

حديث ذاك الحما روحي فلا تلمني إذا كررت

وريحاني روض به الروح ألحاني وحضرة مالها في

والريحان قد جمعا الحسن من ثاني

- وكانت وفاة مولانا قاسم رحمه الله صاحب الترجمة، يوم الإثنين سابع ذي الحجة الحرام، متم تسعة وأربعين ومائة وألف(1149هـ) ودفن من الغد بداره بأقصى درب الأمانة من حومة النجارين من فاس القرويين، وقبره بها مشهور يتبرك به نفعنا الله به وبأشياخه آمين.

ذكر مناقب الشريف مولاي أحمـد

شقيق مولاي قاسم المذكور

في الترجمة قبـل هذه

نفعنا الله بهما

– فإنه رحمه الله كان أسن من أخيه مولاي قاسم ، لكن مولاي قاسم سبقه بالأخذ عن ساداتنا شرفاء وزان ، وصحب سيدي الحاج الخياط الرقعي المذكورقبل، وكان ينكر في أول أمره على أخيه مولاي قاسم ، خوفا عليه لصغر سنه ، ويبحث عنه إذا غاب مع الفقراء ويوبخه، فاحتال عليه مولاي قاسم، حتى لاقاه مع سيدي الحاج الخياط المذكور، فلما وقع بصره عليه أخذ بمجامع قلبه، وأخذ عنه ورد ساداتنا الشرفاء نفعنا الله بهم، فكان من أكابر أولياء الله العارفين، ومن عباد الله المتقين. وكان إذا ذكره أخوه مولاي قاسم

بعد وفاته أثنى عليه كثيرا، وكان رحمه الله صاحب أحوال ومن الذاكرين الله على كل حال، وكان هجيراه الصلاة على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر أن ورده كان من هذه الصلاة (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) سبعون ألف مرة في كل يوم.

– سمعت أخاه مولاي قاسما وغيره من الفقراء المعاصرين له، يحدثون عنه قالوا: تعلق قلبه بالجهاد فاشترى سلاحا، وخرج قاصدا الثغر سبتة ، فلما كان بوادي المالح خارج باب الجيسة من فاس القرويين، سمع هاتفا يقول له: (ارجع وإنما المراد منك، الصلاة على

النبي صلى الله عليه وسلم، كل صلاة بسبعين ألفا) فرجع وباع السلاح وجلس.

-فإن قيل ما وجه رجوعه عن هذه الطاعة العظيمة القدر، بعد توجهه إليها والتلبس بمبادئها، قلت لعله لم يطلع في أول الأمر على المراد منه وما هو ميسر له ، فلما سمع هذا الهاتف فهم عن الله تعالى، ما هو ميسر إليه ومقدرا له، كما ورد في الحديث الصحيح: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ويؤيد هذا المعنى ما رواه الترمذي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ρ :ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ؟

قالوا : بلى

قال : ذكر الله .

فقال معاذ بن جبل : ما شئ أنجى من عذاب الله من ذكر الله ؟ قال ابن الإمام في كتابه سلاح المومن. رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك، وقال صحيح الإسناد .

- وروى الترمذي أيضا عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟

قال :الذاكرون الله كثيرا

قلت يا رسول الله :ومن الغازي في سبيل الله ؟

قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما، لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة .

- وقال ابن الإمام أيضا في كتابه "سلاح المومن" : وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت : [وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ] قال كنا مع رسول الله ρ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال : أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مومنة تعينه على إيمانه .رواه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن.

-وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ρ قال: الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة . رواه مسلم .

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ρ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله.

ذكر مناقب الشيخ العارف بالله أبي عبد الله

سيدي محمد بن الفقيه من

أحفاد سيدي الحسن بن العافية دفين

قرية أزجن من قبيلة

مصمودة

أخذ عن شيخه مولانا عبد الله الشريف نفعنا الله به، المذكور أول هذا التقييد، ورباه صغيرا وكان ياتيه من القرية المذكورة إلى

وزان، فيصلي معه صلاة الفجر ويلازمه يومه ذلك، ويبذل نفسه في خدمته إلى أن يصلي معه العشاء ويروح إلى منزله، فكانت أمه تخاف عليه لأجل ذهابه ورواحه ليل،ا فجاءت إلى سيدنا ومولانا عبد الله فقالت له : يا سيدي ولدي صغير وأنا أخاف عليه بالليل.

فقال لها نفعنا الله به : إن خاف لا يأتي وإن أتى لا يخاف.

فتركته وامنت من الخوف عليه. ولم يزل في خدمة الشيخ مولانا عبد الله نفعنا الله به، هو وسيدي الحاج الخياط الرقعي السابق ذكره، إلى أن توفي الشيخ مولانا عبد الله ، فولى بعده ولده سيدي محمد، فاستخلفه سيدي الحاج الخياط كما سبق ، وتوقف سيدي محمد هذا عن استخلافه.

– فذكر أنه كان يقول : ما توفى الشيخ مولانا عبد الله، حتى قسم سره بيني وبين ولده سيدي محمد، فأخذ ولده النصف وأخذت النصف .

فبسبب ذلك وقع له بعض الفتور، ولم يؤذن له في قبول الخلق، وكنت أسمع ذلك من أصحاب ساداتنا الموثوق بهم، مع كثرة ثنائهم على هذا السيد، سيدي محمد رحمه الله وذكر كراماته . فكان يبقى شئ في نفسي من ذلك حتى سمعت ذلك من شيخنا مولاي الطيب، قال رحمه الله: كان سيدي الحاج الخياط الرقعي، من أكابر أولياء الله وكان مأذونا له في قبول الخلق، وكان سيدي محمد بن الفقيه، من أكابر أولياء الله ولم يكن مأذونا له في قبول الخلق.

-ولهذا الشيخ سيدي محمد بن الفقيه رحمه الله صاحب الترجمة، كرامات مشهورة وأحوال شريفة مذكورة نفعنا الله به .

فمن كراماته رضي الله عنه، ما حدثني به مولاي قاسم رحمه الله قال :

كان يوم كثير المطر، وكان سيدي محمد هذا غائبا في داره بأزجن قال: فجئت لصلاة المغرب بجامع القرويين، فلما وصلت لباب الشماعين، وجدت سيدي محمد هذا خارجا من الباب المذكور وهو غضبان يتكلم وحده، فقلت في نفسي: متى جاء هذا السيد؟ فسلمت عليه وقلت: ما شأنك يا سيدي؟

قال : حضرت مع هؤلاء القوم (يعني أهل التصريف في الغيب) بباب المحراب وأشرت عليهم في أمر، فلم يلتفتوا إلي ولم يسمعوا كلامي، فخرجت وتركتهم.

فلما كان من الغد لقيت بعض أصحابه فقلت له : متى جاء سيدي محمد ؟

فقال : هو غائب إلى الآن ولم يات .فقلت : بالأمس لقيته بباب القرويين .فقال : شبهته .فعلمت أنه جاء بالخطوة، ورجع بها نفعنا الله به .

– ومن كراماته رضي الله عنه ونفعنا به، ما حدثني به مولاي قاسم أيضا قال رحمه الله : لما توفي سيدي الحاج الخياط المذكور قبل ،طلب بعض الفقراء من قلة أدبهم من الشيخ سيدي محمد، أن يولي عليهم مكانه الشريف سيدي مالك من شرفاء مصمودة، وكان ساكنا بالمنية من حومة قنطرة بوروس من فاس القرويين ، فولاه

عليهم وصاروا يجتمعون عليه، واشتغلوا بالفضول وكثرة الكلام فيما لا يعني.

قال مولاي قاسم : فعزمنا على الخروج لزيارة وزان مع سيدي مالك المذكور، فلقيني ولد أخيه سيدي التهامي فقال لي : خذ هذه التمرة من زاد سيدي مالك للبركة .

فأخذتها من يده وجعلتها في جيبي لكوني كنت مشغولا حينئذ، فلما وصلنا لوزان وتلاقينا بالشيخ سيدي محمد ونزل الركب . فلما كان من الغد انعزلت بموضع ونزعت ثيابي، فوقعت يدي على التمرة فأخرجتها من جيبي وأكلتها ، فما وصلت لجوفي حتى سقطت في مكاني، وييس ريقي في فمي وصرت كالعود اليابس لا أتحرك، غير أن عقلي معي. فطلبني الفقراء فلم يجدوني، فبحثوا عني حتى وجدوني على الحالة المذكورة، فحملوني إلى الخباء وأعلموا مولاي

التهامي بحالي، فجاءني نفعنا الله به فوجدني على تلك الحالة، فنظر إلي فقال: الرجل مسموم، انظروا سيدي محمد بن الفقيه .فدعوه فجاء في الحين، فقال له مولاي التهامي : لعل أخاك هذا مسموم فداوه يا سيدي محمد .

فقام من الخباء وخرج عن الركب، ومعه السيد عبد الله الخياط والمسن السيد محمد البوري ،وأهوى بيده إلى الأرض وأخذ قبضة من الربيع، ودخل على مولاي قاسم وجعل يحك منها في أسنان مولاي قاسم ويقول: ابلع ريقك .فجعل يبلع ريقه .

قال: فانقلب بطني وتحرك، فخرجوا عني وجاءني إسهال حتى دفعت جميع ما في بطني ، فجلست واسترحت والحمد لله.

فقال البوري : غدا أملأ خرجي من هذا الربيع وأداوي به الناس بفاس، وهذا رزق ساقه الله لي . فلما أصبح الصباح خرج عن

الركب وجعل يطلب ذلك الربيع فلم يجده، فقال لسيدي محمد : يا سيدي محمد خرجت بالأمس لطرف الركب، وقطعت هذه العشبة وأنا معك، واليوم أنا طلبتها فلم أجدها فكيف الحال؟

فقال له رحمه الله : مسكين عمي البوري، تلك العشبة لا تنبت إلا بالهند، ومنها داوى الرجال أخاهم.

– وحدثني أخونا الشريف الأجل المرابط الأفضل، مولاي عبد الله بن مولانا أبي طالب الشريف الشهير بالكتاني، وكان من أصحاب هذا الشيخ سيدي محمد بن الفقيه قال:

كنت أعرف بعض الطلبة، وعلمني صنعة التقصيص أربع موزونات في كل يوم، وما أذكر من الأسماء عليها وبخورها، فأحكمتها واختبرتها فعلمت صحتها، فجئت سيدي محمدا وأعلمته بذلك، رجاء أن يأذن في ذلك ويدعو لي، فنهاني عن ذلك وقال لي :

لا تعد لما صنعت ولا تفعله، فإن فاعل ذلك إنما يأكل الحرام، لأن صنعة التقصيص إذا زجر الجني الذي يأتي بذلك، يختطفه من أي موضع أمكنه لا يبالي فيطعمه الحرام، وصنعة التدبير لا يحل أكله إلا إذا قال هذه صنعة يدي، وإذا لم يبين كان غاشا للمسلمين، وطريقة شيخنا سيدي مولاي عبد الله الشريف نفعنا الله به هي:ذكر الله وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال: فتركت ذلك ففتح الله علي بفضله وكرمه.

– وقال لي أيضا مولاي عبد الله المذكور : علمني هذا الشيخ المذكور هذه الصلاة على النبي ρ وهي : " اللهم صل على سيدنا محمد صلاة، تخرجني من ظلمات الوهم وتكرمني بنور الفهم وتوضح لي ما أشكل، حتى يفهم إنك على كل شئ قدير" .

وقال إنه أخذها عن شيخه سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا، مولانا عبد الله الشريف وقال: من داوم على قراءتها سبعة أيام خمسمائة مرة في اليوم، رأى لذلك سرا عظيما في دينه ودنياه.

- وكانت وفاة هذا الشيخ رحمه الله، يوم الإثنين بعد الزوال سابع ربيع الأول، عام ستة وثلاثين ومائة وألف (1136هـ) ودفن بزاويته التي بعقبة حومة العيون من فاس القرويين، وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به .

نفعنا الله به آمين وصلى الله على سيدنا محمد، خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خـــاتمة

مشتملة على أصول طريقة سيدنا ومولانا عبد الله الشريف، وأوراده رضي الله عنه ونفعنا ببركاتهم.

- اعلم وفقني الله وإياك أن الشيخ مولانا عبد الله، كان رضي الله عنه عارفا بطريقة الصوفية رضي الله عنهم، ماهرا بأحوال التربية. بيّن رضي الله عنه طريقته التي يسلك اتباعه عليها، ووضح

مكامنها ومأمنها ومخوفها، وكشف عن مكامن العدو الشيطان الرجيم فيها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة .

قال رضي الله عنه : *" أصول طريقتنا ثلاثة : الوقوف عند الحدود بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لقوله تعالى:* [*وَمَا ءاتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا*] ، *ومجانبة أهل الشر وخدمة سيدنا ونبينا ومولانا محمد* ρ" .

– قال سيدي عثمان بن عمر العجمي، وكان من تلامذة الشيخ مولانا عبد الله: إذا تأملت هذه الأصول وأمعنت النظر فيها، وجدتها محيطة بجميع الأمور التكليفية، وجامعة لمعاني العبادات الشرعية لا سيما الأصل الأول، فإنه متضمن ضرورة للأصلين الأخيرين لا

ندرجاهما تحته، إذ مجانبة أهل الشر داخلة في اجتناب النواهي، وخدمة المصطفى صلى الله عليه وسلم داخلة في امتثال الأوامر، لكن لما كان استخراج الأمور الجزئيات من الكليات، يعسر على كثير من الأذكياء فضلا عن البلداء، صرح الشيخ رضي الله عنه بذكرهما وعطفهما على الأول، من عطف الخاص على العام.

فإن قيل: لم خص هاتين الجزئيتين دون غيرهما من الجزئيات؟ قيل لما كان غيرهما متوقفا عليهما في الغالب، ومندرجا ومطويا تحتهما، لكون غالب الأعمال لا يرجى لها القبول، إلا إذا كان مشتملا على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وترك المعاصي غالبا لا يتمكن منه إلا بمجانبة أهل الشر، صارتا لأجل ما ذكر

كالأصل لغيرهما من الجزئيات لتوقف غيرهما عليهما، فقال الشيخ رضي الله عنه: ومجانبة أهل الشر .

قال سيدي زروق : والتربية لا ترتفع أبدا، لكنها تارة تجري بالإصطلاح من الخلوات والتربيات ونحوها، وتارة بحفظ الأصول فقط، وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا ،وتارة برفع الهمة وقوة الحزم والعزم، وتارة بمجرد التلقي، وهذه الأمور لا تزال أبد الأبدين، غير أن الإصطلاح قد انقرض في هذه الأزمنة وارتفع إنتاجه، حسبما دلت عليه العلامات وشهد به الإستقراء .

قال بعض المشايخ رضي الله عنهم : ارتفعت التربية بالإصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولم يبقى غير الإفادة بالهمة والحال، فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان، يعني الجادة مع إلزام الصدق وبالله التوفيق.

- قال أبو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه : من ألزم نفسه آداب السنة، نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه.

روي عن بعض الصالحين أنه سئل عن سبب توبته فقال: كنت دهقانا فاحتاج زرعي إلى السقي، وقد كنت حملت قمحا إلى الطاحون فوثب حماره وضل، فقلت: إن اشتغلت بطلب الحمار فاتني السقي، وإن اشتغلت بالسقي فاتني الحمار. وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي والجمعة مسافة بعيدة، فبدأت بالسعي إلى الجمعة وتركت السقي والحمار، فلما قضيت الجمعة مررت بزرعي وقد سقي، فسألت عمن سقاه ؟ فقيل لي: إن جارك أراد أن يسقي زرعه، فغلبته عينه فانفتق السد فدخل الماء إلى زرعك. فأتيت إلى داري

فإذا بالحمار على المعلف فقلت: من رده؟ فقالوا: مال عليه الذئب فجاء إلى الدار. فلما دخلت الدار وجدت الدقيق موضوعا، فسألت عنه فقالوا: إن الطحان طحنه بالغلط، فلما علم أنه لك أتى به إلى منزلك.

فحمدت الله تعالى المنعم بذلك كله فقلت: ما أصدق ما يقال من كان لله كان الله له، ومن أصلح لله أمرا أصلح الله أمره؛ فتركت الدنيا وتبت إلى الله تعالى.

- قوله (ومجانبة أهل الشر) قال شارحه: أي مباعدتهم، وهذا الأصل من أهم ما يشتغل به العاقل بمراعاته وحفظه، وهو وإن كان مندرجا في الأول، فقد جرده الشيخ للإعتناء كما تقدم، وقد أكثر الشيوخ رضي الله عنهم الكلام فيه لكثرة ضرره، فقد قال الشيخ أبو مدين:

دليل تخليطك صحبتك للمخلطين، ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين.

وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه في "التنوير" : قلّ ما تصفوا لك الطاعة وتسلم من المخالفات، مع الدخول في الأسباب لاستلزامها، لمعاشرة الأضداد ومخالطة أهل الغفلة والبعاد، وأكثر ما يعينك على الطاعة رؤية المطيعين وأكثر ما يدخلك في الذنب رؤية المذنبين.

- وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علمني عملا يدخلني الجنة. فقال ρ :اعمل بعمل الأبرار ولا تتبسم في وجوه الفجار.

وقال عليه الصلاة والسلام : المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . وقال عليه الصلاة والسلام: الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله ρيقول:مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يصبك من عطره أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل الحداد إن لم يصبك بشرره اصابك من دخانه .

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة بصفات من قارنها، فصحبة الغافلين معينة لها على وجود الغفلة.

- ومن كتاب الزهد لأبي داوود ما نصه : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به

الظن ،ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، وما كافيت من عصى الله فيك مثل أن تطيع الله فيه، وعليك بصالح الإخوان أكثر اكتسابهم ،فإنهم زين في الرخاء وعدة عند البلاء ،ولا تسأل عما لم يكن حتى يكون فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ولا تهاون بالحلف بالله فيهنك الله وذل عند الطاعة واستغفر عند المعصية ولا يكن كلامك بذلة إلا عند من يشتهيه ويتخذ غنيمة ولا تستعن على حاجتك إلا من يحب نجاحها، ولا تستشر إلا الذين يخافون الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره وتخشع عند القبور.

وقال عليه الصلاة والسلام: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضى الله بسخطهم .

و قال أبو نعيم رحمه الله : لا ينبغي أن يصحب إلا من يقتدى به في دينه وخيره، لأن قرين السوء يردي. وأنشدوا :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقرن يقتدي

وقال غيره:

اختر لصحبتك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

- ثم اعلم أنه يجب على المرء حفظ مروءته وعرضه، فليتلطف في مجانبة من ذكر، بحيث لا يجتمع معهم ولا يجالسهم، فإن راموه بذلك التمس عذرا وطلب من ذلك مخرجا، ولا يعبس في

وجوههم ولا يشتمهم بلسانه ويؤذيهم، فيكون ذلك سببا لإذايته وهتكا منهم لمروءته، ولكن يفعل كما قال الشاعر:

وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

- قال الشافعي رضي الله عنه : الإنقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم، والإنبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق؟ قال : لا ، ولكن قد يكون نفورا .قيل: فهل يستوحش منه ؟ قال: لا ، ولكن يهاب.

- وقال بعض الحكماء: داء الإنسان بالناس، أعظم من دائه بالسباع العادية والأفاعي الضارية ، لأن التحفظ من ذلك ممكن، ولا يمكن التحفظ من الناس أصلا، وللناس في هذا المعنى كلام كثير نظما ونثرا .

واعلم أن العدو العاقل خير من الصديق الأحمق ، ولا خير في صحبة الجاهل لأنها ضرر كلها، لأنه إذا أراد أن ينفعك ضرك وهو لا يعلم؛ومثال ذلك ما ذكر عن رجل صياد النحل كان يطلب العسل في العيران والصحاري فيطول مكثه في الجبال فانس به دب فجعل كل واحد منهما يأنس بصاحبه فأقاما ما على ذلك دهرا ، فلما كان يوم نام الرجل في القائلة فاجتمع على وجهه الذباب فلما رأى الدب الذباب عن وجهه مرة بعد مرة فكلما طار عاد إليه فلم يزل كذلك

يطرده ويعوده حتى حنق ، فلما أعياه أمره قال في نفسه هذا الذباب يوذي صاحبي ولا أقدر على طرده عنه فوالله لأقتلنه كله .فتركه حتى اجتمع على وجه الرجل فقام وأخذ صخرة كبيرة فوازى بها وجه الرجل ليقتل بها ما اجتمع على وجه الرجل من الذباب وقال اصبها عليه فيموت بأجمعه وأريحه منه ثم صب الصخرة على وجهه فطار الذباب جميعه يمينا وشمالا ووقعت الصخرة على وجهه فخرج دماغه على أنفه وأدنيه فمات الرجل ولم يصب الذباب شئ. فكذلك الجاهل إذا أراد أن ينفعك يضرك بجهله وهو يظن أنه قد ينفعك.

ثم اعلم أن الأحد بالشئ نهى عن ضده فإذا أمر بمجانبة الأشرار فقد جاء الترغيب في موالاة الأخيار .قال أبو عبد الرحمان الساحلي رضي الله عنه: رأيت ميسرة بن أسلم في المنام فقلت:أصلحك الله طالت غيبتك .

فقال :السفر طويل. قلت : فما الذي قدمت عليه ؟قال : رخص لنا لأنا كنا نفتي بالرخص. قال : فما تأمرني به؟قال : اتباع الآثار وصحبة الأخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار.

- وقيل لبعض الصالحين : إنا طحنا قمحا مسوسا فطحن معه السوس، وطحنا فولا مسوسا فخرج السوس حيا من تحت الرحا . فقال: صحبة الأكابر تورث السلامة.

قال الثعالبي: وحديث المرء على دين خليله . رواه أبو داوود وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما.

وقال سيدي ابن عباد في شرح الحكم عند قول ابن عطاء الله: من علامة موت القلب مانصه :

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت، فلما حادى بنا ورأى جماعتنا أناخ راحلته، ثم مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع ، فسيرتها إليك وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري لا أسألك إلا عن اثنتين أسهرتاي ؟فقال له النبي ρ : من أنت؟ قال: زيد الخيل.قال : بل أنت زيد الخير سل ، فرب معضلة قد سئل عنها .قال: جئتك أسألك عن علامة الله في من يريده، وعلامته في من لا يريده؟ فقال له النبي ρ : بخ ، بخ ، كيف أصبحت يا زيد ؟قال : أصبحت أحب الخير وأهله، وأحب أن يعمل به وإذا فاتني حزنت عليه، وإذا عملت عملا قلّ أو كثر أيقنت بثوابه.قال ρ :هي ، هي بعينها يا زيد ولو أرادك للأخرى،

لهيأك لها، ثم لا يبالي في أي واد هلكت. قال زيد : حسبي ، حسبي.ثم ارتحل ولم يلبث.

- ومن "قوت القلوب" ما نصه : وفي الخبر إذا أراد الله بعبده خيرا رزقه خليلا صالحا، إذا نسي ذكره وإذا ذكر أعانه .

وقال بشر : انصرفت عن قلبي شهوات الدنيا إلا الألفة.

يقال إن دوام الألفة لا يوجد إلا في أهل الكرم ،وحسن العشرة لا يوجد إلا في أهل الأدب.

وروي في الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: "يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو".

وفي خبر عن داوود عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى أوحى إليه :" يا داوود مالي أراك منتبذا وحدانا "؟

قال : إلهي قليت الخلق من أجلك .

فأوحى الله تعالى إليه : يا داوود كن يقظانا مرتادا لنفسك إخوانا، فكل خدن لا يوافقك علىمسرتي، فلا تصاحبه فهو لك عدو يقسّي قلبك ويباعدك مني.

-وأوصى علقمه القطاري ابنه حين حضرته الوفاة فقال : يا بني إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك وإذا صحبك زانك، وإذا قعدت بك مؤونة أعانك، وإذا مددت يدك بخير مدها، وإذا رأى منك حسنة عدها وإذا رأى منك سيئة سدها . يا بني

اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإذا حاولت أمرا مدك وإذا تنازعتما آثرك.

وأنشدوا لسيدنا علي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من ومن يضر نفسه

كان معك ومن إذا لينفعك شتت فيك

ريب الزمان صدعك شمله ليجمعك

-ومما أوصى به سيدنا علي رضي الله عنه بنيه، سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا محمد بن الحنفية رضي الله عنهم، عند حضور وفاته ما نصه :

" أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق

والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء. يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، ومن أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله لم يحزن على مافاته، ومن سل سيف بغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن أعجب برأيه ضل، ومن جالس العلماء وقر، ومن خالط الأنذال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار . يابني العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في

الصمت وواحدة في ترك مجالس السفهاء .يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر . يا بني لا شرف أعز من الإسلام، ولا كرم أعلى من التقوى . يا بني الحرص مفتاح البغي ومطية النصب، طوبى لمن أخلص لله عمله، وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله".

- وقول الشيخ مولانا عبد الله رضي الله عنه ونفعنا به، في الأصل الثالث وخدمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال العالم العلامة سيدي المهدي الفاسي، في شرحه لدلائل الخيرات في أول الخطبة ما نصه: ثم وجه أهمية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حق مريد، القرب من مولاه، والوصول إليه بالخروج من ظلمات الطبع وسجن الهوى، إلى فضاء الشهود ومرضاة المولى، من وجوه منها ماورد في فضلها ووعد عليها من

جزيل الأجل وعظيم الذكر، وقد ورد عنه ρ ، أنه قال في خطبته في حجة الوداع:حجوا حجة الفرض فإنها أعظم من عشرين غزاة في سبيل الله، وإن غزاة بعدها أعظم من عشرين حجة، وإن الصلاة علي يعادل ثوابها الحج والجهاد.

وقال ρ :من سره أن يلقى الله وهو عنه راض فليكثر الصلاة علي.

وقال ρ :من صلى علي مائة مرة في اليوم، كان كمن داوم العبادة طول الليل والنهار . وقال ρ :من صلى علي مائة مرة قضى الله له بها مائة حاجة، سبعين منها لآخرته وثلاثين للدنيا. وقال ρ :من جعل عبادته كلها صلاة علي، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة.

ذكر هذه الأحاديث كلها هكذا، الشيخ أبو جعفر بن وداعة ثم قال :وأمر صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه، أن يجعلوا أورادهم كلها صلاة عليه لما علم لهم في ذلك من الفضل والثواب.

ألا ترى إلى قصته مع أُبي بن كعب، رضي الله عنه حين قال له : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليكم فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت . قال قلت : الربع ؟ قال : ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قال قلت : النصف ؟قال : ما شئت وإن زدت فهو خير .قال قلت : فالثلثين . قال : ما شئت وإن زدت فهو خير .قال : أجعل لك صلاتي كلها .قال : إذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك .انتهى نصه

– وقال الإمام العالم العلامة، ابن فرحون في كتاب "الوعظ" له ما نصه :

اعلم وفقنا الله وإياك، أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، من مهمات الدين وأعظم الفرائض عليك، وأوجبها للزلفى والثواب والرفعة في الدنيا والآخرة، وقد ندبك الله تعالى للصلاة عليه، في كتابه العزيز بقوله تعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً]، فأمرك بالصلاة عليه بعد صلاته من غير احتياج إلى صلاتك، كرامة لك وتطهيرا وإظهارا للعبودية، بامتثال الأمر وشكرا منه، لما جعلك من أمته وسببا تستحق به الشفاعة، وأمره أيضا بالصلاة عليك في قوله تعالى:[وَصَلّ عَلَيْهِم إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُم] ، أي ادع لهم بالرحمة فإن معنى الصلاة الرحمة. وقد قيل أن معنى قول المؤذن

(حي على الصلاة) هلموا إلى الرحمة .ثم قال والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منك والشفاعة منه.

واعلم أن الله تعالى منع كمال الإيمان بشهادة التوحيد، وهي قول(لاإله إلا الله) ما لم تقترن بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي قولك: محمد رسول الله. وألزم الله الخلق تصديقه صلى الله عليه وسلم، في جميع ما أخبر عنه في الدنيا والآخرة، وألزمهم اتباعه والإقتداء به قال تعالى:[وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا] .

ثم قال أيضا : واعلم أن في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، عشر كلمات إحداهن صلاة الملك الجبار، والثانية شفاعة النبي المختار، والثالثة الإقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة محو الخطايا والأوزار، والسادسة عون على

قضاء الحوائج والأوطار، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة النجاة من دار البوار، والتاسعة دخول دار القرار، والعاشرة سلام من الرحيم الغفار .

ثم قال في آخر هذا الباب ما نصه : وأنت يا أخي قد قرت عين نبيك صلى الله عليه وسلم بك، حيث آمنت به وصدقته وتابعته في جميع أوامره، واستننت بسنته وأحببت أصحابه رضوان الله عليهم، فلا تمنع نفسك فضل الصلاة عليه في أكثر أوقاتك من الليل والنهار، ولاتكن بخيلا بذلك فهو أقبح البخل، فإن صليت عليه فإليك تصل فائدة ذلك، إذ هو غني عن صلاتك، وإن لم تفعل فعليك يعود ضرره، فإنك قد قطعت الوسيلة بينك وبينه، إذ منك الصلاة ومنه الشفاعة، وكيف تغفل عن الصلاة على من ترجوا نجاتك به غدا من الأهوال العظام، وعمن خبأ دعوته شفاعة لأمته وعمن قال: تعرض

علي في كل جمعة أعمال أمتي، فما رأيت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه ،وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لهم.

وقيل أيضا أن رسول الله ρ ، لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك:[وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَة لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِم]فقد كان رسول الله ρ ، مشغولا بنا أيام حياته وبعد وفاته، حيث لم يغادر شيئا يقرب أمته إلى الله تعالى ويبعدهم عن النار، إلا أمرهم بذلك ودلهم على سبيله وعرفهم طريقه، فكان مشغولا بأمته صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم.

فنوروا رحمكم الله بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم، ظلمة قبوركم وتزينوا بها ليوم عرضكم ونشوركم، فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم نور في القبور، وجمال يوم العرض

والنشور، وبهجة لأمته وسرور، فأول لباس الخلق يوم القيامة ثياب الأعمال، وبعده يلبسون ثياب الكرامة والجلال أو مقطعات الخزي والنكال، فيا ليت شعري ما الذي نسجت بيدك من الملابس لظهرك، وما الذي أعددته ليوم فاقتك وفقرك، فأجمل لباس العبد يوم القيامة بعد ملابس الإيمان، حلل الصلاة على سيد الإنس والجان، وللعبادة يوم القيامة بهجة وأنوار، وأفضل الأنوار يوم القيامة بعد معرفة الجبار، نور صلاة العبد على السيد المختار. فطهروا بالصلاة عليه أوقاتكم، وطيبوا بطيبها حياتكم ومماتكم، وخففوا بها ثقل الأوزار ونوروا بها القلوب والأسرار، لأنه إذا صلي عليه صلى الله عليه وسلم، انفسح الهم عن القلب وزال عنه الهم والكرب، فمن لم يجد هذا في نفسه ففقده لذلك من أعظم العطب، فتوسلوا بالصلاة عليه إلى المولى، واطلبوا لديه المحل الأعلى، يا أهل الزلل والجفا من

هجر الفضل والوفا، تشفع بذكر الصادق المصطفى، واجعله ذخيرتك في الآخرة والأولى، صلى الله عليه وسلم تسليما .

وأنشدوا :

وإذا ذكرت محمـدا نلت الأمان وفقت كل

بمفـاخر صلى الإله عليه مفاخر ليلا وما سارت

ما غسق الدجا الهاشمي الركاب بزائر الطاهر

المصطفى نور الهدى المفضال أفضل طاهر

من كلمته الشاة وهي والجذع حن له بوجد

طبيخة والماء من يده ظاهر مثل السحاب

الكريمة انبعت من جاء بمائهن الماطر إني

يشكوه البعير شاكيا استجرتك فلتجر يا

فأجاره لما استجـار بنصره جائر والله للمختار

ركب البراق في ليلة من أفضل ناصر للمسجد

مكة ورقى سماوات الأقصا الأغر الزاهر

طباقا سبعة فيها بقدرة ذي العطايا

يا القادر

انتهى بنصه رحمه الله.

-وحكى الإمام القرطبي في تذكرته في باب قراءة القرآن عند القبر، حالة الدفن وبعده ما نصه : وقد حكي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رحمه الله فقالت : إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام، فعلمني صلاة أصليها لعلي أراها . فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران، والغل في عنقها والقيد في رجلها، فارتاعت لذلك وأخبرت الحسن فاغتم عليها. فلم تمضي

مدة حتى رآها الحسن في المنام، وهي في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج، فقالت له: يا شيخ أما تعرفني؟قال : لا .قالت : أنا تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة فرأتني في المنام.قال : فما سبب أمرك؟قالت : مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنسانا في العذاب، فنودي ارفعوا عنهم العذاب ببركة صلاة الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم.انتهى بنصه رحمه الله.

- وقال الإمام العارف بالله سيدي محمد الساحلي، في كتابه "بغية السالك" في المنزل الثاني من مقام الإسلام ما نصه : واعلم أن الذكر الخاص في هذا المنزل، هو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، للمناسبة التي بينها وبين حال طالب اتباع السنة، والموافقة

التي يقتضيها اقتفاء آثار السنة قال الله تعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً] . ففي تقديم الأخبار بصلاة الله وملائكته على النبي صلى الله عليه وسلم، قبل طلب الصلاة عليه من المومنين، إشارة إلى ثبوت محبة الله والملائكة إياه وطلب ذلك من المومنين، ثم دلوا على ما تحصل به محبته وهي الصلاة عليه، وقال ρ :أقرب الناس مجالس مني يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وهل يكون القرب منه الأعلى قدر اتباعه، وهل تكون محبته إلا على قدر ذكره.

واعلم أن الله تعالى أوجب علينا محبته واتباعه، والناس في محبته واتباعه على درجات، فمن ناقص ومن كامل، ومن المعلوم أن الذكر يؤكد محبة المذكور، وأن المحبة تؤكد أمر الإتباع للمحبوب، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى حبه، وحبه وسيلة إلى

اتباعه،واتباعه واجب ووسائل الواجبات واجبة، فإذا تقرر هذا فالمحبة تكون بحسب ذكر المحبوب، من الإقلال والإكثار والغيبة والحضور.

وقد جاء من أحب شيئا أكثر من ذكره، وكذلك من أكثر من ذكر شئ أحبه، وقد جاء عن النبي ρ أنه قال: لا يكمل للمومن إيمانه، حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين، فإذا حصلت محبة النبي صلى الله عليه وسلم، في الباطن وخالطت بشاشتها القلوب، دعت ضرورة إلى اتباع سنته وطريقته بحسب محبته، ولذلك تأكد أمر الصلاة عليه، لأنها تستلزم محبته ومحبته، تستلزم اتباعه.

قال بعض العلماء رضي الله عنهم : من علامة حب النبي ρ، كثرة الثناء والصلاة عليه والدعاء له، واتباع سنته ومعاداة من خالفه

ومحبة من وافقه، مع ما في الصلاة عليه من سر آخر في اتباعه، وذلك أن اتباعه هو العبادة، ولابد في العبادة من موافقة الباطن بالتصور لها والقبول عليها، وبذلك يكون القيام بها والعمل بمقتضاها، فالباعث عليها محله الباطن، وقد يحجب الباطن عن التصور والقبول الباعثين على القيام بمقتضى العبادة، مع تراكم فيه من مقتضى الأهواء وسحائب الأوهام، وللصلاة على النبي ρ خصوصية في تنوير الباطن، فإذا صلى العبد على ρ، دخل باطنه منها نور تشرق به أرجاؤه، فتذهب الظلم بإشراق ذلك النور، فيظهر للباطن إذ ذاك من الإهتداء للقيام باتباع النبي ρ، ما كان عنه غائبا قبل ذلك، فيتجرد الباعث ويقوى العزم على الإتباع ويشتد الحرص على الإقتداء، فيستقيم عمود الدين وتشتد عرى العبودية، ومع ذلك فالسالك طالب طريق النجاة وسبيل المعرفة بالله، ولا مطمع في ذلك

إلا بدليل، ولا كرسول الله ρ، فلا بد له من التمسك بركابه والتعلق بأذياله، وبهذا المعنى يتقرر أن الصلاة على النبي ρ ، مطلوبة في كل مقام ومع كل حال، وسيظهر لك برهان ذلك ما بعد إن شاء الله، ولا يطمع في كمال اتباعه من قصر في محبته، كما لا يطمع في كمال محبته من قصر في ذكره .

واعلم أن حبه ρ، يتأكد علينا من وجوه أعظمها وأعلاها محبة الله تعالى إياه، إذ من اختصه الله لمحبته العظمى، فواجب على كل قلب وروح إخلاص المحبة له، ولتتألف مع روحه الكريمة في غيب الغيب، لأن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكرمنها اختلف، وتعارف الأرواح بروحه ρ ، لا يكون إلا بإخلاص المحبة له، وإخلاص المحبة له لا يكون إلا بالإدمان على ذكره والإكثار من الصلاة عليه، وفي الإتصال بروحه من الأسرار التي تولج في

محل الإختصاص مالا يدرك بغير ذلك، لأن مقامه أرفع المقامات، والتعلق به يظفر بكل مطلوب ومرغوب، فلا يزال صاحب هذا المنزل يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تظهر عليه ثمراتها وتلوح عليه أسرارها .

ثم قال رحمه الله بعد هذا بيسير : واعلم أن الصلاة على النبي ρ ذكر من ذكر الله، فلا يختلج في فكرك ما يفوه به بعض المحجوبين، عن تلمح معنى الشريعة المطرودين عن تحقيق وجوه العبادات، فقالوا الصلاة على النبي ρليست من ذكر الله تعالى، توطية إلى ترك الصلاة على النبي ρواستدراجا للإقلال منها، وهذا والعياذ باله، خروج عن دائرة العلم، وإخلاد إلى حضيض الحرمان.

وقد جاء في بعض الآثار أن الله تعالى قال : يا محمد من أحبك فقد أحبني ومن ذكرك فقد ذكرني ، وليست كيفية من كيفيات الصلاة على النبي ρ، إلا وفيها إسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، فكيف يكون ذاكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته غير ذاكر لله، ومع ذلك فالقيام بالصلاة على النبي ρ، قيام بأمر الله تعالى حين أمرنا بالصلاة عليه والقيام بالأمر ذكر للأمر، وهل المصلي على النبي ρ، الا يناجي ربه يطلب منه الصلاة على النبي ρ، فقد تضمنت الصلاة على النبي ρ ذكر الله من وجوه.

ولمولاي الوالد تأليف اختص بهذا المعنى بديع المأخذ جليل الفائدة: وللصلاة على النبي ρ، في تنوير الباطن وتزكية النفس، عجائب يحدها السالك ذوقا، سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد،

وقد هممت مرة بحصر فوائدها فأربت على مائة فائدة، ثم انفتح علي في ذلك باب من الفوائد يعجز عنه الحصر والإستقصاء.

وقد أشار مولاي الوالد إلى بعضها في تأليفه المذكور، فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى، بالصلاة على نبيه ρ، حتى يجني ثمرتها وتلوح عليه بركاتها، وماهي في جميع منازل هذا الطريق إلا مصباح يهتدي به ونور يستبصر به، ومثل ذلك كبيت فيه أنواع من الذخائر والأعلاق والفوائد النفسية، وذلك البيت له باب منه يدخل للبيت، ومنه يصل الضوء لمن أراد الدخول إليه، لينال من دخائره وإعلاقه، وفي ذلك البيت حيات وعقارب، ولذلك البيت مفتاح، فمن تحيل ودخل البيت من غير بابه، ليصيب من تلك الذخائر والفوائد لم يبصر منها شيئا، لكون الباب مسدودا فلم يكن له عثور على ما أراده من تلك الذخائر إلا بالحس، فربما وقعت يده

على حية أو عقرب، فلدغته فأهلكته قبل العثور على مطلوبه، ومن عمد إلى المفتاح ففتح به الباب، دخل البيت فأبصر بضوء الباب ما فيه من الذخائر والعقارب، فأخذ ما أراد واستمتع بما شاء وتحفظ من تلك الآفات، حتى سلم منها ونال بغيته بأمن وسلامة، فالبيت هو القلب والاعلاق هي أسرار الحقائق، والعقارب والحيات هي العلل والآفات الطارئة على القلب، الداعية للفتن المهلكة بانبعاث الأهواء، والباب هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والمفتاح هو الصلاة على النبي ρ والضوء هو نورها، فمن عمر قلبه بالصلاة على النبي ρ، اطلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد، وأبصر مختلفات الآفات، ومن دخل البيت من غير بابه أفضى ذلك به إ لى الكفر أو الزندقة، فهلك مع الهالكين والعياذ بالله، فانظر ما احتوت عليه الصلاة على النبي ρ، من الفوائد ومحلها من هذا الطريق، أعاننا الله على توفية

الواجب في إيرادها بفضله، ولا مطمع في درك الحقائق بالترقي إلى حضرة التخصيص، لمن أعرض عن ذكره والصلاة على النبي ρأو تكاسل في ذلك؛ جعلنا الله ممن اختص بمحبته وواصل ذكره وظفر بقربه.

ثم قال رحمه الله في المنزل الأول من مقام الإيمان ما نصه :والقاعدة التي بنى عليها أهل هذه الطريقة أمرهم، هي التحلية بالصفات التي تقرب إلى الله، والتزكية عن الصفات التي تبعد عن الله، وإذا تبين لك ما لكلمة النفي والإثبات التوحيدية من الإختصاص بمنزل الإخلاص، علمت أن لهذه الكلمة وظائف تكليفية، واردة من قبل الله تعالى على لسان رسول الله ρ، الدال عليه وأنه من نسي الدليل ضل عما دل عليه بلا غنى، ولا بد من ذكر الدليل لأن نسيانه سبب نسيان مادل به من الشروط في معرفة الله تعالى،

فلذلك وصلوا ذكر الدليل بذكر المدلول عليه حتى ينحفظ المدلول به، فقالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، خلافا لمن طبع الله على قلبه فلم يهتد سبيلا، ومكر به شيطانه فأضله تسويلا، وهي الطائفة الخاسرة والزمرة الفاجرة، الذين يقولون الإكثار من ذكر النبي ρ حجاب عن الله، وسبك بعضهم هذه العبارة فقال : إذا أفرد التهليل عن إثبات الرسالة، كان أبلغ وأسرع في تأثير معنى التوحيد، واحتج لذلك لما بلغني بأن قال للتهليل معنى، ولإثبات الرسالة معنى، وإذا اختلفت المعاني على الباطن ضعف التأثير وبعدت الثمرة.

قال :وإنما يكون وصل الذاكرين عند الدخول في الإسلام، وهذا والعياذ بالله من الفتن التي لا مورد لها غير النار، ولا عقبى سوى دار البوار، وماذاك إلا مكر واستدراج إلى رفض الشريعة، والإنحلال من ربقتها وتعطيل رسومها، ولو علم هذا القائل ما تحت

قولك محمد رسول الله، من الأسرار التوحيدية والحكم التهليلية، لانقشع عنه ذاك العمى فأصاب المرمى، فمن الواجب أن نفوه هنا، بنبذة تحمله على الهداية، وترفع عنه ظلام العماية والغواية.

فأقول مختصرا وبالله منتصرا : إن الله عز وجل أودع في ذكر نبيه، مع ذكره فوائد وأسرارا منها: أن رسول الله ρ، باب عظيم إلى معرفة الله عز وجل، فمن قصد معرفة الله تعالى من بابها نالها ووصل إليها، ومن أعرض عنها حُرمها ومنع من الوصول إليها، ومنها أن التوحيد لا ينال سره إلا بالإيمان، والإيمان لا يصح إلا بإثبات الرسالة، فكما يطلب السالك بما يحرك عنده قوة الإيمان بذكر التهليل، كذلك يطلب بما يحرك عنده قوة شرط عقده قوة شرط الإيمان، بإثبات رسالة الدليل ولأنها أحد أصل التوحيد.

ومن تأمل بتحقيق النظر سر الرسالة وجده من التوحيد،

وذلك أن النبي ρ نبيا ولا رسولا بنفسه، بل بسر أسر فيه دون غيره، وذلك السر هو الغيب الذي خص به وأهل له. قال الله عز وجل حاكيا عن الرسل: [إِن نَحۡنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثۡلكُم وَلَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَنۡ يَشَاءُ مِنۡ عِبَادِهِ]، ولذلك السر الوحداني الصادر عن الغيب، وجب التعظيم التوقير وإليه الإشارة بقوله تعالى: [مَنۡ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدۡ اَطَاعَ الله] ، فجعل طاعته في طاعة رسوله، ومنها أن ذكره ديدنا يؤكد أمر اتباعه، الذي هو فرض على الأعيان وبه النجاة والخلاص، حسبما وقعت الإشارة إليه في منزل الإستقامة، من أن ذكره يقتضي حبه، وحبه يقتضي اتباعه وطاعته، ومنها حفظ العهد للواسطة بأن يذكر ولا ينسى، والنبي ρ هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى والدال عليه، فمن حسن العهد أن لا ينسى وأن يذكر، كيف ولم

ينسى في حياته ولا عند مماته، ولا عند النشر ولا في الحشر، ومنها أن ذكره نور يسطع في أرجاء قلوب محبيه وذاكريه، أترى يبقى مع النور اشكال؟ أيوجد مع الضياء ظلام؟ فما انبهم في الباطن من أسرار التوحيد، أو غلب عنه من معنى العبودية، لاشك أن بيانه وظهوره يدركان بذكره، ρ، وبذلك يظهر لك ويتبيث أن لذكره عليه السلام في كل مقام اختصاصا، فاختصاصه في مقام الإسلام بالإهتداء إلى أعمال الطاعة، واختصاصه في مقام الإيمان بالإهتداء إلى أسرار المشاهدات، فمن عدل عن ذلك حرم موارد الإختصاص، ومن أحله من باطنه المكان المكين بلغ فيه مراتب التمكين، فلابد من ذكره في كل المقامات، متصلا بذكر الله ومنفردا، ليدخل السالك في قدم دليله موارد التخصيص، فقد يدخل الخديم حضرة الملك في قدم مخدومه، فيكرم من أجله ويقرب بسببه.

انتهى نصه في كتابه "بغية السالك" نفعنا الله به آمين. وقال رضي الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة له وهي هذه :

ملائكة الرحمان جل

جلاله تحف بقوم

يذكرون محمدا يقولون

زيدوا من مدائح أحمدا

وجدوا فلا تنسوا مدا

الدهر أحمدا فجبريل

والأملاك في درجاتهم

غذاؤهم ذكـر الشفيع

مسـرمـدا وخدام ربي فـي

السـماوات كلهـا يصلون

إكراما على علم الهدى

وجملة رسـل الله ك بذكره

توسل للرحمان في موقف

الندا وهل سيد السادات

إلا نبينا أتى رحمة

للعالمين وسيدا وما

رافع للحجب إلا محمد

وما منقد غير الحبيب من

الردى وما المصطفى

المختار إلا مرفع وذاكره

أضحى بذكره سيدا

أضاءت قلوب السالكين

بذكره فيا حبذا قلب يحب

محمدا وما ذكر خير

الخلق إلا مطهر

لأدناس قلب قد أضر به

الصدا وهل تثبت الظلماء

في قلب ذاكر تلألأ بالنور

القوي توقدا وأي

سناء مثل نور محمد

به أشرقت أنوار قلب من

اقتدى تعلق بأنوار النبي

ولذ به تفز بجزيل

الأجر يا طالب الهدى وكم

ضمن المختار للسالك

الذي يصلي عليه الف ذكر

مقيدا يبشربالجنات

قبل وفاته بشارة

تخصيص بذلك أوعدا

وأما إذا صلاه في كل

مطلع فيبصر قبل الموت

في الخلد مقعدا وليست

بشارة كرؤية ناظر وإن

كانت البشرى يزاح بها

الردى وأما الغنى للنفس

لا فقر بعده فالبنصف

من ألف فشأنك والهدى

وفي مائة لاشك يحرم

جسمه على النار يا هذا

فعظم محمدا وبعد صلاة

العصر من يوم جمعة

يصلى ثمانون على صاحب

الهدى ليغفر من أوزار

ذاكر أحمـــدا

ثمانون عاما هكذا جاء

مسندا وأما جبان الطبع

في معرك اللقـا فيرجع

بالهادي شجاعاوسيـدا

كما أن بالمختار يذهب

بخلنا فإن لم

تصدقنا فمد له اليـدا

وكل صفات المجد يمنحها

الفتى بذكر نبي في العلا

بلغ المدا وذكر حبيب

الله لاشك عندنا طريق

إلى الجنات فاسلك مجددا

ورافق أخا الإرشاد ينبئ

ناصحا عن المسلك

السامي ولاتك مفردا ولذ

بإمام لا يفارق سنة ودع

عنك من أضحى عن

الرشد مبعدا فما يرتقي

السابق إلا بهذه ألا يا فتى

فاعبر طريقا مؤيدا

وأي طريق مثله وامامنا

أبو بكر الصديق بالصدق

قلدا وما فضل الصحب

الكرام بصومه ولا

بصلاة في الرجاء تهجدا

ولكن بسـر قد أقـر بصدره

به فاق أهل الأرض مجدا

وسؤددا وما كان إلا

مولعـا متمسكا

بذكر نبي طاب ذكرا

ومولدا فلما تعالت في

الأنام صـلاته على حبه

أضحى العلي الممجدا

ولم يك مكثـرا للأعمال

ظاهـرا ولكنه للذكر دابا

تجردا أتى عمر

الفاروق يسأل أهله عن

اعماله في بيته يبتغي

الهدى فقالت وربي ما

رأيت بجسمه كثيرا من

الأعمال يبغيه مقصدا

وما ورده إلا ثلاثة عشرة

من الركعات المحكمات

تعبدا ولكنه قد كان

يجلس دائما بوجهه للبيت

الكريم مقعدا يغمض

عينيه ويجعل رأسه على

ركبتيه ساهرا متهجدا

ويزفر زفرة يشم روائحا

من الكبـد الزكي أسى

وترددا وما تلكم الزفرات

إلا لأنه يردد بالقلب

المبــارك أحمـدا ومن

يلحق الصــديق في صلواته

على حبـه من ذا يزاحم

مفردا

يحـق لطالـب الرشاد

اتبــاعه وهل فـاز إلا من

بأفعاله اقتـدى فزاحم

صفـوف السالكين مصليا

أيا ساحلي اذكر نبيك

سرمدا فما يعصم

الإنسان من لجج الردى

سوى ذكر مختار إلى

الرشد أرشدا فخذ منه

وردا ألف ذكر عشية

والفا إذا في الصبح

إشراقه بدا ولو ابصر

الإنسان بدر رشاده لكان

لذكر الهاشمي مرددا

فانجاكم في الحشر في

كل موطن من أهوالها فز

في بالنبي تزودا ومنوا

على أبصاركم بتأملي

وطيبوا باشرافي فوجهي

لكم بدا فقد طال ما كنتم

تحبون رؤيتي وتدعون فيها

قائمين وسجدا وكنتم مدا

الأيام تبغون رؤيتي إلى

يثرب من كل أرض تعمدا

فهذا وصال ليس ينفك

دائما وهذا نعيم لا يزال

مؤبدا من الله أرجو

ان يفرحنا به إذا

سبق الأنجاد للمصطفى

غدا

ويجعلنا من خير قوم

تسابقوا وإليه وجدوا

يطلبون محمدا

ويذخلنا الجنات في خير

زمرة مع المصطفى

المختار أعلا الورى غدا

صلاة وإكرام عليه ورحمة

وازكى سلام لا يزال

مجددا

انتهت القصيدة المباركة بحمد الله تعالى ورحم الله ناظمها، ونفعنا به وأعاننا على القيام بما فيها وما حض فيها عليه آمين يا رب العالمين .

- ومن "تذكرة المحبين" في أسماء سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، للإمام الرصاع رضي الله عنه ما نصه :

فصل من آداب المحب في أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث، أن يذكر نعمة الله تعالى عليه في أن وفقه إلى تصديقه، ويعترف بأنه خير خلقه، ويعلم أن الله تعالى قد خص من شاء من خلقه في هذه الدار بما شاء، وإلا فكل الأرواح قد شاهدته ورأت جماله، وكلهم قد أبصره ورأى كماله، ولما خلق الله آدم عليه السلام خلق ذريته في ظهره كالذر، فما من مخلوق خلقه الله من لدن آدم

إلى قيام الساعة ، إلا وقد كان في ظهر أبينا آدم، وشاهد في ظهره نور سيد الأولين والآخرين، واعترف أنه حبيب رب العالمين، ولذا قال ρ :كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه الحديث. وقد قال الله تعالى في كتابه العظيم: [وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِي آدَمَ مِنۢ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّاتِهِم، وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى]•فمن ابقى الله معه النور الذي نور به قلبه، وشاهد به ربه شهد بما شهد به في اصل خلقته، واعترف بأن نبيه عليه الصلاة والسلام هو خير خليقته، بل إن وفقه الله وهداه واعتنى به واصطفاه، انخرقت له العادة حتى يتذكر ظهور الإقرار والعبودية والعبادة، ولهذا كان أفضل الصديقين وسراج المومنين وخليفة رسول رب العالمين، سيدنا أبو بكر الصديق عبد الله العتيق رضي الله عنه يقول: كنا جلوسا عند رسول الله ρ، فنظر إلي فقال : يا أبا بكر

أتذكر يوم كذا ؟ فقلت: أي وعيشك يا رسول الله .قال: فنظر أصحاب رسول الله ρبعضهم إلى بعض ، ولم يعلموا ما أراد النبي عليه الصلاة والسلام بذلك. فقال ρ: ﴿أنبئهم يا أبا بكر﴾ .فقال : بالنور الذي في قلبه سألتني يا رسول الله عن يوم الذر في قوله تعالى:[وَإِذ أَخَذَ ربُّكَ مِنۢ بَنِي آدَمَ مِنۢ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّاتِهِم، وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى] شهدنا فما من أحد من الخلق إلا قال بلى، ولقد سمعتك يا رسول الله تقول عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله . فقال النبي ρ: والذي بعثني بالحق لقد سمعتك يا أبا بكر عند ذلك وأنت تقول: صدقت يا رسول الله.

فحق رضي الله عنه أن يسمى صديقا، لأنه كان لنبينا وحبيبنا صديقا ورفيقا، فعليكم رحمكم الله بمحبته، وتوسلوا إلى الله بصديقيته رضي الله عنه وأرضاه.

سألزم نفسي يا خليلي

مدحه واحكم فيه القول

من جيد الشعر فأفضل

خلق الله بعد محمد

وإخوانه الأنبياء ذوي

القدر وصحب رسول الله

طرا بأسرهم خليفته

الصديق وهو أبو بكر

فذاك لعمر الله أول

مسلـم

وأول من صلى مع الطاهر

الظهر فمن ذا سواه بين

الله فضله لدى

سورة الفتح المعظمة

القدر ومن أنفق الأموال

لله خالصا وقاتل قبل

الفتح مثل أبي بكر ومن

آس المختار في الغار غيره

ومن صدّق المختار قبل

ابي بكر ومن ذا الذي

في الناس أفقرنفسه

وأرضى رسول الله غير

أبي بكر

ومن ذا سواه جاء جبريل

قاصدا إلى المصطفى فيه

من الله بالبشر وقال

بأن الله يقرئ سلامه

عليه فابلغ ذاك عنه أبا

بكر واعلمه أن الله راض

بفعله فهل هو راض عنه

في حلة الفقر ومن

لرسول الله جاء ببنته

فزوجها إياه مثل أبي بكر

ساضرب أعناق

الروافض عنده

بحد لسان كالمهندة البتر

وأقتلهم قتل الكلاب

تعمدا وانشر أمداح

الإمام أبي بكر

نفعنا الله بمحبته وأعاد علينا من بركته، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وأهل طريقته وسلم تسليما . انتهى نصه رحمه الله بمنه

ولولد خالنا الشريف الوجيه الفقيه النبيه ، مولاي عبد الواحد بن الشريف المعظم المقدس المنعم، مولانا عبد الرحمان الشريف الشبيهي الحسني الجوطي ، هذه القصيدة يمدح بها أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، ويتوسل به وبأصحاب رسول الله ρ ، رضي الله عنهم أجمعين وهي هذه :

أيا صاحبي فاسمع مقالة

ناصح تجدها إذا ما

خفت من أزمة الدهر إذا

كنت في ضيق وكرب وشدة

فلذ بعزيز فاق بالسبق

والنصر تفز بالمنا والعز

في كل مطلب ولا تخش

من فقـر يلـم ولا عسـر

فحرمته عنـد الإله عظيمة

وقد فاق بعد المصطفى كل

ذي قدر كذلك بعد الأنبياء

والمرسلين فقد حاز رتبة

الكمال بلا نكر وكان

وزيرا للرسول مصدقا

ومن نصحاء الله في السـر

والجهـر ففي الغار ثاني

اثنين والله ثالث وهل بعد

هذا الفخر يا صاح من فخر

ومن ذا الذي ترضى سجاياه

كلها سوى خير اصهار النبي

أبي بكر تعلق به في كل

حـــين وحالة ولا سيمـا عند

المغيب في القبر

تجده مغيثا شافعا عند ربنا

بإنقاذه من كـان مثلي في

قعر إلهي بجاه المصطفى

وبجاهه وبنتيهمـا حقق

رجائي مدا العمر وكن لي

بتيسير وفتح وعفة وعافية

مصحوبة بـردا الستر وكن

لي أنيسا حيث يسلمني

الورى على حالة تحت

الجنادل والصخر ويرجع

أهلي ثم مالي ويتركوا معي

عملي في منزل مظلم وعر

رهينـا بما قدمت في دار

محنتي وما غـرني إلا

قبولك للعذر وجئتك يا ربي

فـردا كمـا ترى ذنوبي

كأمثال الجبال على ظهـر

فلم تبق إلا رحمة الله

ترتجى ولم يرج إلا

مثل جاه أبي بكر أغثني

أغثني بالثبـات إذا أتى

رسولاك يا ربي على أفضل

الذكر أجيبهما بالفور

والعقل ثابت وفي الحين

تاتيني البشارة بالخير

وهذا رسـول الله أعني

محمـدا

محبتـه فيها النجاة من

الخسر كتـاب إله العرش هو

إمامنا وفيه شفاء للعبـاد

من الضر فيا رب إني

ضرع فيك طامع وإن كان

إثمي لا يعد ولا وزري

وأنت عظيم العفـو أكرم من

عفا فكيف وإني لائـذ بابي

بكر فشفعـه فينـا رب في كل

موقف وعند الحساب

والمرور على الجسر وفي

جنـة الرضـوان تجمع شملنا

مع السادة الأبـرار في أول

الصـدر وعصر بعفو منك

من كان قبلنا من

الوالديـن والأقـارب والغـير

وكن للفـروع يا إلهي برحمة

وحفظ وتوفيق إلى آخر

الدهر بفاروقك القوال

للحق دائما ولم يكترث من

قول زيد ولا عمرو خلافته

جاءت في رؤيا نبينا بإثر

خلافة الإمام أبي بكر

وجاهد أعداء الإله بغلظة

ودوخ أهل الكفر في السهل

والوعر

وخير شهيد كان يقطع ليله

بترتيل قرآن إلى مطلع

الفجر وبيض وجه

المصطفى بنواله بإنفاقه

على جيوش ذوي العسر

وقامت يد المختار تضرب

أختها تتوب عن الصهر

الزكي أبي عمرو وباب

مدينة العلوم إمامنا

أبو الحسنين كان كالليث

والصقر يحب إله العرش

ثم رسوله يحبانه خذها

فهي من الذخر لقد طلّق

الدنيا ثلاثا وما حكت فتيلا

ولا ما في النواة من النقر

وبالملإ الأعلى جميعا وكلهم

وسيلتنـا لله في معظم الأمـر

كذلك أصحـاب النبي

أخص من أتى بيعة

الرضوان في ذلك العصر

وعدة رسل الله فاسأل

بجاههم فقد نصروا

بالنصر في محكم الذكر

ومن حضر الصفح الجليل

من الملإ كذا شهداء الخير

قد ماتوا بالغدر ومن كان

في عـون النبي بطبيـة

يحوطونها بالطعن والرمي

والحفر وبالآل والصحب

الكرام وتابع وأتباعهم نج

العبيد من الشر وصل

إلهي ثم سلم وباركن على

سيد الأكوان واملأ بها

صدري وأزواجه والآل

والصحب كلهم وعبدك هب

للمصطفى وأبي بكر

انتهت بحمد الله ، حقق الله رجاءنا ورجاءه آمين.

-ونتضرع إلى الله سبحانه، أن يتفضل علينا بمحبة هذا النبي الكريم، وأصحابه ذوي التعظيم والتكريم، ويتفضل علينا بالموت على الشهادة كما منّ عليهم. فقد ورد في الحديث إذا سألتم الله فأعظموا المسألة فإن الله لا يتعاظمه شئ. وقال ρ :من طلب الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه .

وهنا انتهى الكلام على أصول طريقة شيخنا، ووسيلتنا إلى ربنا مولاي عبد الله الشريف.

- ولنشرع الآن في الكلام على أوراده وأذكاره، فاقول مستعينا بالله العظيم، ومصليا على سيدنا ونبينا ومولانا محمد نبيه المصطفى الكريم :

أما شعاره رضي الله عنه وديدنه وهجيراه فهو لا إله إلا الله

يلقنها رضي الله عنه، هو وأولاده الكرام للخاص والعام، ويحضون عليها في كل مقام، من ليل ونهار من غير حد ولا انحصار، وهذا الذكر بعينه هو الذي كان هجيرا ابي بكر الصديق رضي الله عنه.

نصّ على ذلك الإمام الساحلي في كتابه " بغية السالك"، كما نص على أن هجيرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الله أكبر ، وهجيرا عثمان بن عفان سبحان الله، وهجيرا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الحمد لله، ومجموع ذلك هم الباقيات الصالحات.

وورد في فضلها كرامات، فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ :لقيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي فقال : يامحمد اقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها

قيعان، وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .قال النووي رحمه الله في كتابه "رياض الصالحين" رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وقد ورد في فضل لا إله إلا الله ، وثوابها آثار وأحاديث صحيحة عن النبي المختار، فمن فضلها ما رواه مالك، عن طلحة بن عبد الله ابن كريز والترمذي، عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ρ قال:أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وزاد عمرو له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير .

وروى النسائي والترمذي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ρ يقول: إن أفضل الذكر لا إله إلا الله ،وأفضل الدعاء الحمد لله.

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ρ قال:

قال موسى عليه السلام : يارب علمني ما أذكرك به وأدعوك به .قال: يا موسى لا إله إلا الله

قال موسى عليه السلام : يا رب كل عبادك يقول هذا . قال : قل لا إله إلا الله. قال: لاإله إلا أنت إنما أريد شيئا تخصني به .

قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله.

وروى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ : ما من عبد قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر.

واما ثواب (لا إله إلا الله) عن ابي ذر رضي الله عنه، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال:ما من عبد قال لا إله إلا الله إلا دخل الجنة .رواه البخاري.

وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة من حديثه، أن رسول الله ρ قال:أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو من نفسه. وفي رواية سمعت رسول الله ρ يقول الحديث.

وعن زيد بن خلاد عن النبي ρأنه قال:من دخل القبر بلا إله إلا الله خلصه الله من النار .رواه النسائي.

وروي ايضا عن أبي ذر قال : كنا مع رسول الله ρ في مسير له، فلما كان في بعض الليل تنحى طويلا ثم أتانا، فقال: ﴿أتاني آت

من ربي، فاخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله أن له الجنة. قلت : وإن زنى وإن سرق ؟قال : نعم.

ومن "نزهة المجالس" للإمام الصفوري ما نصه : وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال النبي ρ :خلق الله ملكا يوم خلق السماوات والأرض، وأمره ان يقول لا إله إلا الله، فهو يقولها مادّا بها صوته، لا يفرغ منها حتى ينفخ في الصور.

وقال بعض الصالحين: من قال(لا إله إلا الله) ومدّها بالتعظيم، كفر الله بها عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر،فإن لم يكن عليه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، كفر الله عن أهله وجيرانه.

ثم قال رحمه الله تعالى:

فـــوائد

-الأولى:

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : قيل لزبيدة في المنام: ما فعل الله بك؟

قالت : غفر لي بأربع كلمات: الأولى لاإله إلا الله أفني بها عمري ،والثانية لا إله إلا الله أدخل بها قبري ، والثالثة لا إله إلا الله أخلوا بها وحدي ، والرابعة لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

- الثانية:

مر علي بن أبي طالب على مقبرة فقال : السلام عليكم يا اهل لا إله من أهل لا إله إلا الله كيف وجدتم لا إله إلا الله ؟ فهتف به هاتف : وجدناها المنجية من كل هلكة.

- الثالثة :

يكتب للحمى الباردة، أربع ورقات وتشرب كل يوم ورقة: الأولى:

لا إله إلا الله نارت فاستنارت.

الثانية: لا إله إلا الله دارت فاستدارت

الثالثة: لا إله إلا الله حول العرش دارت

الرابعة: لا إله إلا الله في علم غارت.

- الرابعة :

قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى لا إله إلا الله، لا نافع إلا الله ولا مانع إلا الله.

وسئل بعضهم عن قوله تعالى: [وبير معطلة وقصر مشيد]

فقال : البير المعطلة قلب الكافر، معطل عن قول لا إله إلا الله، والقصر المشيد قلب المومن، معمر بلا إله إلا الل. وقال تعالى[غَافِرَ الذَّنْبِ] لمن قال لا إله إلا الله ﴿وَقَابِلَ التَّوْبِ] أي لمن قال لا إله إلا

الله[شَدِيدَ العِقَابِ] على من لم يقل لا إله إلا الله [وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ] الذين لم يقولوها .انتهى بنصه

فضل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير

روى النسائي عن يعقوب بن عاصم، أنه سمع رجلا من أصحاب النبي ρ يقول:ما قال عبد قط لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه، إلا فتق الله له السماء

فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد ينظر الله إليه أن يعطيه سؤله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال:من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يات أحد بأفضل مما جاء به، إلا رجل عمل أكثر من ذلك.

قال ابن الإمام رواه الجماعة إلا أبا داوود، واللفظ للبخاري ومسلم والترمذي . زاد مسلم والترمذي والنسائي:ومن قال سبحان

الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر.

ثواب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ρ قال: الذي نفسي بيده لا يقولها أحد (يعني لا إله إلا الله محمد رسول الله) صادقا إلا حرمت عليه النار . وفي رواية لايشهد بها عبد صادقا من قلبه ثم يموت على ذلك إلا حرم الله عليه النار. رواه النسائي .

مسلم عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة من حديثه في غزوة تبوك، فقال رسول الله ρ :اشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة، وقال أبو هريرة:غير شاك فيهما إلا دخل الجنة.

النسائي عن أبي ذر قال : قال رسول الله ρ :من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله مخلصا دخل الجنة.

قلت : وإن زنى وسرق يا رسول الله ؟

قال : وإن زنى وإن سرق ، وإن زنى وإن سرق ، وإن زنى وإن سرق ،وإن رغم أنف أبي ذر.

البخاري عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ρ قال:ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صادقا من قلبه إلا حرم الله عليه النار.

مسلم والبخاري عن أنس بن مالك، أن رسول الله ρ ، ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل قال : ﴿يا معاذ ﴾.قال : لبيك يا رسول إليه وسعديك (ثلاث مرات).قال :ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار. قال : يا رسول الله ألا أخبر بها فيستبشروا ؟قال : إذًا يتكلوا .

فأخبر بها معاذ عند موته تأثما. قال البخاري: وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه.

البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ، أن رسول الله ρ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: يُثَبِّتُ الله الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ .

مسلم عن عبادة بن الصامت من حديثه، عن رسول الله ρ أنه قال:من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم عليه النار.

-لطيـــفة :

قال الرازي في نفسيره، لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهي: الأذنان ، والعينان، واللسان، واليدان، والرجلان، والبطن، والفرج؛ وأبواب جهنم سبعة.

ولا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات، فكل كلمة تكفر ذنوب عضو، وتسد بابا من أبواب جهنم بفضل الله تعالى.

نقله الإمام الصفوري في كتابه "نزهة المجالس" بعض ما ورد في كلمة الإخلاص والله الموفق.

الأوراد

-وأما أوراد ساداتنا وأشياخنا، رضي الله عنهم ونفعنا ببركتهم آمين، التي تذكر في الصباح والمساء فهي :

- أستغفر الله إن الله غفور رحيم : (100مرة) صباحا ومساءا.

- سبحان الله وبحمده : (100 مرة) صباحا ومساءا أيضا ومن زاد حتى يبلغ الألف زاده الله.

- اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذريته (50 مرة بعد صلاة الصبح).

- لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (10مرات) دبر كل صلاة مكتوبة .

والمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، في كل وقت بلا حصر ولا حد .

وقد تقدم في ترجمة سيدي الحاج الخياط الرقعي نفعنا الله به، أنه كان يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى امتزجت بلحمه ودمه، وأنه كان يعتريه حال، فيسمع كل شعرة في جسده تقول (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم).

- اللهم إنا نتوسل إليك بجاه هذا النبي الكريم، أن تسقينا بما سقيت به عبادك الصالحين وأوليائك المقربين، وأن ترحمنا وترحم

والدينا كما رحمتهم يا أرحم الراحمين، يا حبيبنا يا سيدنا محمد، إنا نتوسل بك إلى ربك، فاشفع لنا عند المولى العظيم يا نعم الرسول الطاهر، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك آمين يا رب العالمين.

ولنذكر بعض ما ورد في هذه الأذكار وثوابها، ليقوى الباعث على قراءتها والدوام عليها فأقول :

-أما "الإستغفار" فقد جاء في فضله آيات، وأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الآيات قوله تبارك وتعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم، ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم ..الآية] ، وقال الله تعالى: [وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُم وَأَنْتَ فِيهِم، وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]﴾ ، وقال تعالى:

[وَمَنْ يَعْمَل سُوءاً أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفوراً رَحِيماً] .

وأما الأحاديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ : والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ρ قال: سيد الإستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . إذا قالها حين يمسي فمات دخل الجنة ،وإذا قالها حين يصبح فمات من يومه مثله. رواه البخاري والترمذي والنسائي.

- وأما فضل "سبحان الله وبحمده" وثوابها: فمما ورد في ذلك الحديث المتقدم قريبا، وهو قوله ρ من قال:سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ρ سئل: أي الكلام أفضل؟ فقال: ما اصطفاه الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده. وفي رواية قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله ؟فقال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده. رواه مسلم.

- وأما ثواب "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فقد سبق قريبا، وثواب الصلاة على النبي ρ ، ومكافاة النبي ρ على المكثر منها،

فقد تقدم في مواضع من هذا التقديد، فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه في محله.

الأحـــزاب

وأما الأحزاب التي يأمر ساداتنا بقرائتها، ففي الصباح سبعة حزب مولانا عبد الله الشريف وهو :

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :[لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] إلى آخر السورة . وتكرر [فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] (7مرات) .

- ثم تقول : "حسبنا الله ونعم الوكيل " خمسا وسبعين مرة (75مرة).

- ثم تقول: "اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم" وتكررها عشر مرات (10مرات).

- ثم تقول : "اللهم أجرنا من النار" ستا (6) وفي السابعة تقول :"اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار، ومن كل قول وعمل يقربنا إلى النار بعفوك ،وأدخلنا الجنة برحمتك يا عزيز يا غفار " ، ثم تقول :" اللهم إني أسألك الجنة وما يقربنا إليها من قول وعمل" سبع مرات أيضا (7مرات).

- ثم تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ]إلى آخر السورة تكررها (3 مرات) مع البسملة .

- ثم تقول : " يا الله يا صاحب القدرة فرج عني همي وغمي وكربي" تكررها (3 مرات).

- ثم بعده "حزب الفلاح" ثم بعده "وظيفة الشيخ سيدي احمد زروق نفعنا الله به " ثم بعدها "حزب النووي رضي الله عنه" وبعده "صلاة القطب مولاي عبد السلام رضي الله عنه " وبعدها "حزب البحر للإمام الشاذلي رضي الله عنه" وبعده "الحزب الكبير له أيضا " .

-وفي المساء يقرأون الخمسة الأولى عدى حزب البحر والحزب الكبير، إلا أنهم رضي الله عنهم، يأمرون بقراءة حزب البحر بعد صلاة العصر.

تتمـــــة

- أنبه فيها على قراءة سور وآيات من القرآن، وأذكار زائدة على الأوراد لتكميل الفائدة، ويبلغ قارئها والمسترقي بها غاية المراد .

قال الإمام العالم العلامة زين الدين، سيدي عبد الرحمان بن عبد السلام الصفوري الشافعي، رحمه الله في كتابه "نزهة المجالس" ما نصه :

باب فضل البسملة :

قال الله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً] قال الجنيد علمهما بسم الله الرحمان الرحيم ، وقال بعضهم في قوله تعالى:[وَأَلْزَمَهُم كَلِمَةَ التَّقْوَى] هي بسم الله الرحمان الرحيم .

قال القشيري :إذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة، لم تذهب أفهامهم ولا علومهم إلى غير وجوده سبحانه، فإذا قال بلسانه الله، وسمع بإذنه الله، شهد بقلبه الله، فكما لا تدل هذه الكلمة على معنى، سوى الله لا يكون شهود قائلها إلا الله، ويشهد بسره الله ويتعلق بظاهره بين يدي الله.

ويقال البسملة ربيع الأحباب وأزهارها، لطائف الوصلة وأنهارها زوائد القربة، فمن أسمعه بسم الله الرحمان الرحيم، أدهشه وكشف جلاله، ومن أسمعه الرحمان الرحيم أنعشه بلطيف أفضاله.

وقال في كتاب "عظة الألباب" : الباء من بسم الله بهاؤها، والسين سناؤه، والميم مجده وعلاؤه. وقيل الباء بابه، والسين سلامه، والميم إنعامه. وقيل الباء بركته، والسين ستره، والميم معرفته. وفي غيره الله علام الغيوب، الرحمان كاشف الكروب، الرحيم غفار الذنوب. وقيل الله مجيب الدعوات، الرحمان منزل البركات، الرحيم يعفوا عن السيئات .

قال النبي ρ :أول من نزلت بسم الله الرحمن الرحيم، هرب الغيم من المغرب إلى المشرق، وسكنت الرياح وأصغت البهائم بآذانها، ورُجمت الشياطين بالشهب. وأقسم الله بعزته لا تسمى على مريض إلا شفاه الله . وفي رواية عن ابن عباس رضي الله :ولا على شئ إلا باركت عليه و قال علي رضي الله عنه:"لما نزلت بسم الله الرحمان الرحيم ضجت الجبال حتى كنا

نسمع دويها، فقال الكفار: سحر محمد الجبال". وقال النبي ρ :لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمان الرحيم.

وسيأتي إن شاء الله في آخر الكتاب، أن بينها وبين إسم الله الأعظم، كما بين بياض العين وسوادها . قال النسفي : لما قتل قابل هابل، شق ذلك على آدم، فأوحى الله إليه :(إني قد جعلت الأرض طوعا لك) فقال : يا أرض خذيه ؛ فلما همت به، قال قابل: يا أرض بحق بسم الله الرحمان الرحيم لا تهلكني. فقال الله تعالى(يا أرض خلي عنه).

- مناسبة :

افتتح الله كتابه بثلاث اشياء والخلق ثلاثة أقسام: ظالم ومقتصد وسابق، الله للسابقين، الرحمان للمقتصدين، الرحيم للظالمين.

فوائـــد

- الأولى :

أ وحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : (إني أكرمت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بثلاثة أسماء) . قال: يا رب ما هي؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم.

وكان عنده رجل أعمى فقال : يا رب بحق هذه الأسماء رد علي بصري؛ فرد الله عليه بصره في الحال .

- الثانية :

إذا كان يوم القيامة وزنت أعمال هذه الأمة، فتزيد ركعة من صلا تهم على ألف ركعة من صلاة غيرهم، فيتعجبون من ذلك فيقال لهم: كان في صلاتهم بسم الله الرحمن الرحيم . وفي الحيدث: يا أبا هريرة إذا وطئت فقل بسم الله الرحمن الرحيم، فإن الحفظة يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل، فإن حصل من تلك الوقعة ولد، كتب الله لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه . يا أبا هريرة إذا ركبت دابة، فقل بسم الله والحمد لله، يكتب له من الحسنات بعدد كل خطوة.

- الثالثة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ρ :من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف

حسنة، ومحى عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة.

- الرابعة :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ρ قال:إن لله دارا في الجنة يقال لها دار النور، كل شئ خلقه الله فيها من نور، وهي في الهواء ليس لها طريق ، قيل يا رسول الله كيف يصعدون إليها؟ قال: يقال لهم قولوا بسم الله الرحمن الرحيم فيطيرون إليها.

- ثم قال رحمه الله بعد هذا بنحو ثلاثة أوراق ما نصه :ورأيت في الوجوه المسفرة من اتساع المغفرة، قال النبي ρ :أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا السفن، أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة،

والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم.

- ورأيت في "بستان الواعظين" لابن الجوزي : عن الحسن البصري قال: ما من عبد يدفن إلا دخل عليه ملك في قبره، معه دواة وقرطاس وقلم فيقول : اكتب عملك، فيكتب عمله وإن كان غير كاتب، فإن كان من أهل السعادة فأول ما يجري به القلم بسم الله الرحمن الرحيم، بإذنه تعالى فيأمن من عذاب القبر.

- قال بعض الصالحين : دخل علي أخي وهو سكران فضربته، فرجع فوقع في ماء فغرق، فلما دفنته رأيته تلك الليلة في الجنة فقلت : تموت سكران وأنت في الجنة؟

قال : نعم ، لما خرجت من عندك رأيت ورقة فيها، بسم الله الرحمن الرحيم فابتلعتها، فلما دخل علي نكير ومنكر وسألاني، فقلت لهما تسألاني واسمه في بطني، فنادى مناد: صدق عبدي قد غفرت له.

- وكات رجل بمكة صائم الدهر، ولم يره أحد يأكل ولا يشرب، غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره وينظر إليها، فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه فوجد فيها البسملة، فتعجب من ذلك فهتف به هاتف : لا تعجب بالتسمية ربيناه، والرحمانية قد غفرنا له، والرحيمية وفقناه .

-قال السلمي في حقائقه: في اسمه الرحمن حلاوة المنة ومشاهدة القربة ومحافظة الحرمة.

وقال ابن عطاء الله في اسمه الرحمن : عونه ونصرته وفي اسم الرحيم : محبته ومودته.

وقال القشيري في تفسيره: الرحمان رزاق للجميع ما فيه راحة ظواهرهم، والرحيم رفيق بالمومنين بما فيه حياة سرائرهم، الرحمن بما يكرم به من الرضوان، الرحيم بما ينعم به من الرؤية والعيان، الرحمن بما يصنع لهم من جميل الرعاية، والرحيم بما يدفع عنهم بحسن العناية.

ورأيت في طبقات ابن الشبكي عن الحناطي :

فائدة :

يكتب لبكاء الأطفال : بسم الله الرحمن الرحيم [هَذَا يَوْم لا يَنْطِقُونَ]، بسم الله الرحمن الرحيم [وَخَشَعَتِ الأَصْوَات

لِلرَّحْمَنِ]، بسم الله الرحمن الرحيم[الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ] .انتهى نصه

-وقال الإمام محيي الدين النووي رحمه الله، في كتابه "حلية الأبرار" في تلخيص الدعوات والأذكار ما نصه : باب ما يقول إذا وقع في هلكة، روينا في كتاب ابن السني، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ρ :يا علي ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا وقعت في ورطة قلتها . قلت : بلى جعلني الله فداك.قال : إذا وقعت في ورطة، فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء. قلت الورطة بفتح الواو وإسكان الراء وهي الهلاك.انتهى نصه

فـــوائد

-الأولى :

فصل في دعوة بسم الله الرحمن الرحيم،وهي تصلح لكل ما تريد وهي:بسم الله الرحمان الرحيم اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى كلها، الحميدات المجيدات التي إذا وضعت على شئ ذل لها، وإذا طلب بها الحسنات أدركت، وإن انصرف بها من السيئات انصرفت، وبكلماتك التامات التي لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر، ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم، يا كافي يا ولي يا رؤوف يا لطيف يا رزاق يا ودود يا فتاح يا واسع يا كريم يا وهاب يا باسط يا ذا الطول يا معطي يا مغني يا

رحمان يا رحيم يا معين يا مغيث، أسألك باسمك الله الذي لا إله إلا هو الجميل الرحمن الرحيم اللطيف العلي الرؤوف العفو الغفور المومن النصير المجيب المغيث القريب السميع الكريم ذو الإكرام ذو الطول المنان، افعل لي كذا وكذا واذكر حاجتك.

- الثانية :

ومما يكتب لسائر الأمراض آيات الشفا، حكي عن بعض الصالحين رحمه الله، أنه مرض له ولد بالحمى، فأعيا الأطباء دواؤه، فرأى والده النبي صلى الله عليه وسلم، في النوم فشكى له بمرض ولده، فقال له صلى الله عليه وسلم : أين أنت من آيات الشفا .

فكتب له أبوه الآيات في إناء فسقاها لولده فبرأ في الحين

وهي:[ويُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُومِنِينَ ،وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُور،

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ،

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُومِنِيَن ، الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِين وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِين، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء] .

- الثالثة :

روى الجلال عن عبد الله ابن الإمام أحمد رضي الله عنه قال

: رأيت أبي يكتب للمرأة التي عسرت عليها ولادتها، في إناء أبيض أو

شئ نظيف، حديث ابن عباس وهو: (لا إله إلا الله الحليم الكريم،

سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين، كأنهم يوم

يرون ما يوعدون، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار كأنهم يوم يرونها، لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).

ومما جرب لعسر الولادة أيضا، أن يكتب ويسقى للمطلقة، وهو نافع إن شاء الله وهو : (بسم الله الرحمن الرحيم [الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم [قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ] إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] إلى آخرها، [إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّت وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّت] ؛ اللهم يا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس، يا عليم يا قدير خلص فلانة مما في بطنها من ولدها، خلاصا في عافية إنك أرحم الراحمين.

- الرابعة :

ومما يكتب للصداع وهو عجيب مجرب : بسم الله الرحمن الرحيم[كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا] ، كهيعص حم عسق كم لله من نعمة على عبد شاكر أو غير شاكر، وكم من نعمة لله في قلب خاشع وغير خاشع، وكم من نعمة لله في عرق ساكن وغير ساكن، اذهب أيها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله، وله ما سكن في الليل والنهار وهوالسميع العليم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين. يكتب ويحمل على الرأس

- الخامسة :

قال الشيخ الإمام الولي الصالح، أبو عبد الله سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به

:وأما سورة الواقعة فلها فضل كبير، لاسيما في تيسير الرزق وتوسيع الحال، وقد كان شيخنا الولي الصالح العارف بالله تعالى المكاشف، بدل وقته وإمام عصره شيخ الشيوخ، سيدي أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي، رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين، يحضنا على قراءتها كل صباح ويذكر لنا فضلها وخصوصيتها في تيسير الرزق، وقد كان رحمه الله تعالى ورضي عنه يديم قراءتها كل صباح، وكان يعلمنا دعوتها ويامرنا بقراءتها مقرونة بدعوتها وهي: إذا بلغت في السورة إلى قوله [فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] تقول: (يا من هو هكذا ولا يزال هكذا ولا يكون هكذا أحد سواه، أسألك بأزل أزليتك في ديمومية وحدانيتك، وبكل آلائك وبقديم ذاتك وبعظيم أسمائك ، وبجميع صفاتك وبما فوق الفوق وبما تحت التحت، وبجلال الجلال وبجمال الجمال وبكمال الكمال وبدوام

الدوام، بالأولية التي لا ابتداء لها بالديمومية التي لا انفصام لها، أسألك بالحول والطول والهيبة والعظمة والعرش والكرسي، وبجاه سيدنا محمد القرشي صلى الله على روح سيدنا محمد في الأرواح،وعلى جسد سيدنا محمد في الأجساد وعلى قبره في القبور، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أستغفر الله خمسا وعشرين مرة(25مرة)، اللهم يسير لنا أمر الرزق، واعصمنا من الحرص والتعب في طلبه، ومن كثرة الهم به ومن التدبير في حصوله، ومن الشح والبخل به بعد حصوله، واجعله اللهم سببا للعبودية ومشاهدة لأحكام الربوبية، وتول في ذلك أمري ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، واهدني إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور.

ثم تقرأ : [فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ] إلى آخر السورة وتقول : اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا حلالا طيبا وعملا صالحا متقبلا، اللهم يا رزاق المقلين وبا خير الناصرين ويا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين (ثلاثا).

اللهم ارزقني رزقا طالبا غير مطلوب وغالبا غير مغلوب، اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه، وإن كان بعيدا فقربه وإن كان قريبا فكثره وبارك لي فيه، اللهم وأعطنيه من عندك حتى تغنيني عن جميع خلقك بجاه سيدنا محمد عندك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

- السادسة :

ومن خواص سورة [أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ] ، أن تلاوتها (سبع مرات) دبر كل صلاة، تشرح الصدر وتطيل العمر، وتفتح أبواب الرزق، وتيسر المعيشة بإذن الله تعالى.

وقال الفقيه العالم العلامة سيدي عبد الغفور في كتابه "التبتل" ما نصه : ماجاء في الدعوات لكشف الكرب والهم والغم ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ρقال:من أكثر من الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب. قال سيدي عبد الغفور: في القرآن سور وآيات مأثورة عن رسول الله ρ ، نفع الله الكريم بها من استشفى بها شفته، ومن استعاذ بها أعاذته، ومن استرقى بها أقلته، هو الشفاء الحميد وكلامه المجيد، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .

من ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس رحمه الله قال : حدثني أبو الفضل حمزة قال: حدثنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا وهب بن منبه قال: أخبرنا أبو جريج عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه جلس يوما للناس فاحتوشه الناس، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما من شئ تطلبونه إلا وجدتموه في كتاب الله تعالى، فقام إليه رجل فقال : يا ابن عباس إن بي سقام فهل في كتاب الله منفعة؟

قال : نعم .قال : وما هي ؟قال : تكتب على بطنك بزعفران آية الكرسي، وتغسله بماء وتجعله في قدح، ثم تكتب وتغسله بها حتى تصير قدر شربة. ففعل ذلك الرجل فعوفي .

فقام إليه رجل آخر فقال: إن لي غنما ونعما وإني في أرض مسبعة، وإن السباع أضرت بي، فهل في كتاب الله منفعة ؟

قال : إذا أصبحت وأمسيت فقل: [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ]إلى آخر السورة.

ثم قام إليه رجل آخر فقال : إني رجل صاحب ضياع اختلف في ضياعي، وأركب البحر وأخشى الغرق فهل لي في كتاب الله منفعة، آمن بها من الغرق والحرق ؟

قال : نعم ، إذا أصبحت وأمسيت فقل: [إِنَّ وَلِيِيَ الله الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبضتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيّات بِيَمِينِهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] .

فقام إليه آخر فقال : إني رجل ذو مال، وإني أخشى على مالي السرقة، فهل لي في كتاب الله منفعة؟

قال : نعم ، فإذا أمسيت وآويت إلى فراشك فقل: [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ] إلى آخر السورة .

فقام إليه آخر فقال : إن غلاما لي ابق، فهل لي في كتاب الله ما يرده علي؟

قال : نعم إذا أبق لكم آبق فقولوا : [أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لجي يَغْشَاهُ مَوْجٌ] إلى آخر الآية . فذكر الرجل أنه قالها فرد الله عليه غلامه .

فقام إليه آخر فقال : إن لي غلاما ابق منذ دهر لم يرجع إلي شئ من خبره؟

قال : صل ركعتين اقرأ فيهما سورة يس، ثم قل في آخر السجود ووجهك في الأرض (رب رد علي غلامي أو رد علي خبره)؛ ففعل الرجل فرد الله عليه خبره.

فقام إليه آخر فقال : إن دابتي قد صعبت علي، فلا تمكني من لجامها ولا من ركوبها فقال: احتل عليها حتى تقبض أذنها اليسرى، ثم اقرأ فيها: [وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] ففعل فعادت إلى ما كانت تعمل.

فقام إليه آخر فقال : لقيت من التألول مؤنة، فهل لي في كتاب الله من فرج ؟

قال : نعم ، ترقي التألول سبعة أيام كل يوم خمس مرات على الريق، تمسح بأصبعك على التألول وتقرأ هذه الآية [لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً] إلى آخر السورة ففعل الرجل فسقط عنه التألول.

-وروي عن أبي السليل قال: قال أبو ذر رضي الله عنه : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتلوا هذه الآية[وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجاً -إلى قوله- قَدراً] ثم يقول: يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له عوف بن مالك الأشجعي فقال: يا رسول الله إن المشركين أسروا إبني، وهم يكلفونه من الفداء ما لا يطيق فقال: ابعث إلى ابنك فليكثر من قول :لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقالها فغفل عنه المشركون، فاستاق خمسين بعيرا من إبلهم، جلس على بعير منها حتى أتى أباه، فأنزل الله تعالى: [وَمَنْ يَتّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ] .

- وعن محمد بن عجلان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم.

-وعن ابي حاتم الرازي قال: حدثنا محمد بن عبد الكريم قال : سمعت سعيد بن عنبسة رضي الله عنه يقول: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصا، ويخدق إذ رجعت حصاة منها، فصارت في أذنه دهرا تؤلمه، فجهدوا في كل حيلة فلم يقدروا على إخراجها، فبقيت الحصاة في أذنه تؤلمه، فبينما هو ذات يوم جالس، إذ سمع قارئا يقرأ (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) فقال :يا رب أنت المجيب وأنا المضطر، فاكشف ضر ما أنا فيه ، فنزلت الحصاة من أذنه.

-وعن يزيد الرقاشي، سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا أعلم إلا أنسا يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يونس عليه الصلاة والسلام، حين بدا له أن يدعوا الله بالكلمات، ناداه وهو في بطن الحوت فقال : اللهمَ لاَ إلَهَ إلاَ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إني كُنْتُ منَ الظَالمينَ .فأقبلت الدعوة فخرقت العرش .فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت بعيد معروف من بلاد غريبة.فقال : اتعرفون ذلك ؟ قالوا : يا رب ومن هو ؟ قال: ذاك عبدي يونس الذي لم يزل يُرفع له عمل صالح متقبل ودعوة مستجابة.قالوا : يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال : بلى . فأمر الحوت فطرحه بالعراء .

قال أبو صخر: فأخبرني أبو سقيط وأنا أحدث بهذا الحديث، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول :طُرح بالعراء ، فأنبت الله عليه شجرة اليقطينة قلنا : يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدباء .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : هيأ الله له أدوية وحشية تأكل من حشيش الأرض، فتنفخ عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى هب.

-وحدثني الفقيه المشاور أبو الحسن يونس بن محمد، عن جده القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث قال: كنت إذا نزلت بي نازلة أوحلّ بي ما يعنتني، قصدت أبا بكر الأبدي الزاهر رحمه الله، أرجوا بركة دعائه وفضل رأيه، وأنه كان من قضاء الله تعالى علينا محنة كبيرة، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (343هـ) فقصدته

وأخبرته بما كنت فيه فقال لي: تقول في كل ليلة مائة مرة (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) فما لزمت ذلك إلا أياما يسيرة، حتى أنزل الله الفرج والحمد لله على ذلك، وعلى كل نعمة أنعم بها علينا وعلى جميع خلقه.

ثم دار علي أيضا كرب شديد فبلغه، فكتب إلي أن ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لقيه جبريل صلى الله عليه وسلم في الهواء، وقد خرج من كفة المنجنيق فقال: يا ابراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا .

وكان من قوله عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل. قال يونس : فقوي بكتابه قلبي، وفرحت به واشتد به صبري ورضيت بما قضاه ربي ، ثم لم نلبث أن كشف الله عنا والحمد لله.

-وعن ابراهيم بن محمد بن سعيد، عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: كنا جلوسا عند رسول الله ρ فقال: ألا أخبركم وأحدثكم بشئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه؟ فقيل له : بلى يا رسول الله .قال: دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

-وعن محمد بن عمر عن جعفر بن محمد رضي الله عنهم أنه كان يقول : عجبت لمن بلي بأربع كيف يغفل عن أربع : من بلي بالغم كيف لا يقول:[لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ] والله تعالى يقول: [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُومِنِينَ] .

وعجبت لمن خاف شيئا كيف لا يقول: حسبِي الله ونعم الوكِيل، والله تعالى يقول: [فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ] .

وعجبت لمن مُكربه في شئ كيف لا يقول: [وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى الله إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد]،والله تعالى يقول:[فَوَقَاه الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا] .

وعجبت لمن رغب في شئ كيف لا يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله والله تعالى يقول:[فَعَسَى رَبي أَنْ يُوتِينِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ] .

- وعن عبد الله بن وهب رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو العمير أنه سمع من يقول: مِلاك كل كرب أن يقول العبد:[لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ] .

- وعن الشعبي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ρ : من قال سبع مرات (حسبي الله ونعم الوكيل يقول الله عز وجل، لأكفين عبدي صادقا كان أو كاذبا .

- وعن ابن أبي مليكة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان رسول الله ρ إذا همه الأمر يقول: بسم الله الحمد لله ربي يقضي ولا يقضى عليه حي باق وإليه المصير ، ما دعا به أحد إلا بكت له السماوات والأرض وشفعت له الملائكة.

- وقال عبد الملك بن حبيب رضي الله عنه : كان من دعاء عيسى عند الكرب "اللهم فارج الهم وكاشف الغم ومجيب دعوة المضطرين، ورحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما رحمان كل شئ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك" . فقال لا يدعوا بها مكروب إلا كشف الله بها كربه.

-وحدثني القاضي أبو علي الحسن بن علي رحمه الله، حدثني فتى من الكتّاب البغداديين، يعرف بأبي الحسن بن أبي الليث قال : قرأت في بعض الكتب: إذا همك أمر تخافه، فبت وأنت طاهر على فراش طاهر في غطاء طاهر، في ثياب كلها طاهرة واقرأ : [وَالشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا] إلى آخرها. (سبعا) ثم قل : "اللهم اجعل لي

فرجا ومخرجا من أمري" فإنه يأتيك في الليلة الأولى أو الثانية أو الثالثة إلى السابعة آت في منامك، فيقول لك المخرج منه كذا وكذا.

قال القاضي أبو علي الحسن رحمه الله :هذا الخبر وجدته في عدة كتب بأسانيد وغير أسانيد، على اختلاف الألفاظ والمعنى قريب وأنا أذكر أصحها عندي.

حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال: حدثنا عبد الله بن زيد قال: حدثنا أنيس بن عمران اليافعي، وأبو زيد عن ربعي بن حنش الصنعاني: عن أبيه عن جده أنه قال لبنيه : يا بني إذا همكم أمر أو أكربكم هم، فلا يبيتن أحد منكم إلا وهو طاهر، على فراش طاهر في لحاف طاهر، ولا تبيتن معه امرأة ثم ليقرأ : [وَالشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا...] (سبعا) ثم ليقل "اللهم اجعل لي من أمري هذا فرجا

ومخرجا" فإنه ياتيه آت، في أول ليلة أو في الثالثة أو في الخامسة (وأظنه قال أو في السابعة) يقول له: المخرج مما أنت فيه كذا وكذا .

قال أنيس : فأصابني وجع لم أدر كيف أثني عليه، فقلت أول ليلة هكذا، فأتاني آتيان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: جسّه . فلمس جسدي كله، فلما انتهى إلى موضع من رأسي قال : احتجم من هاهنا ولا تحلق ولكن أطله بالغراء . ثم التفت إلي أحدهما أو كلاهما فقالا لي: فكيف لو ضممت إليها سورة : [وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ] .

قال فلما أصبحت سألت أي شئ الغراء؟ فقيل لي: الخطمى أو شئ تسمسك به الجمجمة، فبرئت ولم أحدث بهذا الحديث أحدا، إلا وجد فيه الشفاء بإذن الله.

- قال عبد الغفور: ورأيت لمن أمل شيئا أن يريه الله الخير في منامه، فليقل في مضجعه عند منامه:" اللهم رب ابراهيم وموسى، ورب إسحاق ويعقوب، ورب جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، وأنت يا رب منزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم، أرني في منامي الذي ترى فيه الخير من أمر كذا وكذا" ، فإن الله عز وجل يريه ذلك على أي حال كان.

-ومن "نزهة المجالس" مانصه :

فوائـــــد

الأولى :

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ρقال: إن لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس، ومن قرأها كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات رواه الترمذي.

وعن علي رضي الله عنه، عن النبي ρ :من قرأ يس فإن فيها عشر بركات، ما قرأها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي ، ولا عار إلا كسي ، ولا أعزب إلا تزوج، ولا خائف إلا أمن ، ولا مسجون إلا خرج ، ولا مسافر إلا أعين على سفره، ولا من ضلت له ضالة إلا وجدها ، ولا مريض إلا برئ ، ولا عند ميت إلا خفف الله عنه.

قال اليافعي في "روض الرياحين" : بلغني عن بعض الصالحين أنه دفن ميتا في بلاد اليمن، فسمع في القبر ضربا فخرج منه كلب

أسود فقال: الضرب فيك أو في الميت؟ قال : في، وجدت عنده يس فحالت بيني وبينه وأنا عمله.

وروى الطبراني من داوم على قراءة يس مات شهيدا . وروى الترمذي: من قرأ ليلة الجمعة سورة الدخان، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك.

- الثانية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ρ :إن في القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ . رواه ابن حبان والحاكم. ورأيت فيها حكاية كالتي في يس، وقال النبي ρ :وددت أنها في قلب كل مومن. رواه الحاكم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ρ :إني لأجد في كتاب الله سورة وهي ثلاثون آية، من قرأها عند منامه كتب

الله له بها ثلاثين حسنة ومحى عنه ثلاثين سيئة، وبعث الله له ملكا يبسط جناحه عليه، ويحفظه من كل سوء حتى يستيقظ.

قال النيسابوري في سورة البقرة، أنها تقف على الصراط عند قدوم قارئها تشفع له.

- الثالثة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ρ قال:أما يستطيع أن يقرأ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ.

- الرابعة :

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ρقال لبعض أصحابه: هل تزوجت ؟ قال : لا يا نبي الله ما عندي ما أتزوج به.قال : أليس معك قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ؟قال : بلى .قال :ثلث القرآن ، أليس معك إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ؟ قال : بلى.قال : ربع القرآن ، أليس معك قُلْ

يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ؟ قال : بلى .قال : ربع القرآن ، تزوج تزوج .قالها مرتين.

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما : إِذَا زُلْزِلَتِ تعدل نصف القرآن . رواه الترمذي.

- الخامسة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ρ أنه سمع رجلا يقول: قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ .فقال : وجبت .فسألته: ماذا ؟قال : الجنة .

فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره ثم توانيت، أي أخاف أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعنه ρ :من قرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ مرة غفر له ذنوب خمسين سنة. وفي حديث آخر ينادي يوم القيامة :ألا ليقم

مادح الرحمان، فلا يقوم إلا من كان في الدنيا، يكثر من قراءة قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من قرأها مائتي مرة في أربع ركعات، كل ركعة خمسين مرة، غفر له ذنوب مائة عام، خمسون متقدمة وخمسون متأخرة.

ورأيت في "بدء الفلاح" عن النبي ρ :من صلى ركعتين بعد العشاء، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وعشرين مرة قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ،بنى الله له قصرا في الجنة يتراءاه أهل الجنة .

- السادسة:

قال علي رضي الله عنه، عن النبي ρ :من سافر فقرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ عشر مرات، صرف الله عنه شر ذلك السفر وأعطاه

خيره. وفي رواية: من صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الفاتحة، و قُلۡ هُوَ الله أَحَدٌ ثم قال : اللهم أستودعك نفسي وأهلي ومالي وولدي، فإن الله يحفظه وأهله وماله وولده ويصلح أمره حتى يرجع.

ورأيت في شرح المهذب : يستحب إذا خرج من منزله أن يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى الفاتحة [وقُلۡ يَا أَيُّهَا الۡكَافِرُونَ]، وفي الثانية الفاتحة و[قُلۡ هُوَ الله أَحَدٌ] ويستحب له أن يقرأ بعد السلام آية الكرسي و[لإِيلافِ فِي قُرَيۡشٍ] ، وإذا نهض قال: اللهم اكفني ما أهمني وما لا اهتم به، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي. وأن يتصدق بشئ عند خروجه، وأن يودع جيرانه وأصدقاءه واصحابه ويودعوه، ويقول كل واحد منهما لصاحبه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك، زودك الله التقوى وغفر لك ذنبك، ويسر لك الخير

حيث ما كنت، وأن يرافق من له رغبة في الخير والصدق والغريب الموثوق به أولى.

وقال بعضهم : يكون الرفيق أجنبيا وأن يؤمر اهل الرفقة على أنفسهم، أفضلهم وأصوبهم رأيا لقول النبي ρ :إذا خرج ثلاثة في سفر فليُؤمّروا واحدا منهم. رواه أبو داوود.

ويكره أن يشارك غيره في الزاد والراحلة والنفقة، لأنه يمتنع من التصرف في وجوه الخير كالصدقة وغيرها، وإن أذن له شريكه لأنه قد يرجع عن الإذن، ويستحب الرفق بالدابة ويتجنب النوم على ظهرها، وأما المكث على ظهرها وهي واقفة، فإن كان كثيرا لحاجة أو يسرا فلا بأس، وإلا كره لقوله ρ :إياكم أن تتخذوا ظهورها منابر. رواه أبو داوود. وفي رواية البيهقي:لا تتخذوها كراسي.

ويكره ركوب الجلاّلة، وهي التي تأكل العذرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الجلاّلة من إبل أن تركب.

قال في الروضة : يكره ركوبها بغير حائل، ويكره لحمها ولبنها وبيضها كراهة التنزيه، ويستحب أن يكون سفره بكرة الخميس، فإن فاته فيوم الإثنين، وأن يصحب معه هدية ولو حجرا، وأن يصلي ركعتين إذا رجع بمنزل قريب من منزله، قبل دخوله والله أعلم.

- السابعة :

قال القرطبي في تفسيره عن مالك بن أنس رضي الله عنه : إذا نقر في الناقور اشتد غضب الرحمان، والملائكة يأخذون بأقطار الأرض، فلا يزالون يقرأون قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ حتى يسكن غضبه، وحكاه غيره عن النبي ρ .

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ρ :من قرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ مرة كانت بركة عليه ، فإن قرأها مرتين كانت بركة عليه وعلى أهل بيته، ومن قرأها ثلاث مرات كانت بركة عليه وعلى أهل بيته وجيرانه.

وعنه : من قرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ أربعين مرة كل يوم، بنى الله مجازا على جسر جهنم، حتى يجوز الجسر .

وعن سهل بن سعد، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة قال: شكى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة الرزق فقال: إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه احد، فإن لم يكن فيه أحد، فسلم عليّ واقرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ . ففعل فدرّ الله الرزق عليه، حتى فاض عليه وعلى جيرانه.

وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، وهو آخر من مات من الصحابة بمدينة دمشق، عن النبي ρ :من صلى الصبح ثم قرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ مائة مرة قبل أن يتكلم، فكلما قال قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ غفر له ذنوب سنة.

- الثامنة :

عن النبي ρ : من قرأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ بعد الفجر إحدى عشرة مرة، لم يلحقه في ذلك اليوم ذنب.

قال النيسابوري: ومن أسمائها سورة الإخلاص لأن من قرأها تخلص، وسورة المعرفة لأن النبي صلى الله عليه وسلم، سمع رجلا يقرأها فقال : هذا عرف ربه. وسورة الأساس، لأن النبي ρ قال:أسست السماوات السبع والأرضون السبع، على قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ،وسورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار وليا لله، وسبب

نزولها أن كفار مكة وغيرها قالوا: يا محمد صف لنا ربك، أمن ذهب أو من ياقوت أو من زبرجد؟

فقال: إن ربي ليس من شئ لأنه خلق الأشياء ،فنزلت هذه السورة.

قال نجم الدين النسفي: وهي يفسر بعضها بعضا الله أحد الله الصمد.

قال السلمي: الله هو المقصود في الرغائب، المستغاث به في الشدائد، لم يلد كما ولدت مريم، ولم يولد كما ولد عيسى .

قالوا : يا محمد لنا ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم إله واحد بحوائج الخلق ؟

قال في شمس المعارف: كيف التوحيد الوافي ومشربه الصافي قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ فليتأمل.

قال أبو هريرة: الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل أحد. وفي شرح الأسماء للقرطبي عن الحسن، الصمد الباقي في بعد فناء خلقه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والعالم الذي كمل في علمه. وفيه أيضا عن النبي ρ :من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحدا صمدا لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد كتب الله له ألف حسنة. وفي رواية الطبراني أيضا: وقوله تعالى:لم يلد كما ولدت مريم، ولم يولد كما ولد عيسى، وهي تعدل ثلث القرآن لأن ثلثه أحكام، وثلثه الآخر وعد ووعيد، والثالث أسماء وصفات وذلك مجموع فيها.

- التاسعة :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : من قرأها ثلاثين مرة بنى الله له مائة قصر في الجنة من ذهب، ومن قرأ قُلۡ هُوَ الله أَحَدٌ فكأنما قرأ ثلث القرآن، وكتب له من الحسنات بعدد من آمن وأشرك.

حكاية :

كان بعض الصالحين يزور القبور فأدركه النوم ليلة، فرأى الأموات على قبورهم، فسأل أحدهم : هل قامت القيامة؟ قالوا: لا ، ولكن مر علينا ثابت البناني منذ عشرين سنة، فقرأ قُلۡ هُوَ الله أَحَدٌ عشر مرات ثم وهب ثوابها للأموات، فأعطى من الأجر بعدد الأموات.

- ثم قال في "نزهة المجالس" أيضا بعد هذا بيسير :

فوائـــــد

الأولى :

عن خبيب (بضم المعجمة) رضي الله عنه، عن النبي ρ أنه قال لي : قل. فلم أقل شيئا .ثم قال : قل . قلت : فما أقول ؟ قال : قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ والمعوذتين ثلاثا حين تصبح وحين تمسي، تكفيك من كل شئ. قال الترمذي حديث صحيح.

– الثانية :

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، بينما أنا أسير مع النبي ρ إذ غشيته ريح مظلمة، فجعل النبي ρ، يتعوذ بقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ؛وقال : يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما . وعنه ρ، أنه كان يقرأ سورة قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ؛

و قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاة فافعل. ويقال أنهما يبرآن من النفاق.

-الثالثة :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في القرآن سورة أشد غيضا لإبليس من: قُلۡ يَا أَيُّهَا الۡكَافِرُونَ . وإنها براءة من الشرك، وسبب نزولها قول الكافر : يا محمد اعبد إلهنا عاما ونعبد إلهك عاما. والتكرار فيه للتأكيد.

- الرابعة :

الفلق هو الصبح، قال الترمذي : الحكيم عطف الله قلوب عباده، فقذف النور فيها فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء، وَالۡغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ هو القمر لكن ضعّف النووي في الفتاوى، سماه غاسقا

لأنه يسود ويظلم إذا انكشف، والوقوب الدخول، فالمراد دخوله في ظلمة تستره من كسوف أو غيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الغَاسِقِ الليل إذا أقبل بظلمته. وقال الخطيب البغدادي : سبب الإستعاذة إذا أظلم بكسوف أو غيره، لأن أهل الفساد يتمكنون من فعل المعاصي في الظلمة أكثرمن النور، فأضاف فعلهم إلى القمر، النَّفَّاثَاتِ الساحرات في الْعُقَدِ من الخيط، وتنفث في عقد بنفس ليس معه ريح.انتهى بنصه

وقال ابن عطية رحمه الله، في تفسيره الخطاب إلى النبي ρ : والمراد هو وآحاد أمته .وقال ابن عباس وابن جبير والحسن والقرطبي وقتادة ومجاهد وابن زيد : الْفَلَقِ الصبح كقوله تعالى فَالِقِ الاصْبَاحِ . وقال ابن عباس أيضا وجماعة من الصحابة

والتابعين وغيرهم: جبّ في جهنم.ورواه أبو هريرة عن النبي ρ .

وقوله: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، يعم كل موجود له شر . ثم قال : واختلف الناس في الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ فقال ابن عباس ومجاهد : الْغَاسِقِ الليل، ووَقَبَ أظلم ودخل على الناس. ثم قال: وَالنَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ السواحر، ويقال ان الإشارة أولا إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي كنّ ساحرات، وهن اللاتي سحرن مع أبيهن رسول الله ρ، والنفث شبه النفخ دون ثفل وريق، وهذا النفث هو على عقد، تعقد في خيوط على إسم المسحور فيُؤذى بذلك.

وهذا الشأن في زماننا موجود شائع في سحر المغرب.

وحدثني ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمر، قد عقدت فيه عقد على فصلين، فمنعت بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى

ذلك الفصيل إلى أمه في الحين فرضع، أعاذنا الله من شر السحر والسحرة بقدرته.

وقرأ عبد الله بن القاسم والحسن وابن عمر النفثات، وقوله تعالى:مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، قال قتادة : من شر عينه ونفسه، يريد بالنفس السعي الخبيث، والإذاية كيف قدر، لأنه عدو متمرد ممتحن . وقال الشاعر :

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وعين الحاسد في الأغلب لاقعة، نعوذ بالله من شرها ولا أعدمنا الله حسدة.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود

والحسد في الإثنين للذين، قال فيهما رسول الله ρ :لا حسد إلا في اثنتين: حسد مستحسن غير ضار، وإنما هو باعث على خير، وهذه السورة خمس آيات .

فقال بعض الحذاق: هي مراد الناس بقولهم للحاسد، إذا نظر إليهم الخمس على عينيك. وقد غلط العامة في هذا، فيشيرون في ذلك بالأصابع لكونها خمسة . وأما ابن عمر حَاسِدٍ والباقون بفتح الحاء وقال الحسن بن الفضل، ذكر الله الشرور في هذه الآية، ثم ختمها بالحسد ليظهر إنه أخس طبع.انتهى نصه

ثم قال في تفسيره : قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. ما نصه:

الوسواس إسم من الشياطين، وهو أيضا ما توسوس به شهوات النفس وتسوله، وذلك هو الهوى الذي نُهي المرء عن اتباعه وأمر

بمعصيته، والغضب الذي وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بطرحه وتركه، حين قال له رجل : أوصني

فقال : لا تغضب

فقال : زدني

فقال : لا تغضب .

وقوله تعالى: الخَنَّاسِ معناه الراجع على عقبه المستتر أحيانا،

وذلك في الشيطان متمكن إذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ

وتذكرفأبصر، كما قال تعالى :[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقوا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ

مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ]، وإذا فرضنا ذلك في

الشهوات والغضب ونحوه، فهو يخنس بتذكير النفس اللوامة، وبأن

الحياء يردع والإيمان يردع بقوة، فتخنس تلك العوارض المتحركة،

وتنقمع عند من أعين بتوفيق، وقد اندرج هذان المعنيان من الوسواس

في قوله تعالى: [مِنَ الْجنَّةِ وَ النَّاسِ] أي من الشياطين ونفس الإنس، ويظهر أيضا أن يكون قوله والناس، يراد به من يوسوس بخدعة من البشر ويدعوا إلى الباطل، وهو في ذلك كالشيطان.

ثم قال رحمه الله : وقالت عائشة رضي الله عنها : " كان رسول الله ρ : إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ : قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ والمعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثا" .

وقال قتادة رحمه الله :إن من الناس شياطين أسوأ من شياطين الجن.انتهى نصه

- انتهى بحمد الله وحسن عونه، ما قصدت جمعه في هذا التقييد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

انتهى وكمل بحمد الله تعالى وحسن عونه.